ناصر حسن عليق

فلسفة الاستشهاد

الله والوطن في خطاب المقاومة الإسلامية

دار المواسم
للطباعة والنشر والتوزيع

مكتبة
مؤمن قريش

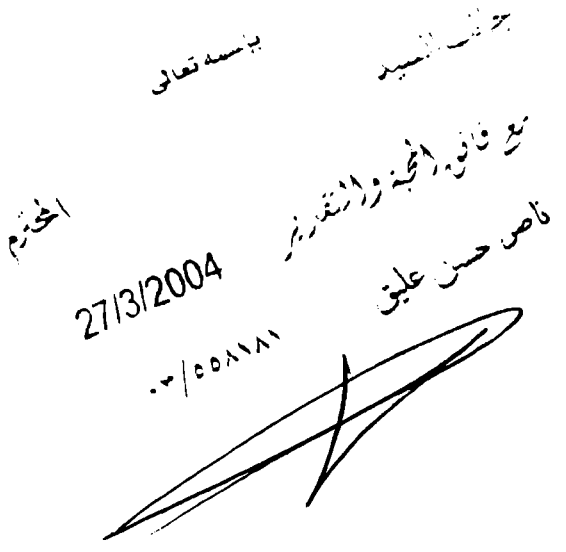

فلسفة الإستشهاد

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

2004م ـ 1425هـ

دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٣٦ ٨٩٠ (٠٠٩٦١ ٣) ـ تلفاكس: ٩٣٣ ٧٣٤ (٠٠٩٦١ ٧)
ص.ب.: ١٣/٥٨٦٦ بيروت ـ لبنان
بريد الكتروني: mawassem@hotmail.com

إلى من قضى شهيداً في سبيل الله والوطن...

المقدمة

فُطِرَ الإنسان على التفكر والبحث والتأمل، ويختلف تفكيره وتأمله بحسب الظروف المحيطة، حيث يواكب هذا الإنسان مستجدات العصر، بقدراته التي وُهِبَهَا من الله، محاولاً السيطرة عليها، وتذليل الصعاب، ليقدم للإنسانية ما أنتجه، وأبدعه فكراً، وأخلاقاً وحرية.

ولحكمة إلهية، شاء الله أن يخلق الإنسان حراً، حراً في فكره، وسلوكه، وعقله، لكن هذه الحرية حددها الله بالمنطق السليم ضمن حدود ونواهٍ، استمدها الإنسان من الدين والأخلاق.

واستمر الإنسان باحثاً عن الحقيقة، وعن الحرية، في زمن شهد في خلاله أحداثاً عالمية مهمة أبرزها الإرهاب، العولمة، والمقاومة، والاستشهاد...

هذه الأحداث الجديدة، كان لا بد أن تولّد صراعات بين قوى الهيمنة وقوى الاستضعاف، التي تحاول دائماً الحفاظ على هويتها وكرامتها، ولما راحت القوى الاستكبارية المهيمنة، تنعت المقاومة والاستشهاد، والأعمال الوطنية بالعمل الإرهابي، كان لا بد من التمييز بين المقاومة والإرهاب، وبين الانتحار والاستشهاد.

من هنا كان كتابنا هذا، يهدف إلى الفصل بين المقاومة والإرهاب بما لا يقبل الشك. . .

وما ساعدنا على ذلك واقعنا في لبنان، الذي تعرض لاحتلال إسرائيلي، وبرزت لدى شعبه روح نضالية جهادية بأساليب مختلفة، منها السياسي، والفكري، والقتالي وأبرز ما في الأسلوب القتالي كان الاستشهاد، الذي تحوّل إلى فلسفة أثبتت وجودها، واهتمت بشأنها مراكز الأبحاث، لما تختزنه من مكنونات وثقافات.

من هنا كان الغوص في هذا الموضوع، الذي شدّني وشغل فكري منذ انطلاقة المقاومة الإسلامية في لبنان، حاملة سلاح الاستشهاد كأمضى سلاح في ساحات المواجهة.

هذه الرغبة الجامحة في البحث في الاستشهاد، ودوافعه، وتاريخه، قد لا تكون الأولى ولا الأخيرة. . ومثل هذا العمل قد يشكل مادة ترفد المكتبة العربية والإسلامية بمادة جديدة تغنيها، لما لهذه المواضيع من حاجة ملحّة وهامة في مثل هذه الأيام، مع الإشارة إلى أن المكتبة العربية في هذا العصر قد تكون خالية تقريباً من مثل هذه الأبحاث النظرية حول الموضوع.

هذا باختصار ما دفعني لاختيار الموضوع، والبحث فيه آملاً في أن أقدم عملاً متواضعاً يكون الحجر الأساسي، واللبنة الأولى، في كل الأبحاث والمواضيع التي تلامس فلك «فلسفة الاستشهاد» أو تدور فيه.

وأسارع إلى القول هنا بأنني حاولت أن أحيط بالموضوع من كل جوانبه، لكني قد لا تراني وفقت إلى ذلك، نظراً لندرة المراجع من جهة، ولحساسية الموضوع من جهة ثانية. وقد أكون واحداً من أوائل القلة الذين اقتحموا مجالاً مجهولاً.

وبعد أن عقدت النية واخترت عنوان كتابي، عكفت على المطالعة وارتياد المكتبات العامة لعلي أظفر بما يرفد بحثي ويسعفني. . . لكن للأسف لم أعثر

إلا على النزر اليسير. لأن البحث كما أشرت جديد وعام، لذا عمدت إلى العديد من الكتب والمراجع وإلى القرآن الكريم وبعض تفاسيره، وإلى بعض المؤلفات والموسوعات الفلسفية، فضلاً عن المقابلات الميدانية لا سيما مع عوائل الاستشهاديين، بالإضافة إلى الوثائق الحزبية والخطب والمواقف والنصوص.

أما المنهج الذي اعتمدته، فكان مزيجاً بين التحليلي والتاريخي. كنت أعمد إلى الظاهرة فأصفها وأحللها مستنتجاً؛ لأسوقها بعد التأليف في إطارها التاريخي، ليتشكل من ذلك عمل توثيقي موثوق يعاد إليه لاحقاً وعند الحاجة. وعليه، وبعد العمل جمعاً وتحليلاً وتأليفاً كان لا بد من تبويبه على الشكل الآتي:

مقدمة، ومدخل، وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس وملاحق.

المدخل عبارة عن مجموعة من الأسئلة صيغت وأدرجت بمجملها ضمن عنوان «تساؤلات حول الاستشهاد لغةً واصطلاحاً وفلسفة».

وانعقد الفصل الأول بعنوان المقاومة الإسلامية. ودار حول النقاط الآتية:

أ ـ النشأة.

ب ـ الإيديولوجيا.

ج ـ الله في خطاب المقاومة الإسلامية.

د ـ الوطن في خطاب المقاومة الإسلامية.

الفصل الثاني وعنوانه: مفهوم الاستشهاد، وانعقد على النقاط الآتية:

أ ـ الاستشهاد انتماء عقائدي وَتَجَلٍّ فكري.

ب ـ السجال الفقهي حول الاستشهاد.

ج ـ الاستشهاد في الخطاب الفلسفي.

أما الفصل الثالث فقد اشتمل على التحليل لوصايا الاستشهاديين من

خلال الأبعاد الدينية والوطنية والقومية والتربوية والأخلاقية وحتمية الانتصار.

وفي الخاتمة خلصت إلى بيان أهمية الاستشهاد في حياتنا الراهنة، ولحظت فيها أن الأوطان لا تتحرر إلا بالتضحية والاستشهاد.

والفهارس اقتصرت على المصادر والمراجع والموضوعات.

واشتملت الملاحق على ثلاثة:

1 ـ وصايا الاستشهاديين.

2 ـ الرسالة المفتوحة التي وجهها حزب الله إلى المستضعفين في لبنان والعالم في 16 شباط 1985م.

3 ـ الاستشهاديون.

وهكذا، اكتمل عقد الكتاب الذي لا أدعي بلوغ الكمال فيه، إذ الكمال لله وحده؛ بيد أن الصعوبات التي اعترضت مسيرتي تُمْلي عليَّ إسداء الشكر إلى كل من ساعد وساهم في إنجاز عمل قد يرفد المكتبة الفكرية ويُغْنِيها؛ وما توفيقي إلا بالله.

ناصر عليق

يحمر الشقيف ـ جبل عامل

26 ذو الحجة 1424هـ

16 شباط 2004

مـدخـل

تساؤلات حول الاستشهاد لغة واصطلاحاً وفلسفة

ـ تمهيد

أولاً: الاستشهاد لغة.

ـ الاستشهاد لغة.

ـ الاسشتهاد اصطلاحاً.

ثانياً: فلسفة الاستشهاد

تمهيـــد

شغلت قضية الاستشهاد أهل العلم ولا سيما الفلاسفة والعلماء والمفكرين والفقهاء، إذ عمد كل فريق إلى البحث فيها، لما خلّفته من جدل بعد تواتر عمليات الاستشهاديين. وإذا كانت الدراسة ستدور حول آراء هؤلاء، فإننا نرغب، بداية، في إماطة اللثام عن المعنى اللغوي والإصطلاحي لكلمة الاستشهاد، بالمقارنة مع البعد الفلسفي لها.

أولاً: الاستشهاد في اللغة والاصطلاح

أ ـ الاستشهاد لغة:

«الاستشهاد لغة الشهادة، والشهيد القتيل في سبيل الله، قال قوم: سُمّي بذلك لأن ملائكة الرحمة تشهده أي تحضره، وقال آخرون سُمي بذلك لسقوطه على الأرض، والأرض تُسمى الشاهدة، وشَهِدَ ذلك بمعنى عَلِمَ وبيّن.

كما قال: شَهِدَ فلان عند القاضي، وشَهِدهُ أي حضره فهو شاهد. وجمع شاهد شهود وأشهاد. واستشهده سأله الشهادة»[1].

وفي القرآن الكريم ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾[2]. حيث فسّر الإمام الكاظم هذه الآية بقوله «إذا دعاك الرجل تشهد على دين أو حق لا ينبغي لأحد أن يتقاعس عنها»[3].

و «الشاهد هو العالم الذي يُبيّن ما عَلِمه، والشهيد الحاضر، وقيل شهيد لسقوطه على الشاهدة أي على الأرض، والشهيد في الشرع القتيل في سبيل الله، واختلف في تسميته قتيلاً، لأن ملائكة الرحمة تشهده أي تحضر غسله أو

---

(1) ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ط2، بيروت، دار الفكر، سنة 1988م، ص529.

(2) سورة البقرة، الآية 282.

(3) العياشي، تفسير العياشي، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية، سنة 1380هـ، ج1، ص155.

نقل روحه إلى الجنة، أو لأن الله وملائكته شهود له بالجنة كما قال ابن الأنباري، أو لأنه ممن يشهد يوم القيامة مع النبي (ص) على الأمم الخالية، التي كذبت أنبياءها في الدنيا»[1].

و«الشهادة تكون للأفضل فالأفضل من الأمة، فأفضلهم من قتل في سبيل الله، ميزوا عن الخلق بالفضل وبعين الله. أنهم أحياء يُرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله، والشهيد في الأصل من قتل في سبيل الله، والشهيد هو الحاضر والشاهد، هو العالم الذي يُبيّن ما علمه، والجمع أشهاد وشهود، وشهيد والجمع شهداء، واستشهدوا فلاناً فهو شهيد»[2].

ويشار إلى «أن أشهد أن لا إله إلا الله يعني أعلم وأبين. وشاهده: عاينه، واستشهد: قتل في سبيل الله»[3].

ويقال «إن الشهيد سُمّيَ بالشهيد لسقوطه على الأرض، أو لأنه حاضر عند ربه حي»[4].

نستخلص مما تقدم أن كلمة استشهاد من شَهِدَ، شهده أي حضره، والمشهد محضر الناس، والشهيد: القتيل في سبيل الله، ولسقوطه على الأرض الشاهدة، إذ لا بد في الاستشهاد من عقيدة دينية لأن سبب الاستشهاد هو مقدسات الله وقانونه.

ب ـ الاستشهاد إصطلاحاً:

حول مفهوم الاستشهاد إصطلاحاً، ورد العديد من الآيات في القرآن الكريم، تتحدث عن الشهادة والشهداء، وهي آيات تساعد على فهم مصطلح

---

(1) الزبيدي، تاج العروس، لا ط، بيروت، دار صادر، لا ت، ج2، ص391.
(2) ابن منظور، لسان العرب، لا ط، بيروت، دار صادر، سنة 1990، ج3، ص239.
(3) رضا أحمد، معجم متن اللغة، بيروت، دار مكتبة الحياة، سنة 1959 م، ج3، ص385.
(4) الشرتوني، أقرب المصادر، ط1، إيران، دار الأسرة، لا ت، ج3، ص110.

الاستشهاد، وفق المفهوم القرآني قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[1].

ورد في تفسير هذه الآية: «والمراد بالإيمان بالله ورسله محض الإيمان الذي لا يفارق بطبعه الطاعة والإتباع، والمراد بقوله «أولئك هم الصديقون والشهداء» إلحاقهم بالصديقين والشهداء بقرينة «عند ربهم» فهم ملحقون بالطائفتين يعامل معهم معاملة الصديقين والشهداء فيعطون مثل أجرهم ونورهم»[2].

وعن ورسول الله (ص)، حيث قال: «أشرف الموت قتل الشهادة»[3].

وهذه الشهادة تعطي الشهيد مرتبة الأنبياء والعلماء، كما أشار الرسول (ص) بقوله: «ثلاثة يشفعون إلى الله يوم القيامة فيشفعهم: الأنبياء، والعلماء، والشهداء»[4].

وعن علي بن أبي طالب (ع) أنه قال: «أفضل الناس بعد الأوصياء الشهداء»[5].

وعن الإمام الرضا (ع) أنه قال: «من قاتل دون ماله ورحله ونفسه فهو شهيد»[6].

ويلفت هنا الإمام الخميني (قد) إلى أن الشهداء «اتصلوا بعشقهم بالله العلي الكبير ووصلوا إليه . . .»[7] وقال أيضاً إن «الشهادة هدية من الله تبارك وتعالى لمن هم أهل لها»[8].

---

(1) سورة الحديد، آية 19.

(2) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط5، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، سنة1412هـ، ج19، ص162.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ط 2، بيروت، مؤسسة الوفاء، سنة 1983م، ج79، ص8.

(4) م.ن، ج3، ص15.

(5) م.ن، ج 23، ص 274.

(6) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط2، بيروت، مؤسسة أهل البيت (ع) لإحياء التراث، سنة 1993م، ج15، حديث رقم (19963)، ص49.

(7) صحيفة نور، إعداد مركز المستندات الثقافية للثورة الإسلامية، إيران، 1983م، ج14، ص196.

(8) م.ن، ج10، ص111.

ويرى الرئيس حافظ الأسد أن:

«الاستشهاد هو الحياة، يجب أن نظل يقظين، يجب أن نظل جاهزين بالتضحية بالجهد، بالعرق، بالدم، يجب أن نظل جاهزين للاندفاع بقوة نحو شرف الاستشهاد، وعندما يدعونا الداعي»[1].

فبالمنظور الإسلامي إن كلمة شهيد ذات قدسية متميزة، مرتبطة بعالم الخلود والبقاء، والشهيد يولد ولادة ثانية، تبدأ حياته عند استشهاده، تنقله من الظلمات إلى النور، فهو في حياة مليئة بالنعيم، والفضل الجسيم، فقد تخلّص من هموم الدنيا والانشداد إليها، وبحث عن افضل الطرق وأعزها وأقصرها وارتفع إلى مستوى عالم الشهادة لجوار الله، حيث الوعد الحق مع النبيين، والصديقين، والشهداء. وبالتالي، فالشهيد هو الرجل المؤمن بعقيدته، لا تزحزحه الأهوال ولا المصائب، جسور ثابت على دينه وعقيدته. والإنسان القادم على الشهادة، يتمكن من السيطرة على الضغوط المختلفة، والابتلاءات المتعددة، ويزداد وعيه السياسي، والرسالي، فتزداد قدرته على الجهاد، والسخاء، في بذل دمائه الزكية في سبيل الله.

وبواسطة الشهادة، يتمكن المؤمن من كسر القيود، وإزالة الظلمات، وهو يبحث عن المستقبل الأفضل، لكل المستضعفين، والمظلومين، في هذا العالم، وبالشهادة في هذا السبيل، يطمح المؤمن إلى الجنة الموعودة، والشهادة، إذ ذاك، تغري الشهيد للإقدام عليها، وتحثه على الفوز بها، وهي ليست فناء، ولا زوالاً، بل هي جنة يكدح نحوها بملء إرادته، وبكامل وعيه، لذا نجد الإمام الخميني (قد) تمنى الشهادة، وفي لبنان أيضاً، حيث قال: «فلنذهب إلى لبنان عسى الباري جلّ وعلا أن يمُنّ علينا بالشهادة، فيشملنا ذلك الفيض الإلهي»[2].

---

(1) الأسد حافظ، صحيفة البعث، سوريا، 1987م، العدد 7355، ص6.

(2) الكوثر، مجموعة مطبوعات الإمام الخميني، ط1، إيران، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قد)، سنة1996م، ج1، ص366.

أما الإستشهادي، فهو من يحمل أمانة الدفاع عن الإنسان والوطن، ويعد نفسه للشهادة ؛ لأنها بحاجة إلى إعداد خاص، لا يتم إلا بالمعاناة العملية، والاستعلاء الحقيقي عن الشهوات، بالصبر الحقيقي على الآلام، وبعد الاختبار النفسي والنظر نحو الله وحده، تستقر القلوب، وتطمئن النفوس، فيشرع القادم على الاستشهاد بقوة نورانية مصقولاً بالاستقامة.

والإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى الصبر، وتضحية تحتاج إلى الاستعداد، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1]. ويفسر العلامة الطباطبائي هذه الآية بأن المراد بقوله: «ولقد فتنا الذين من قبلهم ـ إن الفتنة والامتحان سُنّة جارية لنا، قد جرت على الذين من قبلهم وهي جارية فيهم ولن تجد لسنّة الله تبديلاً»[2].

فالمولى عز وجل يعلم ما في بواطن القلوب، وينزل البلاء، ليعرف أصحاب الدعوة حقيقتهم، هم أنفسهم، وهم يزاولون الحياة والجهاد، مزاولة عملية، واقعية، ويعرفون حقيقة النفس البشرية وكمائنها، ولعل الاستشهاديين هم أكثر الناس امتحاناً، وتعرضاً، لأشكال البلاء، لأنهم صفوة مختارة، يشكلون معالم انتصار الإيمان على الألم.

وكما يقول البغدادي، «فالعملية الاستشهادية عملية دفاعية مقدسة لرفع الظلم والقضاء على الظالمين، وغاية إنسانية نبيلة لإعطاء الحقوق المسلوبة، والكرامة المسحوقة، وغاية مبدئية صادقة من أجل نصرة القيم والمبادئ الإسلامية، وإعلاء كلمة الحق»[3]. وبالرغم من خضوع فعل الاستشهاد للحكم الشرعي، وتماهيه مع دلالات الشهادة الواردة في القرآن والحديث، فإن تنامي

---

(1) سورة العنكبوت، آية 3.

(2) الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج16، ص100.

(3) البغدادي، مكي قاسم، الشهادة تأصيل لا استئصال، ط1، بيروت، الدار الإسلامية، سنة 1993م، ج2، ص 128 ـ 129.

ظاهرة الاستشهاد تجلت في الربع الأخير من القرن العشرين ؛ حيث خضعت للدراسة والتحليل من قبل فلاسفة وعلماء نفس واجتماع.

وأول ما يستوقف الباحث في هذا المجال، ذلك الفرق القائم بين الشهيد والاستشهادي، ففي حين يكون كل استشهادي شهيداً، فإن العكس ليس صحيحاً، إذ ليس كل شهيد استشهادياً.

صحيح أن الاستشهادي ينهل من نفس النبع العقائدي الذي ينهل منه الشهيد، إلا أنه تأسّس على تجربة تاريخية خاصة أبرزت، بشكل نوعي، كيف تستطيع الشهادة الإرادية تحقيق الانتصار، في ظل موازين قوى غير متكافئة، ويمكن القول إن الاستشهاد تجلى بشكل نوعي في حادثة كربلاء، عندما قَدِمَ الحسين (ع) وبملء إرادته بسبعين رجلاً، من أقاربه، وأصحابه، من مكة إلى كربلاء في العراق، حيث قاوم يزيد بن معاوية، وجيشاً يُعدّ بالآلاف، فتسابق أصحاب الحسين وآله، ومن معه للشهادة، واحداً تلو الآخر، حتى قضوا جميعاً في معركة، أضحت نموذجاً، تحتذي به المقاومة، وشعاراً يرفعه المجاهدون في سبيل الله، وذلك في سنة 61 للهجرة، هذا الحسين الذي أصبح رمزاً، وعنواناً، ونموذجاً للمجاهدين والأحرار، لم يغب يوماً عن ثقافة ذاك الجيل، الذي انطلق مدافعاً عن كرامة وحرية الإنسان، وهذا ما أشير إليه بالقول: «الحسين في المفهوم الشيعي ليس إسماً فحسب، إنما هو رمز له دلالاته العميقة على البطولة والتضحية والفداء في سبيل الحق والعدالة والإنسانية، أقدم على الموت بعزيمة قوية يريد النصر على النفس والتخاذل والتقاعس والذل والهوان، يريد نصراً مؤجلاً ثمناً لاستشهاده، من هنا ظلّت مأساته في كربلاء حيّة في ضمير كل حرّابي، تتلاقفها الأجيال وتنقل تفاصيلها الرهيبة»[1].

من خلال هذه التجربة نتبين أن الاستشهادي هو الذي يملك إرادة الشهادة في وجدانه وسلوكه، ومن يملك إرادة الشهادة شهيد بالقوة، أي أنه مجاهد

(1) فضل الله، هادي، فلسفة المأساة الكربلائية، جريدة الديار، بيروت 11/ 5/ 1999، ص14.

ومضح قبل الاستشهاد، وعمله يأتي ليبعث هزة في الشعور، ويحدث ثورة في حياة الأمة ويمنحها القوة والزخم. إن أي عمل لم تدرس ظروفه ونتائجه المحتملة، وإن كان نبيل الغاية، وشريف الهدف، فإن مردوده السلبي قد يُضيّع الهدف ويلغي القضية. والعمليات الاستشهادية، بغضّ النظر عن بعدها البطولي، الذي يُعبّر عنه الموت باختيار، تكمن أهميتها في آثارها على مجرى الصراع مع العدو، وفي حجم النتائج التي تترتب عليها، وفي انعكاسها الإيجابي المتصاعد على روحية الشعب، ومعنوياته الجهادية، وفي انعكاسها السلبي على معنويات العدو ومخططاته.

وحتى لا تصبح هذه العملية فعلاً روتينياً عادياً، ليس من شأنه أن يثير في الناس أي إحساس بالبطولة، وأي تحفّز نحو الموت الاختياري، يجب مراعاة الأمور التي ذكرنا، ومن الشائع ان بين الناس أشخاصاً أثقلت عليهم هموم الدنيا، وتاهوا في اليأس والقلق ؛ فإنساقوا، في لحظة ما، إلى الانتحار، وهذا تماماً ما يحدث عندما ينتحر شخص ما من دافع سلبي أو من الجهل، أو من عدم توافقه مع بيئته، فالانتحار سلوك بشري عريق، وجد منذ أن عرف الإنسان معنى الحياة والموت، وهو عملية نفسية شخصية، تهتم بالأهداف الصغرى البسيطة، والخاصة، والمنتحر هو الذي يختار طريقه بنفسه لجهله به، لذلك ينتقم المنتحر من نفسه بنفسه.

لذا ينبغي على الإنسان المؤمن القادم على الموت، وفي صورة الشهادة، ومن أجل قضية عادلة، أن يتشبّع من العقيدة الإسلامية، والنية الصادقة، وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ليكون العمل لله وحده، ومن غير هذه المقدمات يكون الموت انتحاراً ويفقد الميت أمله بجنة أو خلود أو شرف أو فضيلة. الانتحار إذاً موت إرادي، وخيار ضد الحياة، يستخدم الإنسان حريته في التصرف بوجوده الشخصي، ويعتبر نفسه مقداماً في قتل ذاته، والتخلص من حياة لا معنى لها.

ومن الطبيعي أن يكون الانتحار أداة تهدد الكيان الاجتماعي، من خلال

خسارة وفقدان روح فاعلة، أو إلى زعزعة المحيط الاجتماعي للمنتحر نفسه، وإلى خلق حالة من الفوضى النفسية والمعنوية، لذلك حرّم القانون الانتحار واعتبره تهديداً وتهديماً للحياة، كذلك الدّين، حرّمه لكنه نظم حياة الإنسان وهيّأه للحياة الأخرى بعد الموت، لذا، فهو أي الدّين، دعا إلى الابتعاد عن الانتحار ونبذه، وكان عاملاً وقائياً ضده، لأن الانتحار يؤدي بالإنسان إلى حياة عبثية وهذا ما عبّر عنه سارتر قائلاً: «هو عبث يؤدي إلى أن تغدو الحياة غارقة في العبث»[1].

كما أن الاندفاع والتهور، وإن كانا من أجل قضية مقدسة، فهما لا يضمنان نعمة الشهادة بقدر ما يؤديان إلى الانتحار، وذلك وفق مضمون النهي الإلهي الوارد في الآية التالية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2].

وقد فسّر العلامة الطباطبائي هذه الآية قائلاً: «ظاهر الجملة أنها نهي عن قتل الإنسان نفسه . . . ولا تقتلوا أنفسكم مطلقة تشمل الانتحار . . . الذي هو قتل الإنسان نفسه، وقتل الإنسان غيره من المؤمنين»[3].

وعن رسول الله (ص) أنه قال: «الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار، والذي يقتحم، يقتحم في النار»[4]، ويشير الشيخ أحمد كفتارو(*) إلى أن «الانتحار رذيلة كبيرة عند الله وعند الناس . . . فالمنتحر نيته وإرادته الانتحار بقتل نفسه»[5]، والانتحار ليس تعبيراً عن

---

(1) شورون جان، الموت في الفكر الغربي، عالم المعرفة، ترجمة كامل حسين، الكويت.

(2) سورة النساء، آية 29.

(3) الميزان في تفسير القرآن مرجع مذكور، ج4، ص320.

(4) المنذري، الحافظ أبي محمد، الترغيب والترهيب، ط1، بيروت، دار إحياء التراث، ج3، سنة 2001، ص300.

(*) د. الشيخ أحمد كفتارو، ـ المفتي العام لسوريا، رئيس مجلس الافتاء الأعلى في سوريا، رئيس مجمع أبي النور الإسلامي بدمشق وعضو في أكثر من مؤسسة إسلامية عالمية.

(5) تجمع علماء المسلمين ـ مسائل جهادية وحكم العمليات الاستشهادية، ط1، بيروت، دار الوحدة الإسلامية، سنة 2002، ص30.

حرية بل نفياً لها، وأن يكون الإنسان شجاعاً هو في مواجهة الصعوبات وليس الهروب منها، وهكذا يمكننا القول إن الانتحار هو مساس بالحياة، والله وحده سيد هذه الحياة.

ومن الأمور التي تدفع الإنسان إلى التضحية غير المنطقية، عدم تمسكه بالقيم الإنسانية والإيمان بالله، فيهتم بالأمور التافهة الصغيرة، فيخسر نفسه وعمره الذي منحه الله ليهدره بأمر محدود، في حالة غضب، هارباً نحو الموت منتحراً ظناً منه أنه يُحسن ما يفعل، هذا ويشير عالم الاجتماع دوركهايم إلى «أن العوامل الأساسية للانتحار تتصل بشك الفرد بمحيطه الاجتماعي والقيود التي تحكمه»[1]. في حين صنّف دوركهايم الانتحار إلى ثلاثة أصناف:

«1 ـ الانتحار الإيثاري، كانتحار الاستشهاد والتضحية والفداء في الحروب (الكاميكازي لدى اليابانيين).

2 ـ الانتحار الأناني (أو الأثري)، وهو يتم تحت وطأة عوامل قاسية ومحن وظروف غير مريحة في الأسرة أو الحلقة الاجتماعية الخاصة.

3 ـ الانتحار الفوضوي، وطابعه الاضطرابات الحادة والأزمات التي تدفع ببعض الناس إلى ازهاق أرواحهم كما يحدث عادة في الأزمات الاقتصادية والبطالة»[2].

فموت المنتحر لا يمكن أن نعتبره تعزيزاً للحياة إلا من طريق سلبي جداً هو حثّ الأحياء على دراسة الظاهرة ومكافحتها.

ويمكننا هنا، أن نرى حالة، أو مفهوماً جديداً، هو الفداء الذي يصنع مواقف متقدمة، لا علاقة لها بالحياة الآخرة، فالفدائي يُضحّي بنفسه، ويُبدع في التضحية، ويكون صاحب موقف، وكلمة، وذلك من منطلق دنيوي، أو قومي، أو وطني، فيبقى ذكره، واسمه، وشجاعته، ومواقفه، وإرادته القوية،

---

(1) Le Monde: Arts et societé. Paru en france. du 18-7-1978. P.8.

(2) د. الدباغ فخري، الموت اختياراً، ط1، بيروت، دار الطليعة، سنة 1968م، ص 48 ـ 49.

في ذاكرة الأمة، ويقتدى به عبر الأجيال؛ لكنه يكون فاقداً للتأثير، إذا كانت مواقفه الفدائية بطريقة استعراضية، وغير مؤثرة، وغير تاريخية.

هذه المواقف البطولية والفدائية، قد يشترك فيها الشهداء الإسلاميون، وغيرهم من الفدائيين، سواء كانوا مؤمنين بديانات أخرى، أو علمانيين وملحدين، وقد يؤثر هؤلاء في واقعهم، وقضيتهم، كما يؤثر الإسلاميون.

إذاً هذه المواقف البطولية والفدائية، تبنى على قيم إنسانية، تتجسد بسلوك الفدائي، من منظار وطني، وإنساني، وقومي، مثلما تبنى على أسس ومنطلقات دينية، رغم الاختلاف القائم بينها، في موجبات الفداء، والتضحية، وفي معنى الموت الجسدي، والحياة الأبدية فيما وراء الموت.

وفي تاريخنا الحديث نماذج رائعة، في هذا المجال، على غرار ما حصل في الحرب العالمية الثانية، بين الولايات المتحدة الأميركية واليابان، حيث أقدم أربعون فدائياً يابانياً، على متن أربعين طائرة انتحارية (الكاميكازي)(*) وانقضوا على الأسطول الأميركي، في ميناء بيرل هاربور سنة (1941)، فكان ولا يزال الفدائيون اليابانيون الأربعون، نموذجاً للفداء، لكل الأجيال وقدوة لكثير من العمليات الفدائية وحتى الاستشهادية لتشهد المجتمعات اليابانية أنه: «في التقاليد اليابانية، إن إعطاء الموت لأحد يعني أن نعرف كيف ننتصر ونخلّص بشجاعتنا شرفنا أمام الخصم»[1]. من هنا نرى أن قيماً إنسانية لا تتبدل في كل زمان ومكان تتجسد من خلال بعض الناس في إنماء قيمة الحياة الحرة. لكن هذا الموقف لهذا النوع من الفدائيين غير مشبّع بعقيدة الانبعاث بعد الموت.

(*) الكاميكازي هو انتحار الفرد من أجل سعادة وإنقاذ جماعته، والكاميكازي اسم «الريح المقدسة» التي انقذت اليابانيين من هجوم المغول في القرن الثالث عشر الميلادي. د. الدباغ فخري، الموت اختياراً، ط1، بيروت، دار الطليعة، سنة 1968م، ص28.

(1) Le Monde: Art et societé. Paru en france du 18-7-1978, P.8.

وبالعودة إلى كلمة استشهاد، لم تكن قديمة، بمفهومها المتعارف عليه حالياً، فكثير من البشر ضحّوا بأنفسهم، من أجل قضية عادلة، ولم تطلق عليهم صفة الاستشهاد.

ويعرّف الشهيد مطهري الاستشهاد بأنه «الموت الذي يتجه نحوه القتيل تحقيقاً لهدف مقدس، إنساني، أو في «سبيل الله» على حد التعبير القرآني مع ما يحتمله، أو يظنه أو يعلمه من أخطار في طريقه . . .»[1]

وبما أن الاستشهاد في مشهور ما قِيل هو قتل النفس في سبيل الله، فنحن هنا نريد لهذه الكلمة أن تأخذ معناها الشريف، والموضوعي، المنزّه والبعيد عن كل الملابسات.

فطريق الاستشهاد شاق، ويتطلب الكثير من التعبئة الثقافية، والنفسية، والعسكرية والأمنية، وقبل كل شيء التعبئة العقيدية، لأنها تشكّل الحد الفاصل، والمرتكز الأساسي لحركة الصراع، وفي حين أن كلمات عديدة، دخلت لغتنا العربية، وأثبتت وجودها، ومنها كلمة «استشهاد»، التي فرضت نفسها في ساحات الصراع، وأكّدت تاريخاً مليئاً بالمحطات والمفاصل، وما زالت في محيطنا، وواقعنا شائعة ومتداولة، فإن العمليات الاستشهادية، شكّلت ظاهرة قلّ نظيرها، في تجارب الشعوب المعاصرة، وحطّمت حاجز الخوف، الذي أراد العدو أن يقيمه، في لا وعي الأمة، ليسقط روح الحرية، والإرادة لديها، وهذا أحد أهداف العمليات الاستشهادية، أي تحقيق استنهاض الأمة.

فمن هو الاستشهادي؟ ومن أي معين ينهل فكره؟ ومتى نحتاجه. وما سر قلة الاستشهاديين وكثرة الشهداء؟ وما دور الاستشهادي وفعالية عمله ضد العدو؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة، تساهم في إزالة ما يحيط بفعل الاستشهاد

---

(1) مطهري، مرتضى، شهيد يتحدث عن شهيد، ترجمة بقية الله الأعظم، ط1، بيروت، الدار الإسلامية سنة 2000، ص15.

من ملابسات. وبهذا المعنى، نشير إلى أن الاستشهادي، هو الإنسان الذي اعتنق المبادئ والعقيدة الإلهية متجهاً نحو هدفٍ سامٍ يقدم نفسه في سبيل الله، وبموته يستطيع أن يُبدّل المعادلات، ويخلط الأوراق، ويتجاوز مشاعر الإنهزام ليصبح الرهان عليه أمراً حيوياً، في الصراع، وضرورة وجودية كخيار نوعي، بهدف كسر المعادلات القائمة على موازين القوى، وتجاوز الفارق الشاسع في العدة والعتاد، وبالتالي فإن اللجوء إليه، وتحديداً في حالات الضرورة الحاسمة والحساسة، قد يعطي التيار الذي ينتمي إليه، والقضية التي يجاهد من أجلها إضافة، إلى شعبه ووطنه، المعنويات العالية، بعد إلقاء الرعب في نفوس الأعداء، والثقة بالانتصار في نفوس أصحاب القضية.

فالمكانة التي يصل إليها الاستشهادي، والأثر الذي يحدثه في الأعداء، والأمل الذي يخلقه عند أصحاب القضية، لديها من العوامل التي تخفف من وقع الخسارة على أهالي الشهداء كافة.

من هنا نرى أن حركة الاستشهاديين ليست سهلة، كما أنها تحتاج إلى جهد كبير يُحتّم على معلميهم ومرشديهم وقيادييهم التميّز بالعقلانية والدراية والخبرات المختلفة. وهذا يتطلّب إعداد الاستشهادي بتعبئة فكرية ب كما يتطلب تعبئة عسكرية، وهو ما يشكل عاملاً حاسماً في تكبيد العدو خسائر فادحة، ويتطلب أخيراً، تعبئة تنظيمية، تجعله شديد الالتزام بالقرار الشرعي، والسياسي، الذي يُحدّد اللحظة المناسبة، لفعل الاستشهاد، لكي لا يتحول إلى رغبة بالتضحية، خارج سياق التأثير السياسي، والعسكري، والنفسي لدى أصحاب القضية والأرض، كما لدى الأعداء في نفس الوقت.

وهذا ما يفسر الأثر الذي تركته المقاومة الإسلامية، خارج المدى الجغرافي لجهادها، من أجل تحرير لبنان، حيث بدأت ثمرات تجربتها بالظهور، في مقاومة انتفاضة الشعب الفلسطيني، ولجوء معظم تياراتها إلى خيار الاستشهاد، والتجربة التي أثبتت أن بإمكان العين أن تنتصر على المخرز، أصبحت إنموذجاً يحتذى به. وبهذا المعنى يقول عبد الله الشامي أحد مسؤولي

حركة الجهاد الإسلامي(*) ـ فلسطين: «إن العمليات الاستشهادية، ستبقى سلاحاً استراتيجياً لدى الجهاد الإسلامي، ولكل المجاهدين لما تحققه من توازن رعب، بيننا وبين العدو، حتى يتم استخدام أساليب جديدة أشد تأثيراً»[1] . . . ويتابع «إن عدد الاستشهاديين، يتزايد بصورة عجيبة في هذه الحقبة، والذي يجعل كيان العدو الصهيوني يشعر بانعدام الأمن»[2].

حيث أراد الاحتلال الإسرائيلي إثبات عدم جدوى أي مقاومة، فإن الاستشهاد لم يتأخر في إظهار نقاط الضعف في مقولة «الجيش الذي لا يُقهر . . .». «فالاستشهاد يسقط فعالية القوة العسكرية التي تهدد بالموت من يخافونه، لكنها تعجز عن التأثير على المقبلين عليه. وقد انتشرت روحية الاستشهاد بفعل الالتزام الديني المرتبط بالمنهج الإسلامي»[3]، ذلك أنه ومنذ بداية الاحتلال الإسرائيلي للبنان عام 1982م، ظهر سلاح العمليات الاستشهادية بعد أقل من شهرين على احتلال العاصمة اللبنانية ـ بيروت، ونفذت أول عملية استشهادية في مدينة صور، وهي عملية الاستشهادي أحمد قصير، ضد مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي، ومما قاله إسحق رابين في هذا السياق: «لم يقع حادث ينقل فيه واحد من منظمة التحرير الفلسطينية سيارة كما شاهدنا هذا الأسبوع ويحملها بالمتفجرات ويحوّل نفسه إلى قنبلة بشرية»[4].

هذه العملية ومثيلاتها كانت تحصل في أوقات متباعدة، وبخاصة عندما تكون الأمة مهددة في الصميم، أو بحاجة إلى نقلة نوعية، متقدمة، أو غارقة في

(*) حركة جهادية إسلامية في فلسطين، كانت ولا تزال لها الدور الأساسي في الانتفاضة والمقاومة في فلسطين قامت إسرائيل باغتيال أمينها العام الدكتور فتحي الشقاقي عام 1995م.

(1) أحمد، عماد، جريدة الانتقاد ـ بيروت، شركة الضحى للصحافة والإعلام، 15/ 6/ 2002، عدد 905، ص9.

(2) م.ن، ص1.

(3) قاسم، نعيم، حزب الله المنهج التجربة، المستقبل، ط1، بيروت، دار الهادي، سنة 1423هـ ـ 2002م، ص105.

(4) جريدة العهد، بيروت، مركز الثقافة والإعلام، 23 جمادي الثانية سنة 1405هـ، العدد 38، ص5.

لجة اليأس والملل. فالعمليات الاستشهادية تعيد الأمل إلى الشعب، ومن هذه العمليات التي حصلت في أوقات حساسة ودقيقة ومناسبة نذكر عملية الاستشهادي «عامر علي كلاكش» (ابو زينب)، التي حصلت بتاريخ 10/ 3/ 1985 الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، في جنوب سهل الخيام، على بعد (100) متر شمالي مستعمرة المطلة، قرب الحدود اللبنانية الفلسطينية المحتلة، وكانت رداً على مجزرة بئر العبد، في ضاحية بيروت الجنوبية في محاولة لاغتيال سماحة السيد محمد حسين فضل الله، بأداة لبنانية، ومؤامرة إسرائيلية أميركية، جاءت هذه العملية بعد اقل من 48 ساعة على مجزرة بئر العبد، لتعيد العافية والأمل للمقاومة وشعبها، ولعوائل الشهداء، وللأحرار في هذا الوطن.

هذه العمليات الاستشهادية النوعية، شكلت مفاجأة صاعقة للعدو الصهيوني، سواء بإسلوبها، أو بالنتائج التي أسفرت عنها، في شتى المجالات، حيث أن العبرة من تلك العمليات، لا تتوقف على حجم الخسائر البشرية التي تلحق بالعدو فحسب؛ بل على حجم الآثار المعنوية السلبية التي يمكن أن تخلفها في صفوفه. كذلك الآثار المعنوية الإيجابية التي تزرعها في ثقافة الأمة. وما يبررها، أنها تستهدف إلحاق أكبر ضرر بالخصم وهو عنصر رئيسي ومبرر للعمليات الاستشهادية، لأن ذلك يعني أن العملية ضرورية، وأنها تحقق ما لا يحققه أي بديل آخر متاح، إلا أنها ترتبط أيضاً بالجانب القيمي، والمعنوي للأمة لأنها تتم في إطار تضحية، وأنها تتم في نطاق من السرية، وبعيداً عن المغريات الإعلامية، ومن يقوم بها، لن يحقق مكسباً مادياً، واستطاعت المقاومة بعملياتها الاستشهادية، أن تحقق ما عجزت عنه ميادين النضال السياسي، والمحاولات الدبلوماسية، وأنهت دماء الشهداء السجال، حول قضية الانتماء والهوية، حيث شكلت هذه العمليات محوراً أساسياً للوعي العربي، والإسلامي، وحالة ضغط على الكثير من الخيارات السياسية والفكرية داخل هذا المجتمع.

هذا النوع من العمليات، يُعيد إنتاج روح التضحية، والجهاد، في الأمة،

ويرسّخها بوصفها إرادة حياة عزيزة لا تقبل النقض. إنها إرادة للحياة بأكمل معانيها، حيث القيم والمبادئ، وأنها إرادة نحو الموت، لكن ليس الموت السلبي المناقض للحياة: فالاستشهادي يريد الموت، يريده طائعاً مختاراً، يقبل عليه بنفسه، وهو بذلك يدعو الإنسان، في كل مكان وزمان، إلى عدم انتظار الموت حتى يتهادى إليه، إنما يتقدم إليه، لأنه يدرك أن الموت جزء من الحياة ومكمل لها. ويمكن القول، إن روح الاستشهاد تتضمن إرادة الحياة الكريمة، التي تعني سيطرة الإنسان على الحياة من أجل الحياة، أي من أجل الارتفاع بالحياة إلى أعلى مراتبها، فالاستشهادي يحمل رسالة واضحة إلى أمته مفادها: ليس المطلوب أن نحيا حياة طويلة، بل أن نحيا حياة حافلة، وخصبة، وزاخرة بكل ما هو إنساني وشريف، كما قال الشاعر:

عـش عـزيـزاً أو مـت وأنـت كـريـم بيـن طعـن القنـا وخفـق البنـود[1]

وهو بذلك، إنما يعبّر عن الامتلاء بهذه المعاني واكتمال نضجها فيه، وعندها يصبح شعوره بالحاجة إلى الموت شديداً، لأنه التاج الذي سيتوج به حياته، وبذلك يجعل من موته عيداً بعد ألم، ألم فراق الأهل والأحبة، إنه الموت الإرادي، لكن على نحو آخر، حيث يريده حراً مدركاً، لا صدمة فيه ولا مفاجأة، إنه الموت المناسب في المكان والزمان المناسبين. فالاستشهادي لا ينتظر الموت حتى يحدد له مكان موته وزمانه، بل هو يحددهما لنفسه، حيث الزمان زمان القضية، والمكان مكان القضية، ولا ريب، أن الذي يتسنى له أن يموت في الزمان والمكان المناسبين، يتسنى له أن يحيا في الزمان والمكان المناسبين.

وانسجاماً مع مضامين ودلالات العديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فإن أجلّ موت هو أن يكون موت جهاد، حيث تبذل فيه نفس كبيرة

(1) ديوان المتنبي، شرح نخبة من الأساتذة، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، لا ط، لا ت، ص72.

وحرة، وهذا النوع من الموت هو وحده الذي يمكن توصيفه بالوجه الآخر للحياة؛ لأن الموت الإرادي المتطلع نحو الأعلى، هو في الواقع عمل من أعمال الحياة، وفعل نقوم به نحن الأحياء، لنرتفع به فوق الحياة ولنعلو عليها، وفي الوقت نفسه نرفعها ونعلو بها، نعم هذا الفعل الصادر عن الحياة، فيه قضاء على حياة، لكن هذا القضاء شيء، اختارته الحياة نفسها، لكي تعلو على نفسها، تحقيقاً لمبدأ ارتقاء الحياة، ورفعها إلى أسمى مستوى.

وفي هذا السياق، يندرج الاستشهادي تحت عنوان الاستشهاد، الذي هو العنوان الأكبر للموت الإرادي، فالاستشهاد هو الوسيلة وهو الغاية، هو الفعل وموضوع الفعل، هو القضية في ذاتها ولذاتها، لأن الشهادة شهادتان: شهادة على الحياة، وشهادة من أجل الحياة، يشتبك فيها السلب والإيجاب في جدلية مفارقة، إنها «نعم» و «لا» في آن معاً. لا ترفض، بل تنقض كل وجود لا مكان فيه للعزة والكرامة، للعمل والمساواة، للسمو والرفعة ب وتثبت كل وجود أو مسعى، لتوكيد كل وجود هو بذاته الصورة الحقيقية للحياة الحقة، التي أرادها لنا الله سبحانه وتعالى.

لهذا كله، كان للعمليات الاستشهادية أبعد الأثر، وأقرب النتائج وأبعدها، فهي، من جهة، تهزم العدو مادياً ومعنوياً، ومن جهة أخرى، تخطو بروح الأمة نحو الأعلى، وتجعلها واثقة من نفسها، بصيرة بأمرها وأمر عدوها، مدركة واعية لما تريد. فالاستشهادي مؤثر فاعل على ما في روح الأمة من طاقات وقدرات، وحجة دامغة في آن على أحقية قضيته، لأن القضية التي يبذل صاحبها لأجلها أغلى ما لديه، إنما يؤكد على سموها ونبلها، وبالتالي يرفعها إلى أعلى المراتب، والمستويات ويجعلها هدفاً مقدساً.

ونستنتج مما تقدم أن الاستشهادي، بحسب رأي السيد محمد حسين الطباطبائي: «أن أمر المقاتل في سبيل الله ينتهي إلى أحد عاقبتين محمودتين: أن يقتل في سبيل الله، أو يغلب عدو الله وله على أي حال أجر عظيم. ولم

يذكر ثالث الاحتمالين وهو الانهزام، تلويحاً إلى أن المقاتل في سبيل الله لا ينهزم، وقد قدّم القتل على الغلبة»[1].

فالهدف عند الاستشهادي هو النصر، ويبقى في اختبار مستمر حتى ينكشف واقعه ويتضح طريقه، وتظهر حقيقته، ويتعرض لمواقف حرجة وحساسة، وهنا تنكشف ذاته، واستقامته، ويعرف مدى التزامه وقناعته بهدفه، ويزداد حباً له أكثر من حبه لنفسه، والأولوية تكون للقضية، فلا تهمه زخارف الدنيا ومغرياتها، ولا تثنيه عن هدفه أية مغريات، والشهادة توأمها النصر، ولا ثالث لهما، لذا تستوجبان أفراداً، يمتلكون الصفات التي تحملهم إلى هذين الهدفين، وأهم هذه الصفات: الكفاءة العالية إيمانياً وفكرياً وشجاعة متقدمة.

وقد أصبحت ظاهرة الاستشهاد مثالاً بارزاً في العصر الحديث، استمدت عظمتها من مقولة انتصار الدم على السيف في كربلاء، هذا الانتصار الذي لم يكن ليتم لو لم يعتصم الاستشهادي بالإيمان، الذي يتماهى به الاستشهادي مع القديسيين، وبخاصة حينما يذوب في هذا الإيمان ذوباناً كاملاً، ويسلم أمره إلى خالقه الذي لا يشك لحظة في نصرته، الأمر الذي يولّد فيه قوة خارقة، تعصمه من كل ضعف أو وهن، فيقدم على مقارعة العدو بقلب عامر بالإيمان، فينتصر ويهزم عدوه، ويغدو عامل إقناع للآخرين: بأن ثمة قوة خارقة، لا شك تحرس الاستشهاديين، يتناقلها الناس، من دون أن يتأثروا بما يحاك من أقوال أخرى، ولعل هذه الظاهرة، بما نجم عنها من انفراج أسارير عند فريق من الناس، يقابله اضطراب وإرباك عند فريق آخر، غدت لغزاً تحوّل سؤالاً، يردده كل إنسان، ما السّر الكامن في حنايا هؤلاء الاستشهاديين؟ وما نوعية العقل الذي يقنعهم بما ندبوا أنفسهم إليه؟ لغز وسؤال، شكلا. مادة لجدل فلسفي، وفقهي، دأب في الماضي والحاضر على تناول هذه الظاهرة، ووضعها بين جدلية الحياة والموت وثوابت الإيمان بالعقائد والشرائع . . .

---

(1) الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج3، ص277.

ثانياً: فلسفة الاستشهاد

لا يمكن للتاريخ أن يتجدّد ويستمرّ لولا المتغيرات التي تفرضها الظروف الناشئة قبل وبعد أي حدث مهم، لذا لا يمكن للتاريخ أن يشيخ أو يهرم، لأن الزمان والمكان يشهدان تبدلات مثيرة تجعل الواقع متحركاً بسرعة تفوق القدرات والإمكانيات.

وإذا كان لهذا التاريخ أن يستوعب الظواهر ويحوّلها إلى ثقافة مستمرة بعد أن يخضعها لقوانين علمية تحسم الجدل والنقاش، فإن ثمة ظواهر نشهدها عصيّة عليه لأنها ما زالت خارج دائرة القوانين، وعصيّة على القدرات الحسية وغيرها، ونخصّ منها ظاهرتي القوة المتغطرسة والاستشهاد.

ظاهرتان متباعدتان في النشأة وفي المفهوم، شهد التاريخ للأولى تفوّقاً مادياً مصحوباً بالرعب المتلازم حكماً مع سلوكية عدوانية سادية يتلذّذ صاحبها بعذاب الآخرين. وهذه الظاهرة، الفلسفة، محكومة ظاهرياً بالغطرسة والطغيان، لكنها ضمنياً تكاد تكون أوهن من بيت العنكبوت، وإذا كان من شاهد حي على ذلك، فإن افضل من يمثله الكيان الصهيوني، الذي لم يشهد أبناؤه لحظة هدوء وطمأنينة عبر التاريخ بالرغم من ترسانة الأسلحة والتفوّق العسكري، والدعم المفتوح من الولايات المتحدة الأميركية والغرب.

شهد التاريخ للثانية بضعف مادي مصحوب بقوة الدم والإرادة حار المحللون في توصيفها؛ كما عجزوا حتى الآن عن فك رموزها، وقد لا يتمكنون، لأنّ تجسيدها النوعي ظهر في القرن الأول للهجرة حين أرسى الحسين قواعد الاستشهاد وأرهب المالك لعناصر القوة، وما زالت عصيّة على الفهم والاستيعاب.

وقد عادت ظاهرة الاستشهاد المتمثلة بالمقاومة الإسلامية في لبنان إلى الواجهة لتتصدى لفلسفة القوة المتمثلة بالكيان الصهيوني.

وإذ تكشف ظاهرة الاستشهاد نقاط الضّعف الكامنة في غطرسة القوة، وحيث تميل كفة الاستشهاد على حساب كل فلسفة تعتمد القوة وسيلة للقهر انطلاقاً من جدلية الموت أو الحياة وفق شروط القوي وحده؛ يبرز السؤال ليتمثل لغزاً يخيل للناس أنه عصيّ على الحل وهو كيف تتمكن فلسفة الاستشهاد من إنتاج آليات القوة من الضعف، وكيف تحيل السياسة القائمة على القوة إلى ضعف؟ قد يقدّم الاستشهاديون أنفسهم إجابة على هذا السؤال تجعلهم أكثر قدرة على التماهي مع قوة أشد فعالية من القوة المادية، أي قوة الإيمان التي تفرّق بين الموت والخوف من الموت بحيث يقضي اختيار الموت على كل فلسفة القوة القائمة جوهرياً على مبدأ التخويف من الموت، هذه الفلسفة المتلازمة مع الموت الحتميّ، كأقصى حالة يستحضرها الإنسان مهدداً ومتوعداً سواه، يعتصم بها الاستشهادي ويقدم عليها بنفس مطمئنة وليس لديه أدنى شك في الظفر بالجنة التي يوعدها، وهو إذ ذاك يحشد كل طاقاته ليغدو إنساناً حراً يرفض الهزيمة ليربك عدوه ويقضي على معنوياته وعلى تمسكه بفلسفة القوة.

شكّلت هذه المفردة البسيطة مادة مميزة تناولتها بالدراسة والتحليل علوم عديدة كعلم الاجتماع بغية صياغة نظرية تفسرها، ولا غرابة في ذلك، لأنها، بتلازمها مع الشهيد، تعتبر مصداقاً للآية الكريمة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

(1) سورة آل عمران، آية 169.

فالشّهيد في ضمائر الناس، وهو والاستشهادي سيان يرتويان من معين الإيمان الذي لا تقربه فلسفة القوة التي لا يمكن أن تستمر أو يكتب لها البقاء والخلود باعتبارها رهينة عناصر مادية يتجاوزها الزمن الذي لا يقوى على تجاوز خلجات الإيمان في قلب الاستشهادي.

وإذا كان لفلسفة القوة أن تهيئ بعض النصر لمعتنقيها، فإن فلسفة الاستشهاد تحوّل الانتصار إلى هدف مأمول تكشفه تداعيات الغطرسة العسكرية وتراجع شمولية الأطماع وبروز لغة البحث عن حل للصراع. وهو هدف لا تضعف واقعيته حالات اللجوء إلى الاستخدام المفرط للقوة بقدر ما تجعله أكثر قابلية للتحقّق.

بين فلسفة الإستشهاد وفلسفة القوة تباين فكري واضح؛ كما بين الاستشهاديين الذين يمثلون فلسفة الاستشهاد وبين الصهاينة الذين يمثلون فلسفة القوة حرب ضروس يحالف النصر فيها الاستشهاديين الذين زرعوا الرعب في هذا الكيان قيادة ومجتمعاً، على ما تظهره حالات الهلع التي تنتاب مؤسسات الاحتلال الصهيوني بعد كل عملية، في التصريحات الصادرة عن قادتهم حيناً وفي صحفهم أحياناً أخرى.

فإثر عملية الاستشهادي أحمد قصير على سبيل المثال لا الحصر، أشارت صحيفة دافار الإسرائيلية في عددها الصادر بتاريخ 12/ 11/ 1982 إلى القول «لقد تبدّد الوهم الساذج الذي يقول إن حياة الإسرائيليين ستكون في منأى من الخطر ب على جيش الدفاع أن يغادر لبنان سريعاً»[1].

وإثر عملية مدرسة الشجرة في صور يقول رئيس حكومة الكيان الصهيوني الأسبق إسحاق رابين «إن الجيش الإسرائيلي في لبنان يواجه موقفاً صعباً ب لأنه يواجه أشخاصاً على استعداد للتضحية بأنفسهم بهدف قتل أكبر عدد ممكن من الناس . . .»[2].

---

(1) العهد، بيروت، 10 تشرين الثاني سنة 1995م، العدد 609، ص6.

(2) م.ن.

وبعد عملية الاستشهادي علي أشمر الذي قتل فيها النقيب الصهيوني «صالح زيدان»، «صرّح شقيقه «يامن» بعزوفه عن الالتحاق بلواء غولاني بعد أن كان متحمساً قبل قتل أخيه، في حين أن أمّه دعت إلى الخروج من لبنان معتبرة بأن الأرض ليست لها بل للأمة اللبنانية»[1].

هذه المواقف المتواترة شكلت مقدمة وأرضية للحدث الذي شهدته الأرض اللبنانية في «أيار 2000» حين حمل العدو عتاده واندحر، ليتحقق الحلم الذي كان فرضاً محالاً، وانتصر الإيمان وفلسفة الاستشهاد على الغطرسة وفلسفة القوة.

وقد تعرضت ظاهرة الاستشهاد لتأويلات وتفسيرات يمتزج فيها الديني والسياسي والقومي ـ الوطني والنفسي والثقافي ب كما أحاطت بها مجموعة من الأسئلة سنحاول الإجابة عن أهمها في هذا المدخل.

هل الاستشهاد مجرد تغيير نوعي في موازين المواجهة العسكرية؟

تحتاج المواجهة مع العدو إلى زخم وقوة لا يتولدان عفوياً، والعمليات الاستشهادية هي التي تسهم وبشكل نوعي في ترجيح قضية النصر على الهزيمة، لأنها تعطي النهج زخماً لدرجة أنها تصبح معادلة في وجه الآلة العدوانية، ألم نرَ أن مواقف الاستشهاديين الصلبة والجريئة التي تمثلت بعملياتهم الاستشهادية فاقت قصف المدفعية والطائرات وفرضت معادلة بين وقف العمليات الاستشهادية وبين وقف القصف بالطائرات، إن في هذا ما يؤشر بوضوح إلى إمكانية العمل الاستشهادي في إثبات قدرته على تفكيك عناصر القوة وتجريدها من جدواها في التفوق العسكري والقتل العشوائي والسيطرة المستقرة.

والاستشهاد سلاح لا يملكه أي فرد ما لم تتوافر فيه الإرادة الصلبة والإيمان الراسخ، فالمؤمن لا يملك في وجه العدو سوى جسده الذي يفجره

---

(1) م.ن. 29 آذار سنة 1995م، العدد 629، ص4.

ليتحول معه «الفعل الاستشهادي إلى أسلوب يلجأ إليه أفراد مميزون للدفاع عن جماعة أو هوية أو قيمة ما، في ظل اختلاف موازين القوى لمصلحة العدو، وخلف ذلك ينعقد كمّ هائل من السياسي والثقافي والنفسي والاجتماعي . . .»[1].

وانسجاماً مع سياساتهم ومصالحهم، عمد السياسيون، من حكام وسواهم ممن لا يقتدون بالإسلام، إلى مجاراة الظالمين في نظرتهم إلى الاستشهاد، وانبرى بعض الفقهاء يحرم العمليات ضد المدنيين الإسرائيليين، والبعض الآخر يحرمها حتى ضد العسكريين الغاصبين، وكأن للمستوطنين الصهاينة وجيشهم الحق في الوجود على أرض طردوا أهلها واغتصبوها وأقاموا مستعمراتهم عليها.

إن العمليات الإستشهادية ترقى إلى قداسة الرسالة. وعليه لا بد للاستشهادي أن يصل إلى درجة الذوبان في العقيدة، ليصبح قوة حقيقية فاعلة ومؤثرة محصنة بتعبئة عقائدية مركزة والتزام صارم، وهو ما استطاعت أن توفره بعض التنظيمات الإسلامية التي أثبتت وباستمرار فاعليتها في الصراع مع العدو الإسرائيلي بعد أن فرضت بسلوكياتها وتضحياتها على الفقهاء الذين كانوا يرفضون العمل الاستشهادي أن يؤيدوا عملياتها ولو بخجل ولمدة معينة برغم عدم اعتقادهم بحليتها، وعليه كان للحركات الإسلامية أن تخرج عن نطاق الفقيه السلطاني الذي أصبح دوره هامشياً وغير حاسم في المشروع الذي بات يقرر أمور المسلمين، وتتجاوز العمليات الاستشهادية مواقفه التي نالت من قدسية القضية وأسلوب المواجهة كما تتجاوز تلك الأبعاد التي يقدمها هذا الفقيه أو سواه تبريراً لموقفه السلبي، لأن العمل الاستشهادي وبالإضافة إلى ما ذكرنا هو ظاهرة اجتماعية ثقافية عامة تتجاوز خصوصية العمل الفردي، لتذوب في المجتمع كله بعد أن يقدم الاستشهادي روحه وجسده في سبيل الله والإنسان،

(1) إبراهيم إسماعيل، جريدة السفير، تاريخ 18/6/2002، العدد 9225، ص 19.

متفاعلاً مع عمله ليرتقي فوق كل عمل، وتصل آثاره إلى عموم الشعب الذي ما يلبث أن يتفاعل مع القضية؛ ويحدث التحول ليصبح الاستشهاد نموذجاً يعصى استيعابه على الكثيرين وتغدو العمليات الاستشهادية سلاحاً ماضياً قادراً على تغيير المعادلات والشروط والحلول.

هل الاستشهاد هروب من اليأس إلى الموت؟

يشكّل الاستشهاد ظاهرة اجتماعية ثقافية، تختلف عن أي عمل جهادي آخر، وتستلزم ما تستلزم من تعبئة فكرية وعقيدية محاولة التأكيد على إنسانية الإنسان وتأصيل قيمته الوجودية ومرجعيته الاجتماعية والسياسية، ويقتضي ذلك، الهدوء والرويّة والحكمة في الإعداد أو الإقدام على الاستشهاد، كي لا يعتبر المشككون بجدوى العمليات الاستشهادية، أنها غير ضرورية مستندين إلى المقارنة بين حجم الخسائر والعملية بحد ذاتها، علماً أن مثل هذه العمليات لا تقاس بحجم خسائر العدو، بقدر ما تسببه من عمل متفاعل ومتوقد في داخل الوطن الذي يستوجب دعماً إعلامياً وثقافياً كي يتسنى للمقاومة المسلحة أن تخلق واقعاً ميدانياً يُغذّي مشروع التحرير مصحوباً بخطاب سياسي وثقافي وأخلاقي يميز بين الاستشهاد ـ وظواهر العنف، ومنها الانتحار، لمواجهة الرأي الدولي الساعي إلى الحطّ من شأن الاستشهاديين بعد أن يساويهم بالإنتحاريين الذين يقدمون على عملهم نتيجة أزمات نفسية متراكمة تحمل صاحبها إلى الموت.

إن فلسفة الاستشهاد تشبَّعت بموروث إيماني، قام على تعبئة روحية، واجتماعية ونفسية، وكشف عن الدوافع الخفيّة لأعمال العنف واختلافها عن الاستشهاد. لذا علينا التطلّع إلى الخلفية الحقيقية لاستراتيجية المقاومة، وهذا يعني: أن العمل المقاوم البعيد المدى، دأبه حلحلة الأزمة الاجتماعية، والنفسية، باجتهادات، وثوابت، تصبح، فيما بعد، من المسلمات، ليلقى الاستشهادي ربه مطمئناً، وهو الذي أدى تكليفه المفروض، بعيداً عن العنف، والانتحار، الذين يتولدان من التّسرع، وعدم الدراية واليأس.

فالخيط الفاصل بين الاستشهاد والانتحار، هو تلك الدراية، والفهم العقيدي، وحجم القضية وعاتقها على الإنسان، وكذلك التعبئة النفسية والعقيدية. وفهم الموت بأنه حب للقاء الله، وليس هروباً من الواقع، باتجاه المجهول كالانتحار، بل على العكس إنه موت فيه بدء الحياة، وعشقها، استقراراً إلى آخرة خالدة وحياة لا تفنى فيها العدالة والمحبة.

«فالمقاومة القائمة على فلسفة الاستشهاد هي مشروع حياة مثلما هي مشروع شهادة، واستراتيجية استمرار مثلما هي استراتيجية تضحية وعطاء، ورؤية وأمل وأمان مثلما هي رؤية مواجهة وقتال وتحرير للإنسان مثلما هي تحرير للأرض، إن حساباتها لا تقوم على معادلة الربح والخسارة، وهي ليست مجرد مقارنة رياضية لحجم الخسائر البشرية والمادية بين طرفي الصراع، بل هي حسابا وجود وحياة ومقومات استمرار»[1].

هل الاستشهاد سلوك ينتمي إلى عالم السياسة والحرب أم إلى عالم الإيمان والايديولوجيا؟

لكل نهج أيديولوجية، وأيديولوجية الاستشهاد الإيمان المطلق، والذوبان في الله. وللوصول إلى هكذا مرحلة، لا بد من قراءة الظروف السياسية، والقتالية، السائدة في ساحة الصراع، «وفي ذروة المعركة مع إسرائيل تتأكد الحاجة إلى مواكبة فكرية وفقهية للعنوان القتالي. تستعيد عناصره المغيبة وتكشف متغيراته وثوابته وابعاده الجديدة، وتخلق تكاملاً مفهومياً بين مسألة القتال أو الاستشهاد وبين منظومة القيم الروحية والأخلاقية»[2].

فالسياسة والحرب لا يستقيمان من غير أيديولوجية تسوغهما وتكون مفصلاً هاماً في ساحة الصراع. وفي حالة الاستشهاد، فإن من شأن

(1) قانصو، وجيه، جريدة السفير، تاريخ 28/ 5/ 2002 العدد 9207.
(2) م.ن.

الأيديولوجية العمل على الإرتقاء بالاستشهادي إلى أعلى مرتبة في التضحية، والوصول إلى نتيجة يسعى إليها كل مؤمن، فكيف والنتيجة العقائدية هي جنة، عرضها السماوات والأرض؛ فالإرادة والرغبة بالموت لا بد وأن تمنحا صاحبهما قيماً رفيعة، كما تستلزمان تعبئة مكثفة، وواعية، ومنظمة، سياسياً وعسكرياً، وإلا فكيف يقدم الإنسان على عمل خارق، فيه تغيير لمسار معركة، بفضل فعالية موته، ولا يعرف الظروف السياسية المحيطة به، ولأي خط ينتمي سياسياً، ومن هم أعداؤه السياسيون، وكيف يقوم بعملية نوعية، وهو جاهل بالأساليب والطرق الحربية، إنه يحتاج إلى إيمان، وعقيدة، لتمكنه من القدوم بثبات وعزم، على الاستشهاد، لنصرة دينه ووطنه، ضد أعدائهما من المحتلين والطغاة.

هل يرجع الاستشهاد إلى مأزق اجتماعي نفسي أم يعبّر عن ذوبان كليّ بالقضيّة؟

إنّ الظروف المحيطة بالإنسان، من إجتماعية ونفسية وغيرها، قد تدفعه إلى قتل نفسه أحياناً، وبما أن الاستشهاد هو نوع من قتل النفس، يعمد البعض إلى اعتباره انتحاراً متجاهلين خصوصياته التي يتفرّد بها. إذ أنه حالة عشق لله، تلغي كل الفوارق بين الناس، لذا نجد بين الاستشهاديين، العديد من المجاهدين الذين بمقدورهم أن يؤمنوا لأنفسهم أحسن وأفضل حالة نفسية واجتماعية، كما بمقدورهم أن يصلوا وينالوا ما يشتهون من الدنيا. لكن توقد حب الله في أفئدتهم، نزع منهم حب الدنيا، وأجّج فيها حب اللقاء بالله تعالى ليزدادوا هدى، ويسلكوا طريق الموت الذي يصنع الحياة الكريمة. المؤمنون الصادقون هم الذين يقدمون على الاستشهاد بعد أن يتشبعوا بفلسفته، ومنهم العلماء الذين يكتنزون علم الله ورسوله بعد أن يخضعوا لإختبارات دائمة تحوّلت إلى امتحانات اعتبرت من أهم الركائز التي ترتكز عليها عقيدتهم كإستشهاديين.

هل الاستشهاد ظاهرة عابرة أم أنها تمتد في الزمن وتكرّر نفسها في ظروف متشابهة؟

أينما وُجد الظلم وجدت المقاومة بشتى أساليبها، والاستشهاد أحد الركائز المهمة في الحرب، وسلاح نوعي يعوّل عليه في الشدائد، ولا يمكن أن يوجد إلا في العقيدة الراسخة، وإن كان بعض منه موجوداً في بعض الأيديولوجيات القومية أو الوطنية.

والاستشهاد بتعريفه، وبنتائجه، هو من أهم ركائز الحركات الإسلامية على مرّ التاريخ، لقد مورس أيام النبي (ص) حيث يطلعنا التاريخ الإسلامي أن سمية بنت خياط، والدة عمار بن ياسر، أول شهيدة في الإسلام، بعد أن أبت أن تركن لأبي جهل في شتم الرسول وذكر الله بسوء. فصاح بها: لتذكرن آلهتي بخير، ومحمد بسوء أو لتموتن؟ فقالت له: بؤساً لك ولآلهتك . . . فضربها بحربة . . . ومضى يطعنها حتى قضى على حياتها . . .»[1].

وفي مصاديق الاستشهاد وأيام الرسول (ص) هي مبيت الإمام علي بن أبي طالب (ع) في فراش النبي (ص) وإن لم تصل القضية إلى خاتمتها، بسبب تراجع الأعداء في كربلاء، حيث الإمام الحسين (ع) الذي أوقد وكرّس هذه الحالة بإيمان راسخ وروح عالية، ووعي كبير، وبات على كل توّاقٍ إلى الحرية، أن يتماهى مع الاستشهاديين وبخاصة الحسين، ليعلم مؤدى الشهادة والاستشهاد، لأن الحسين لم يقدم على خطوته لو لم تنقلب المعايير، التي أصبح معها الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، فقرر أن يصلح بغية تقويض عرش الطاغية الظالم يزيد بن معاوية، وكان مشروع الاستشهاد لأهل بيته وأصحابه، لتترسخ رسالة مفادها أن الظالم مهما علا واستعلى، ومهما جار وغوى، فإن للمظلوم أن يثور، ويستشهد في سبيل إحقاق الحق، ورفع الظلامة

---

(1) البغدادي، مكي قاسم، الشهادة تأصيل واستئصال، ط1، بيروت، الدار الإسلامية،؟ سنة 1993 م، ج4، ص110.

والقهر. هذا العمل كفيل على المدى القريب أن يزلزل الأرض تحت كل الحكام ـ الطغاة، ويصبح تخليد الاستشهادي واجباً على جميع المظلومين في العالم. وهذا ما حصل في لبنان، الذي تجاوز فيه الظلم الإسرائيلي كل الحدود، واحتل البلاد، ونكّل بالعباد، فكانت كربلاء ثانية في زمن آخر في لبنان، وانتصر الوطن بفضل مقاومة تاق معظم شبابها إلى الاستشهاد، الذي تحوّل إلى مشروع لكل زمان ومكان، إنه ثابت، بعقيدة ثابتة، لا يأبه لمن لا يريده من أعداء وخصوم.

حار العديد أمام عظمة الاستشهاد، وعجز عن تحليل نفسية الاستشهاديين، وصرّح مراراً بأنه لا يقدر أن يفعل شيئاً لشخص قادم على الاستشهاد، حتى أن قادته يفتقدون لمثل هذا السلاح النوعي، لأنهم، وبتعبير القرآن الكريم، ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾[1].

وقد استعمل هذا السلاح في أوقات مختلفة في لبنان، لا سيما عندما كانت المقاومة بحاجة إلى وقفة تصوّب المسار، هذا ما يشير إلى أن العمل الاستشهادي، هو كالسلاح الذي يغيّر موازين القوى في المعركة، فكلما حدثت عملية استشهادية، اربكت العدو شهوراً في البحث عن واقٍ لها، وأبقته حائراً في دائرة الخوف والهلع.

فعملية الاستشهادي أحمد قصير ضد مركز الحاكم العسكري في صور، أوقعت عشرات القتلى بعد المئة، ومئات الجرحى وما زال العدو يحيي ذكرى العملية بالبكاء والعويل، بينما المقاومة الإسلامية اعتمدت تاريخ العملية (11/ 11/ 1982) رمزاً وتاريخاً للشهيد، تاريخ المقاومة والوطن.

في هذا تكمن ضرورة العمليات الاستشهادية من خلال فرض الواقع الضروري الذي تحتاجه الأمة حتى تصل إلى التغيير الحتمي، كما فعل

---

(1) سورة الحشر، آية 14.

الحسين (ع) الذي خرج من فساد الماضي، ودخل في سياق الحاضر، ليعيد للأمة الإسلامية سابق عزها وكرامتها.

فالاستشهاديون هم الذين يبحثون عن أرواحهم، وأرواحهم معلقة بالسماء، فبهم تبلورت شخصية جهادية، وحالة جهادية لا تخبو في المدى المنظور، والإنسان العادي والسّوي من الناس يصبح معجزة، تسهم في إيجاد جزء كبير من الشخصية الثقافية. والمقاومة إذ ذاك أمام تحدٍ لمواجهة الدور الصهيوني، إنها آمنت بالله وبموروثها الديني وبالثورة ضد الاستكبار، وبات عليها أن تصبح داعية لتحرير الإنسان، كل الإنسان، في كل مكان وزمان، فمن هي هذه المقاومة، وما هي الظروف التي رافقت نشأتها المحصنة بفكر متكافئ مع سياسة لها أسسها وأساليبها.

الفصل الأول

المقاومة الإسلامية

- النشاة.
- الأيديولوجيا.
- الله في خطاب المقاومة الإسلامية.
- الوطن في خطاب المقاومة الإسلامية.

النشـــأة

تحت مصطلح المقاومة تندرج جملة من المعاني الأساسية، منها قوَمَ، الاستقامة، الاعتدال، الوقوف، الثبات، ب كما تتأثر المقاومة بظروف تشكّلها، في المكان والزمان، وفي الوسائل والغايات، وتساهم هذه الظروف مجتمعة، في بلورة هوية المقاومة الفكرية والسياسية، وبما أن هذه الدراسة متخصصة في خطاب المقاومة الإسلامية في لبنان، فإن طبيعة الدولة والمجتمع سوف تلعب دوراً محورياً في تأسيس المقاومة، وسط تنوّع يشمل الطوائف، والمناطق، والأحزاب، والبرامج، والمصالح . . . ولن تكون المقاومة في منأى عن هذا التنوّع وانعكاساته على خطابها، تجاه الوطن والطائفية والدين، بل إن ظروف الولادة التاريخية، لهذه المقاومة، تشهد تأثّرها بهذا التنوّع، سلباً وإيجاباً، رغم أن خطابها، وأهدافها، وآليات عملها، اعترفت بهذا التنوع، مع ميل حاسم إلى توجيهه وجهة وطنية توحيدية، تجعل قضية تحرير الأرض والوطن، من الاحتلال الإسرائيلي، فوق كل اعتبار آخر، طائفي أو حزبي أو فئوي أو أيديولوجي. وقبل تحليل ظروف نشأة المقاومة والأسس الأيديولوجية التي قامت عليها، ينبغي الإشارة إلى مدلولات مصطلح المقاومة، كما وردت في التفسيرات والتعريفات اللغوية.

يعرف ابن منظور المقاومة بأنها من «قَوَمَ: والقيام نقيض الجلوس، قام

يقوم قوماً وقياماً وقومة وقامة، وحيث القيام العزم. وكذلك الوقوف الثبات ومنها أيضاً الاستقامة أي الاعتدال، يقال استقام له الأمر، وقام الشيء واستقام، اعتدل واستوى، وقِوام الأمر: نظامه وعماده. وقاومه في المصارعة وغيرها. وتقاوموا في الحرب، أي قام بعضهم لبعض، ويقال ما زلت أقاوم فلاناً في هذا الأمر أي أنازله»[1].

ويرى البوطي: أن المقاومة هي دفاع ضد آخر بادر إلى العدوان، بحيث يخرج من سياق اللغة، إلى سياق الفعل ورد الفعل. وبهذا المعنى يقول:

«وكلمة مقاومة على وزن مفاعلة، وهي تدل على المشاركة، أي لا تصدق إلا تعبيراً عن مقاومة من طرفين، بل هي لا تصدق إلا تعبيراً عن مقاومة لبادئ سبق إلى قصد القتال. فالمقاوم للبادئ هو الذي يُسمى مقاتلاً. أما البادئ فهو ابعد ما يكون عن أن يُسمى مقاتلاً. بل هو في الحقيقة يُسمى قاتلاً بالتوجه والهجوم، أو بالفعل والتنفيذ إذ لا ينشأ معنى الاشتراك إلا لدى نهوض الثاني للمقاومة والدفاع»[2].

من هنا، فإن المقاومة ليست فعل عدوان، وإنما هي ردّ فعل على العدوان، وبالتالي فهي تندرج في سياق الدفاع المشروع. وهذه المقاومة ليست جواباً تقنياً خالصاً على وضع مأزوم، وإنما هي فعل مقوّم. والتقويم لا يتحقق بدون الاستناد إلى لائحة من القيم الخاصة، تشكل مرجعية الفعل المقاوم، ومشروعه في آن معاً. لذا كان فعل المقاومة فعل إحياء، لأنه يخصّب قيم الإحساس، والاعتزاز بالذات، وبالحياة نفسها، كما يُعيد إنتاج الحضور الفاعل والقويّ، في مجرى التاريخ الإنساني العام. وتتأكد هذه الحقيقة في كون الاعتداء الذي يتعرض له شعب من الشعوب، لا ينال من أرضه وثرواته وناسه فحسب، وإنما ينال أيضاً من مكانته واعتباره المعنوي. وأي اعتداء، وإن كان

---

(1) إبن منظور، لسان العرب، ط1، إيران، نشر أدب الحوزة، ج12، ص (496 ـ 497).

(2) البوطي، محمد سعيد، الجهاد في الإسلام، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، سنة 1993م، ص59.

ظاهره اعتداءً عسكرياً، إلاّ أنه في جوهره اعتداء ثقافي، يتوخى تدمير وتخريب المخزون الروحي، للشعب المعتدى عليه، كخطوة ضرورية لنسف مرتكزات الصمود، والمواجهة المعنوية ولإيجاد الوضع الملائم لزرع وجوده، أي وجود المعتدي، الثقافي المعنوي كبديل يؤسس لإنتاج الشبيه البشري المشوّه.

ولبلوغ حالة المقاومة البناءة، لا بد من مسبّبات لتهيئة الجو المناسب لوجودها، ومن هذه المسببات، جملة اعتبارات لعبت دوراً هاماً في إيجاد المناخ الملائم، والتربة الخصبة لها. فما هي تلك الاعتبارات، وما هي المراحل التي مرت بها المقاومات، حتى وصلت متخمّرة مستفيدة من تجارب أسلافها؟ وتؤكد هذه التجارب: أن الشعوب لا تلجأ إلى خيار المقاومة، إلا عندما تتعرض لاعتداء، يهدّد وجودها، كوطن وهوية وكرامة، وبالتالي فإن ولادة المقاومة، تصبح مشروطة بتحقّق العدوان والاحتلال. وهذا، تحديداً، ما يفسّر نشأة المقاومة في لبنان، في مواجهته الاحتلال الإسرائيلي المباشر، منذ العام 1982. وفي حين أن أطرافاً لبنانية شاركت في هذه المقاومة، رغم اختلافها في الانتماء الحزبي أو الطائفي أو المناطقي، فإن خاصّية المقاومة الإسلامية، تنهل من خاصّية صنعت تمايزها وفرادتها، إذ تتوّج تاريخاً خاصاً بالجنوب اللبناني الأكثر تأثراً بالعدوان الإسرائيلي، منذ ما قبل قيام الكيان الإسرائيلي حتى احتلالها له، مثلما هو الأكثر حرماناً وتهميشاً من قبل دولة أمعنت في ترك الجنوب وأهله، بين مطرقة الحرمان وسندان الاحتلال، كما نهلت هذه المقاومة من مخزون تاريخي خاص بالشيعة، الذين يمثلون الاجتماع الأهلي الأكثر عدداً في الجنوب المحتل المحروم، ومدى قدرة هذا الاجتماع الأهلي، على الاستفادة من هذا المخزون، وهو في سياق تحصين ذاته، ضد الحرمان والاحتلال معاً، كما في إرادته وإصراره على وضع مقاومته في إطار يتجاوز الذات المذهبية ـ المناطقية إلى إطار الوطن الواحد المهدّد بالاحتلال من الخارج والطائفية من الداخل.

من هنا لا بدّ من ملاحظة جملة اعتبارات، اجتماعية وسياسية، لعبت

دوراً أساسياً في إيجاد التربة الخاصة، لتفتّح الروح الجهادية عند المسلمين الشيعة.

وإذا كانت الرؤية الفلسفية التي ترى أن العقل لا يهب صوره إلا لمن توفرت لديه القابلية، فالمبادئ التي تحمل شحنات ثورية هائلة، تُشكّل دور الوسيط الفاعل في نقل شحنات الإحساس بالظلم، من المدى الذاتي الوجداني، إلى المدى السياسي والأيديولوجي.

والشيعة في لبنان، كانوا أكثر الطوائف عرضة للتعسّف والإهمال، فوصفوا بأنهم أكثر الطوائف حرماناً، وأبعدهم تأثيراً في القرار السياسي.

وجد حسن شريف في مقالته جنوب لبنان، التاريخ والجغرافيا السياسية، أنه بناءً على إحصاءات الدولة الرسمية لعام 1972 «فإن الجنوب الذي يبلغ عدد سكانه 20٪ تقريباً من عدد السكان العام لا يحظى إلا بـ 0,7٪ من ميزانية الدولة»[1].

وهذا يدلّ على الحرمان الذي كان يعيشه الجنوب على مختلف الأصعدة: الطرق، المدارس، غياب الهاتف كلياً، قلة الأطباء، عدم وجود مستوصفات حتى في القرى الكبرى، عدم وجود تجهيزات لتصريف المياه ب وقد ارتكز هذا الإجحاف بحق الجنوبيين، على بنية سياسية إقطاعية، رزحت الطائفة الشيعية تحت وطأتها ردحاً من الزمن، بخاصة تحت نفوذ العائلات كآل عسيران في صيدا وآل الخليل في صور وآل الزين في النبطية، وعائلات لها نفوذ واسع في الجنوب كآل الأسعد وفي البقاع آل حمادة.

سيطرت هذه العائلات بعد الاستقلال على السياسة الطائفية (داخل الطائفة) وفاز اقطابها المرة تلو الأخرى بمقاعد نيابية وحقائب وزارية، وبالتالي غدت الطائفة الشيعية في لبنان سلماً للإرتقاء السياسي لذوي الشأن والنفوذ من رجالات الإقطاع وأداة فعالة لخدمة الخاصة.

---

(1) Hagopian, Elaine, South Lebanon, Association of Arab-American university, Michigan august 1978 p10-11.

هذا الإحساس المرّ، عند المسلمين الشيعة، كان مزيجاً من جملة أحاسيس، تتراوح بين الإهمال والظلم والاضطهاد والإحباط معاً، مما جعلهم أكثر الأطراف المعبأة اجتماعياً في لبنان، وبالتالي كانوا التربة الخصبة للتمرد، والاعتراض، والتحريض السياسي؛ وهكذا انخرط الشيعة في الأحزاب اليسارية، وكانوا وقودها الفعّال. وكان هذا الانتشار في الأحزاب اليسارية، عاملاً من العوامل المساعدة، إلى حدٍ كبير، على إعادة إنعاش المخزون الثوري الكامن في الذاكرة الشيعية، فأمدته بالأطر التنظيمية تارة، ثم بالتحريض المباشر، وبالتثقيف النظري تارة أخرى.

وبخصوصية الواقع الجغرافي لجبل عامل المتاخم لفلسطين، واكب الجنوب مأساة فلسطين، منذ النكبة وخلالها، حيث كان السّباق في استقبال اللاجئين، واحتضانهم مع قضيتهم، وذلك من خلال التفاعل الإيجابي مع المقاومة الفلسطينية، التي اتخذت من الجنوب اللبناني منطلقاً للعمل الفدائي أواخر الستينات، ويعود هذا الاحتضان والدفاع عن المقاومة الفلسطينية، إلى الجِبلّة الدينية، والأيديولوجية، الكامنة في صميم وعيهم وضميرهم، فضلاً عن رفضهم لأي نوع من أنواع الظلم والقهر والعدوان.

هذه الميزة الجغرافية للجنوب اللبناني، والاحتضان والتفاعل مع المقاومة الفلسطينية كان من نتائجها، وباستمرار، اعتداءات متتالية، واجتياحات متعددة للجنوب اللبناني ومن ثم إلى بيروت؛ حتى دفع الجنوبيون أثماناً غالية، من أمنهم، وممتلكاتهم، وسيادتهم، فأضحوا شركاء في المواجهة؛ لا بل رست المواجهات عليهم وحدهم، في نهاية المطاف.

ويقابل هذه الصورة، الموجودة في الجنوب، المليئة بالبؤس والحرمان، صورة مماثلة في عكار تكاد تكون أشد مأساوية، لكن الثورة أو حتى الالتفاف حولها لم تلق تجاوباً أو تفاعلاً كما كان بين أبناء الجنوب. وثمة أسباب وعوامل كان لها الدور الأساسي في انطلاقة المقاومة الإسلامية في لبنان نذكر منها:

العوامل الداخلية:

إن الإيمان العقائدي نظرياً وتطبيقياً، فضلاً عن المواجهات وطفرة المقاومة الفلسطينية، وانتشارها في صفوفهم، وحملهم البندقية، بالإضافة إلى روح الثورة المسيطرة على جلّ شباب الجنوب، هي الباعث الرئيسي للثورة القادمة بدون شك.

وفي ظل الإمكانيات النضالية والجهادية، التي تخمّرت، وانبثقت من وفي أبناء الطائفة الشيعية، مع بداية تراجع نفوذ الإقطاع، بات الشيعة بحاجة إلى رابط، قائد، يستوعب، ويمنهج، ويقود هذه الشريحة المحرومة والمستضعفة، إلى أن تتهيأ الأسباب مع تصاعد دور رجل دين أتى من إيران إلى لبنان في أواخر الخمسينات، إثر دعوة وجهت إليه من قِبل أهالي مدينة صور، حيث أتى إليها نهاية عام 1959، واستطاع السيد موسى الصدر بشخصيته الدينية، والمدنية، وذكائه، أن يجذب مجموعة كبيرة من المؤيدين، وأخذ يكرّس نفسه كزعيم أوحد للشيعة، وحمل لواء التصدّي للعدو الصهيوني، بنفس القوة التي حمل بها لواء التصدي لقضية الحرمان الداخلي، ورفع شعاره المشهور مساوياً بين الحرمانين «ثمة محرومون في وطنهم ـ وثمة محرومون من وطنهم ـ وهذا الربط بين الظلم الذي يحيق باللبنانيين، في وطنهم، والواقع البائس الذي يعيشه الفلسطينيون خارج وطنهم، كان السبب الكافي وراء ولادة حركة المحرومين، التي مدت نظرها للمحرومين، والمستضعفين، دون الالتفات لهويتهم ومذهبهم»[1].

ومن الشعارات التي رفعها السيد موسى الصدر «أن التعامل مع إسرائيل حرام ـ وإسرائيل شر مطلق ـ وواجبنا أن نكون مقاومة قبل أن نشرّد من أرضنا»[2].

---

(1) الطليعة الإسلامية، بيروت، لا ت، العدد 8، ص29.

(2) مجلة الهدى، منشورات مكتب العقيدة والثقافة لحركة أمل، بيروت، لا ت، العدد 10، ص44.

وغيرها من الشعارات التي جعلت الصراع مع العدو الإسرائيلي، في مرتبة الجهاد المقدّس، وهذه الشعارات، والتعبئة الاستنهاضية، التي تستخدم فيها ألفاظ، من قبيل الحرام والحلال، هي ألفاظ تدخل في دائرة الأوامر، والنواهي الشرعية، التي تلزم المكلّف، التقيد بها.

استطاعت حركة المحرومين، أن تتقدم في الشارع الشيعي، رغم الممانعة اليسارية والإقطاعية، وتنتظم وراء مؤسسها سماحة السيد موسى الصدر، والدخول في الساحة السياسية اللبنانية المعقدة.

العوامل الخارجية:

ومع وقوع الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، وخروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت سقطت واختفت قوى ومفاهيم سياسية من الساحة وظهرت نواة فرز حقيقية للهويات السياسية في لبنان؛ فالبعض بارك الوجود، والبعض وضع رأسه في الرمال، بينما بادرت بعض الأطراف السياسية لتتشكل لاحقاً جبهة المقاومة الوطنية التي ترافقت بعمل مقاوم من قبل قلّة من المؤمنين الملتزمين بخط الإمام الخميني (قد) تحت شعار جامع: لا للوجود الإسرائيلي على أرضنا، ويجب مقاومة هذا المحتل؛ من هذه القلة من كان في عداد قيادة حركة المحرومين ـ حركة أمل وخرج منها؛ ومنهم من كان في لجان العمل الإسلامي، واتحاد الطلبة المسلمين، وحركة أمل الإسلامية، ومكتبة الشهيد مطهري، وحزب الدعوة، وكانوا جميعاً اللبنة والنواة الأولى لتأسيس حزب الله، والمقاومة الإسلامية في لبنان.(*)

(*) خلال شهر حزيران 1982 كانت الجمهورية الإسلامية في إيران تستضيف مؤتمراً للحركات الإسلامية وكان لبنان قد حضر هذا المؤتمر بممثلين عن القوى الإسلامية وشخصيات علمائية، وخلال المؤتمر بدأ الاجتياح الإسرائيلي على لبنان، في إحدى جلسات المؤتمر ألقى رئيس مجلس الشورى آنذاك الشيخ هاشمي رفسنجاني كلمة أعلن فيها للحاضرين إرسال وفد عسكري سياسي إلى سورية للبحث في كيفية تقديم الدعم والمساعدة لمواجهة الاجتياح من خلال إرسال الحرس الثوري إلى لبنان عبر الأراضي السورية. قطعت شخصيات لبنانية =

تبنّى حزب الله، خطاً سياسياً، نضالياً، غير مساوم، منذ اللحظة الأولى، وهو عبّر عنه في رسالته المفتوحة في 16 شباط سنة 1985م. «إننا أبناء أمة حزب الله . . . نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة، تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً بالإمام روح الله الموسوي الخميني (قد) . . . نحن في لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً، بل نحن أمة، ترتبط مع المسلمين، في كافة أنحاء العالم، برباط عقائدي، وسياسي هو الإسلام . . . أما ثقافتنا فمنابعها الأساسية، القرآن والسُّنَّة المعصومة . . . أما قدرتنا العسكرية، فلا يتخيّلن أحد حجمها، إذ ليس لدينا جهاز عسكري منفصل عن بقية أطراف جسمنا، بل أن كل واحد منا، هو جندي مقاتل، حين يدعو داعي الجهاد، وكل واحد منا، يتولى مهمته، في المعركة، وفقاً لتكليفه الشرعي، في إطار العمل بولاية الفقيه القائد . . .»[1].

ومن أهم العوامل الخارجية المؤثرة في تشكيل النهوض الشيعي، والمقاوم في لبنان، هو دور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وخاصة المؤسس لهذه الجمهورية الإمام الخميني (قد).

ويستند هذا التأثير، إلى التاريخ الخاص بالشيعة، القائم على الارتباط بمرجعياتهم الدينية، بوصفها امتداداً لحلقات الأئمة المعصومين، الإثني

= زيارتها لطهران، وبدأت تمهّد لقدوم الحرس الثوري إلى سهل البقاع حيث بدأت تؤمّن معسكرات التدريب ومقرات التعبئة.

مع بدايات التدريب العسكري، تكثفت اللقاءات في البقاع لتشكيل الإطار السياسي الجديد للتيار الإسلامي، واختير تسعة أشخاص لتحديد هذا الإطار، فيما بعد عرف بلجنة التسعة، استبدلت لجنة التسعة بلجنة خماسية أطلق عليها اسم «شورى لبنان». عقدت أولى اجتماعاتها في مطلع 1983 وحصلت على موافقة الإسلاميين في لبنان، ودعم وتأييد القيادة الإسلامية في إيران. هكذا كانت اللبنة الأولى لتأسيس حزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان.

ـ فضل الله حسن، الخيار الآخر، ط1، بيروت، دار الهادي، سنة 1994، ص 12 ـ 23، بتصرف.

(1) راجع الرسالة المفتوحة التي وجهها حزب الله إلى المستضعفين في لبنان والعالم، 1985م ـ الملحق الثاني.

عشر (ع)، وإن الثورة الإسلامية في إيران، انتظمت بقيادة مرجع، وفقيه شيعي، كبير، هو آية الله الخميني.

اتخذت هذه الثورة، منذ اللحظة الأولى، بعدين أساسيين: بعد داخلي اجتماعي، يتصدى للظلم الاجتماعي والسياسي، وبعد خارجي، يتمثل في التأكيد العقيدي والشرعي المستمر، على وجوب تحرير القوى المستضعفة، وإزالة العدوان الصهيوني، ومن المعروف أن الشيعة، تحديداً في لبنان، كانوا على تماس مباشر مع هذين البعدين، فمن جهة كانوا على تماس مباشر مع القضية الفلسطينية، وبالتالي مع قضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وما زالوا يدفعون ثمن هذا الصراع، من لحمهم، وخبزهم، وكرامتهم، ودمهم، وأمنهم واستقرارهم . . . ومن جهة أخرى، كانوا في خضمّ المعركة الاجتماعية ـ السياسية.

ولا يمكننا فهم تأثير الثورة الإسلامية على الشيعة في لبنان، بمعزل عن الروابط التاريخية بينهما، حيث أن العديد من كبار علماء الطائفة الشيعية في لبنان، وخصوصاً علماء جبل عامل، نشروا علومهم الدينية في إيران، وكان لهم دور أساسي، في تثبيت قواعد المذهب الشيعي في إيران. يقول الشيخ الشهيد مرتضى مطهري «إن لعلماء جبل عامل دوراً مهماً في الخطوط العامة للدول الصفوية الشيعية، فالصفويون كانوا صوفية، ولو لم يعتدل خط الصوفية الدوريشي، بسيرة فقهية عميقة، من قبل علماء جبل عامل، ولو لم تتأسس على أيديهم حوزة فقهية عميقة في إيران، لكان خط الصوفية الصوفي انتهى إلى ما انتهى إليه العلويون في الشام أو تركيا، وكان لهذا العامل أثر كبير في صيانة السيرة العامة للدولة والأمة الإيرانية ب إن لفقهاء جبل عامل بتأسيسهم الحوزة الفقهية في أصفهان حقاً كبيراً على ذمة الأمة الإيرانية»[1]. هذا فضلاً عن تلقّي

(1) مطهري مرتضى، الإسلام وإيران، تعريب محمد هادي اليوسفي، ط1، بيروت، دار التعارف، سنة 1400هـ، ص353.

الكثير من العلماء الشيعة اللبنانيين، لاحقاً، دروسهم الدينية في الحاضرة العلمية قم.

ومن علامات ترسيخ العلاقة، الدور الذي لعبه العديد من القادة الإيرانيين في إيران، والذين سبق لهم أن تلقوا تدريبات عسكرية في لبنان، كالسيد أحمد الخميني(*)، والدكتور مصطفى شمران(**)، الذي شغل منصب وزير الدفاع الإيراني.

في المقابل، قامت إيران بترجمة شعارها «العداء لإسرائيل»، بإرسال مجموعات من الحرس الثوري، للمساهمة في التدريب، والتثقيف، في الساحة الإسلامية الشيعية، وهكذا بدأ يتبلور التيار الإسلامي المقاوم في لبنان، وقد شرع هذا التيار، في خوض حرب على جبهتين: الجبهة الأولى أيديولوجية، تطرح الإسلام منهجاً وسلوكاً وحياة سياسية، وفكرية، وروحية ثائرة، من خلال القرآن الكريم. والجبهة الثانية ميدانية، تتمثل بالقتال المفتوح ضد قوى الاستكبار عموماً، والعدو الصهيوني خصوصاً.

وبرزت هذه الترجمة العملية بتاريخ 8/ 6/ 1982، عند مدخل بيروت الجنوبي، في منطقة خلدة، حيث قامت قوات الغزو الصهيوني، بعملية إنزال بحري، ولدى شيوع النبأ، انطلقت مجموعة من المجاهدين، قوامها ستة عشر شاباً من منطقة الأوزاعي، وانقضوا على الآليات المتقدمة، ودمّروا ثلاث

(*) السيد أحمد الخميني، النجل الثاني للإمام الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران، كان أحد قيادات الثورة في إيران، لعب دور الوسيط بين قيادة الثورة في داخل إيران والإمام الخميني في المنفى، شارك والدكتور مصطفى شمران في التصدي للعدو الصهيوني في جبل عامل، التحق بوالده في المنفى خلال وجوده في باريس ورجع معه إلى طهران سنة 1979م، توفي في 17/ 3/ 1995.

(**) الدكتور مصطفى شمران، أحد أبرز رموز الثورة الإسلامية في إيران، كان من المقربين من الإمام الخميني، شارك في التصدي للعدو الصهيوني في جنوب لبنان على تلال الطيبة ـ رب ثلاثين ـ، عيّن وزيراً للدفاع الإيراني، استشهد على الجبهة الإيرانية العراقية خلال تحطم طائرته سنة 1981م.

دبابات من طراز ميركافا وملالة واحدة. كما قتلوا سبعة جنود، وأسروا ملالة أخرى، مع جثث أفراد طاقمها، ونقلوهم إلى بيروت. «وقد استشهد تسعة من أولئك المجاهدين الستة عشر، لاحقاً، في عمليات المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال»[1].

وبعد احتلال بيروت، تسلّمت مجموعات من المقاتلين الإسلاميين، عدداً من المحاور، وقامت بالعديد من العمليات. كذلك واكبت هذه البدايات، إنجازات أولية في الجنوب اللبناني المحتل.

صحيح أن هذه العمليات الأولى، هي أقرب إلى رد الفعل الحماسي، القائم على مرتكزات مبدئية، وايديولوجية إيمانية، أكثر منها عملاً جهادياً منظماً، إلا أنها كانت بمثابة ومضات البرق، المؤذنة بقرب هطول المطر، في الوقت الذي كان كل شيء يوحي بدخول المنطقة، في مرحلة جدباء، لا حياة فيها ولا روح.

فهذه العمليات، كانت تنبّئ بقدوم عصر جديد، وولادة روح جديدة، في الأمة، هي روح المقاومة الإسلامية، الذي كان للحرس الثوري الإيراني، دور ريادي في تدريب وتثقيف الشباب المسلم المجاهد، في سهل البقاع اللبناني. مما أدى إلى فعل جهادي منظم، لم يألفه العدو الصهيوني، منذ عقود سالفة. ومما تجدر الإشارة إليه هنا: «أن الدورة التدريبية الأولى، للحرس الثوري، والتي ضمت آنذاك (180) عنصراً كان من بينهم علماء دين، أبرزهم سماحة السيد الشهيد عباس الموسوي (قد)»[2]. وقد اتصف العمل الجهادي آنذاك، بالسرية المطلقة، إنسجاماً مع دقة المرحلة، وصعوبتها حيث كان الاحتلال محمياً بقوات السلطة، والعملاء، الذين امتلأت بهم الساحة.

وبدأت المقاومة تشق طريقها، وبأساليب متعددة، من خلال الكمائن،

---

(1) حزب الله، منشورات داخلية، لبنان.

(2) م.ن.

والمواجهات المباشرة، وتفجير العبوات، والعمليات الاستشهادية، والحرب الأمنية، والاستخباراتية، التي أدت إلى أسر جنود، وضباط مخابرات. هكذا تقدمت المقاومة الإسلامية في ساحات المواجهة، حتى اشتد عودها، رغم العديد من الظروف، والممانعة، والمعارضة المحلية والإقليمية، لوجودها، وحتى على تسميتها!، والتي قدمت العديد من عناصرها، وكوادرها، ثمناً باهضاً في سبيل استمراريتها.

كذلك استطاعت أن تفرض المعادلات في حروب افتقدت فيها موازين القوى، رغم ذلك انتصرت في تموز 1993م[1]، وكذلك في نيسان 1996م[2]، الذي نتج عنه تفاهم، يضع المدنيين، من الطرفين، خارج دائرة النار، وبرزت معادلات، وتوازنات، لم يألفها العدو الصهيوني من قبل، وهذا ما اصطلح عليه بـ توازن الرعب ـ «كاتيوشا المقاومة تكرّس توازن الرعب»[3].

---

(1) بدأ الاجتياح الثالث للبنان في تموز سنة 1993م. استمر العدوان سبعة أيام وعُرِف بـ «حرب الأيام السبعة»، أمعن العدو في قصف المدن والقرى والمدنيين والبنى التحتية، براً وبحراً وجواً بواسطة أحدث الأسلحة الأميركية فتكاً وتدميراً، لم يفلح العدو بفرض واقع جديد لا على المستوى العسكري ولا السياسي، فانتصرت المقاومة وانتصر الوطن ونتج عن ذلك الاجتياح تفاهم اصطلح عليه بـ «تفاهم تموز» هدفه حماية المدنيين. نشير إلى أن الاجتياحين الأول والثاني حصلا سنة 1978م وسنة 1982م، وسُمّي الأول بعملية الليطاني والثاني عملية سلامة الجليل.

(2) بدأ العدوان الصهيوني واجتياحه الرابع للبنان وذلك في الحادي عشر من نيسان عام 1996م، معلناً على لسان قادته مجموعة أهداف أهمها:

1 ـ ضرب البنية التحتية للمقاومة الإسلامية وحزب الله.

2 ـ إسقاط تفاهم تموز وإطلاق يد العدو الصهيوني في ضرب المدنيين اللبنانيين.

3 ـ الضغط على الحكومة اللبنانية لإيقاف عمليات المقاومة ونزع سلاحها.

4 ـ منع إطلاق الكاتيوشا على المستوطنات في شمال فلسطين المحتلة.

استمر العدوان ستة عشر يوماً استخدم فيه أحدث الأسلحة الأميركية تدميراً، منفذاً ضد المدنيين ما يقرب من 850 غارة جوية، ومطلقاً ما يقرب 45 ألف قذيفة ولم يحقق العدو أهدافه بل انتصرت المقاومة وانتصر الوطن، ونتج عن هذا الاجتياح تفاهماً اصطلح عليه بـ «تفاهم نيسان» أثبت فعاليته في حماية المدنيين اللبنانيين.

أطلق العدو على عملية اجتياحه هذه اسم «عناقيد الغضب».

ـ نصر الله حسن، جريدة العهد، 30/ 4/ 1996، العدد 635، ص2.

(3) جريدة العهد، بيروت، 1/ 12/ 1995، العدد 612، ص1.

ومن الصفحات المشرفة في تاريخ هذه المقاومة، استعمالها لسلاح نوعي، واستراتيجي، لم تعهده ولم تستطع أن تصنعه المصانع الحربية المعادية، ألا وهو «سلاح العمليات الاستشهادية»، الذي هزّ الجيش الإسرائيلي المحتل. والذي بدأ مع بداية الاجتياح عام 1982م في صور[1]، وكانت آخر عملية، في مرجعيون، قبل التحرير بعدة شهور[2]. وكان لهذا السلاح، الأثر البالغ في هزيمة واندحار الجيش الإسرائيلي، من الجنوب، بل ولا تزال معاهد الدراسات، في الكيان الغاصب وعلماء النفس، يدرسون الآثار، والانعكاسات السلبية، التي سيطرت على ضباط وجنود العدو جراء هذا النوع من السلاح. وهذا ما عبّر عنه اسحق رابين بقوله «إن الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان، يواجه موقفاً صعباً، لأنه يجب عليه، أن يتصدى لإرهابيين، لا يتورعون في استخدام أجسادهم قنابل ناسفة»[3].

ومن أبرز هذه العمليات الاستشهادية، العملية التي حصلت في مدينة صور اللبنانية: «هذه العملية، التي حصلت حوالى الساعة السابعة والربع، من صباح الخميس الواقع فيه 11/ 11/ 1982، حين اندفعت سيارة مفخخة، يقودها استشهادي باتجاه مقر الحاكم العسكري الصهيوني في مدينة صور، مما أدى إلى انهيار المبنى بطبقاته الثمانية ب والذي كان يضم مقر الحاكم العسكري الجنرال «فيلغ»، ومساعديه، ومكاتب الاستخبارات، والشرطة العسكرية، وقوات حرس الحدود (قوات نظامية رديفة)، وسلاح الإشارة، وسلاح الهندسة، وقوات المظليين، وقوات غولاني للمهمات الخاصة»[4].

هكذا استطاعت المقاومة، بإمكاناتها المتواضعة، والمحدودة، أن تفرض

---

(1) بتاريخ 11/ 11/ 1982م قام الاستشهادي أحمد قصير باقتحام مركز الحاكم العسكري في مدينة صور بسيارة مفخخة أدت إلى تدمير المبنى تدميراً كاملاً.

(2) عملية الاستشهادي عمّار حمود التي نفذت على طريق عام القليعة ـ مرجعيون وذلك بتاريخ 30/ 12/ 1999.

(3) جريدة العهد، بيروت، 12 جمادي ثانية سنة 1995، العدد 608، ص6.

(4) حزب الله، منشورات داخلية، لبنان.

ما عجزت عن فرضه جيوش معطلة الإرادة، وأن تزيل تاريخاً من الهزائم والنكسات! وتضع نصراً فريداً، لأمة كانت تجمّل هزائمها، بعبارات دبلوماسية حديثة (نكسة)! محاولة أن تخفف وقع تلك الهزائم على الشعوب الثائرة، والرازحة، تحت استبداد الحاكم.

وهكذا، وجد العدو الصهيوني نفسه، وسط إشكالية، ومفارقة كبيرة، تسير بعكس تقديراته: «فللمرة الأولى، في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، يهزم الجيش الإسرائيلي، لا من قِبل جيش عامل، بل على أيدي مقاومة، هشة التنظيم، وضعيفة التجهيز»[1].

ويذهب زئيف شيف، المعلق الإسرائيلي المعروف، في مقالة له في صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية تحت عنوان «الأسطورة المحطمة» إلى القول: «إن حرب لبنان حطّمت نوعاً من أسطورة، كانت موجودة، لسنوات عدة، في نظر الجيوش الأجنبية، إلى جيش الدفاع الإسرائيلي»[2].

فعلى هذا الأساس، كان لا يوجد خيار سوى خيار المواجهة، حيث «رأينا أن العدوان لا يرد إلا بالتضحيات . . . والكرامة لا تكون إلا ببذل الدماء، والحرية لا تعطى إنما تسترد ببذل المهج والأرواح . . . فآثرنا الحرية، والكرامة، على العيش الذليل، والخضوع المستمر . . . وانتفضنا لتحرير بلادنا، وطرد المستعمرين، والغزاة منها، وتقرير مصيرنا بأيدينا»[3].

يوازي هذا التقدم الباهر، في المجال العسكري، حركة سياسية وإعلامية ناشطة، مواكبة؛ ومؤازرة لها، حيث استطاعت، وبعد اتفاق الطائف، أن تنفذ إلى كافة الشرائح الاجتماعية، والدينية، والرسمية، وتأخذ مكانها الطبيعي.

---

(1) نورثون. أ، أمل والشيعة نضال من أجل كيان لبنان، ترجمة غسان الحاج عبد الله، ط1، بيروت، دار بلال، 1998م، ص179.

(2) شيف زئيف، جريدة السفير، ترجمة حلمي موسى، بيروت، دار العروة الوثقى، 27/ 3/ 1985، العدد 3901، ص18.

(3) الرسالة المفتوحة، مرجع مذكور.

وبدأت حركة تفاعل متبادلة، أبدى فيها الشعب، والسلطات السياسية، والدينية اللبنانية ، تأييداً لهذه المقاومة، التي اجتازت محطات مفخخة، كان المقصود منها الإيقاع بين الدولة والشعب والمقاومة.

من هنا، تحركت المقاومة على خط الساحة الداخلية، بأبعادها السياسية والاجتماعية، في الوقت الذي عبّرت فيه المقاومة، عملياً، عن منهجها العسكري، في سبيل تحرير الأرض، أو على تدعيم الممانعة السياسية، وغير السياسية، في مواجهة المساعي الحثيثة لتطبيع وجود هذا الوطن. وهكذا، اكتسبت المقاومة بعدين متمايزين في الشكل، إلا أنهما متحدان في الجوهر والمضمون.

وهكذا كان على المقاومة الانخراط في العمل السياسي، بهدف الحفاظ على عمقها الحيوي، السياسي الداخلي. ما حدا بحزب الله، الناظم الحزبي لحركة المقاومة في الجنوب، إلى ضرورة المشاركة في عملية بناء السلم الأهلي، وترسيخه من خلال عكس إرادة ومصالح تلك الشريحة الواسعة من الناس الملتفة حول الحزب ومقاومته، فضلاً عن الحضور الفاعل، والمباشر، في صلب التصدي للقضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تمسّ حياة المواطنين.

من هنا، انطلق حزب الله، بطريقة متوازنة في الساحة الداخلية مؤكداً «أننا لا نريد أن نفرض الإسلام على أحد، ونكره أن يفرض الآخرون قناعاتهم وأنظمتهم علينا . . .»[1].

وبطبيعة الحال، لا بد من موقف لحزب الله، وخطاب للمسيحيين في لبنان، وخصوصاً الموارنة، لأن المارونية السياسية، حكمت البلاد بلغة طائفية، كانت سبباً رئيسياً من أسباب الانفجار الكبير، الذي قوّض البلاد. لذلك «إن السياسة التي يتبعها زعماء المارونية السياسية من خلال «الجبهة اللبنانية»،

(1) الرسالة المفتوحة، مرجع مذكور.

والقوات اللبنانية: لا يمكن أن تحقق السلام، والاستقرار للمسيحيين في لبنانب فقد آن الأوان ليخرج المسيحيون المتعصبون من نفق الولاء الطائفي، ومن أوهام الاستئثار بالامتيازات، على حساب الآخرين، وأن يستجيبوا لدعوة السماء، فيحتكموا إلى العقل، بدل السلاح، وإلى القناعة بدل الطائفة . . .»[1].

كذلك، كان لحزب الله ثوابت أساسية في التعاطي مع الأصدقاء، كما مع الخصوم، وكذلك الأعداء، فكانت نظرته وتوجهاته أن يتوجّه الأصدقاء وحتى الخصوم يداً واحدة، وعلى مختلف مشاربهم السياسية، والعقائدية، لبناء مجتمع، تسوده العدالة، والأخلاق، والخير والمساواة، ويكونوا سداً منيعاً، في وجه مشاريع الطاغوت المستعمر والمعتدي.

من هنا، أكّد حزب الله، في خطابه «أيها المحازبون والمنظمون، أينما كنتم في لبنان، وأياً كانت أفكاركم ب إننا متفقون، وإياكم، على أهداف كبيرة ومهمة . . . تتمثل في ضرورة إسقاط الهيمنة الأميركية، على البلاد، وطرد الاحتلال الصهيوني . . . فتعالوا نترفع عن التخاصم فيما بيننا على الأمور الصغيرة ونفتح ابواب التنافس واسعة أمام تحقيق الأحداث الكبيرة . . .»[2].

هكذا صاغ حزب الله مشروعه في الساحة الداخلية، متعاوناً مع الجميع، دون العملاء وأسيادهم، مؤكداً على خيار المقاومة، التي مشى الجميع في مشروعها، أن أرض لبنان للبنانيين، والوطن للجميع، تحت راية العدالة والإنسانية.

هكذا «حطّمت المقاومة الإسلامية، بإيمان مجاهديها، أسطورة إسرائيل التي لا تقهر، استطاعت أن توقع الكيان الغاصب، في مأزق حقيقي، جراء

---

(1) الرسالة المفتوحة، مرجع مذكور.

(2) م.ن.

الاستنزاف اليومي له، عسكرياً، وبشرياً، واقتصادياً، اضطر قادته أن يعترفوا بقساوة المواجهة . . .»[1].

وهكذا شقّت هذه المقاومة، ورغم اختلال موازين القوى، طريقها لتبطل مقولة «العين لا تقاوم المخرز»، وكان نصرها الذي انتصر معه الوطن كله، في أيار من العام «2000».

(1) الرسالة المفتوحة، مرجع مذكور.

الأيديولوجيا

ترافق نشوء المقاومة بجملة من العوامل الداخلية كالطائفية والحرمان، مع مفاعيل الأزمة الداخلية (الحرب الأهلية)(*)، وتأثيرات المتغيرات الخارجية، كالثورة الإسلامية في إيران. إلا أن العامل الأساسي في ولادتها، يرجع إلى الاحتلال الإسرائيلي للبنان، ومعاهدة الصلح مع إسرائيل. بيد أن هذه المقاومة، في ظروف نشأتها وتطورها، لم تكن مجرد مقاومة عسكرية، بقدر ما كانت تجسيداً لخيارات سياسية وفكرية، أعطت للمقاومة مرتكزاتها الأيديولوجية، وهويتها الإسلامية الجامعة للانتماءات الدينية والوطنية والمجتمعية، بحيث تستطيع المقاومة، بهويتها هذه، التعبير عن تمايزها عن سائر القوى السياسية اللبنانية، تماماً مثلما تستطيع التفاعل والتكامل، مع غيرها، لا سيما في الأمور ذات الصلة بالهدف المشترك، أي تحرير لبنان من الاحتلال الإسرائيلي.

(*) بدأت الحرب الأهلية في لبنان في 13 نيسان 1975م وشملت معظم الأراضي اللبنانية، تداخلت فيها المصالح الدولية والإقليمية والمحلية. وتحوّلت إلى مذهبية ثم إلى الفرز الطائفي والمناطقي. أدّت إلى تدمير الإنسان والاقتصاد، خرج اللبنانيون من هذه المحنة بعدما وجدوا ضرورة في أن يكون الوطن للجميع وأن الحرب العبثية لا بد أن تنتهي هكذا. وانتهت الحرب باتفاق صاغ الوفاق الداخلي على أسس وطنية وسُمّي بإتفاق الطائف.

وفي هذا السياق، تندرج صفة الإسلامية، بما هي أكثر من تسمية، أو تخصيص للمقاومة، أي بما هي انتماء لفكر تأصّل على الثورة ضد الظلم والجور، كما تجسّد في مسلكيات تغلّب العمل، في سبيل الله، على العمل في أي سبيل آخر.

وقد شاءت الظروف أن تكون صفة الإسلامية ملازمة لإسمها، «وإذ نصرّ على تأكيد إسلاميتها، فإنما يكون ذلك انسجاماً منا مع واقعها، الذي يبدو واضحاً، أنه إسلامي في الدافع، والهدف، والمسلك، وعمق المواجهة . . . وهذا لا يلغي وطنيتها بل يؤكدها . . . على العكس، لو طمست إسلاميتها، فإن وطنيتها، تصبح هشة إلى حد كبير . . .»[1]، وهي الإطار النوعي، الذي أراد أن يرقى بحركته، إلى مستوى يستطيع من خلاله أن يستقر في ذاكرة الأجيال؛ خصوصاً، وأن المجتمعات على اختلافها، عرفت حالات، وحركات إسلامية، ارتضت لنفسها التسمية، لكنها لم تتمكن من إقامة توازن بين النظرية والتطبيق، فما كان منها إلا أن عادت بالوبال على الشعوب، وطال هذا الوبال الإسلام[2]؛ فيما راحت الاتهامات تصوّب نحو العقيدة، من غير أن يجري التمييز بين الإسلام، ومن يتظلل بظلاله؛ وكان للإعلام، خصوصاً الغربي والعلماني الملحد، دوره المؤثر في تشويه الدين الحنيف؛ إذ راح يظهر الإسلام ديناً، يحمل في ذاته الدعوة إلى القتل والإرهاب. لكن المقاومة الإسلامية، وعت هذا الواقع، خصوصاً في الوقت الذي يحتل فيه الصهاينة مساحات من الوطن العربي، ويغتصبون فلسطين، ويعملون على اختراق المجتمعات العربية، وبث أفكارهم التقسيمية المعادية للإسلام والعروبة، لا سيما وأن التلازم بين هذين العنصرين يهدد المشروع الصهيوني، الذي يعتبرهما من أهم عوامل القوة في الموقف العربي. لذلك كان على المقاومة الإسلامية أن تبتكر أسلوباً جديداً، مدعوماً بلغة جديدة للمواجهة، تتمكن من خلالها مقاربة أسلوب

---

(1) الرسالة المفتوحة، مرجع مذكور.

(2) بعض الجماعات الإسلامية في الجزائر، حركة طالبان في افغانستان.

العدو، ومن ثم التغلّب عليه، لترقى إلى مستوى الصراع الوجودي، الذي يتطلب التخلي عن الجزئيات والتفاصيل وتركيز الاهتمام على الأهداف، والانطلاق نحوها، على ضوء المبادئ الأساسية، من غير أن تهجر ما هو مفيد، من أساليب للمواجهة غير العسكرية؛ لكن إنكشاف المشروع الصهيوني الهادف إلى التوسع والسيطرة، ركز في ذهنية المقاومة الإسلامية، أن أسلوب المواجهة العسكرية، بات يشكّل السبيل الأهم، إن لم يكن الأوحد، لمقارعة العدو، فارتضته طريقاً في سبيل التحرر، ورفع الظلم والجور.

والمقاومة الإسلامية، تشكيل عسكري لحزب سياسي هو حزب الله، ومن البديهي، إذ ذاك أن تكون الأيديولوجية واحدة، تجمع الجهاد والسياسة في سياق متكامل، كما أن أهدافهما، وأساليبهما، وأفكارهما، ترجع في أصولها، وتفاصيلها، إلى الدين الحنيف أولاً، والسّنة الشريفة ثانياً، وما أثر عن الأولياء الصالحين ثالثاً، وهي أقانيم نفذ منها حزب الله، ليجاهد، ويقاوم عسكرياً، ضد الاحتلال الإسرائيلي، وليمانع السياسات القائمة على الطائفية، والتمييز، والحرمان، ساعياً إلى ردم الهوات التي خلّفتها هذه السياسات في المجتمع اللبناني، وشرذمته، بدل أن توحده ليواجه المشروع الصهيوني. وهكذا شكّل الاعتراض السياسي، على ممارسة الحرمان والظلم والاستبداد، التي سادت المجتمع اللبناني، الوجه الاجتماعي لسياسة حزب الله؛ بينما شكلت المقاومة الوجه الوطني لهذه السياسة، التي باتت قائمة على أيديولوجية تحرير مزدوجة، تحرير الإنسان من الموروث الطائفي الظالم، وتحرير الوطن والأرض من وطأة المحتل الإسرائيلي، وهذا ليس إلا عصارة للدين الحنيف، الذي حثّ المسلمين دائماً على الثورة ضد الظلم، والجهاد في سبيل الله، والسعي دائماً إلى الحرية، ولو كان ثمنها الاستشهاد والشهادة من هنا ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

(1) سورة النساء، آية 95.

وقد نهلت المقاومة الإسلامية من تجربة الإمام الحسين في كربلاء، أهم عناصر تمايزها، وبخاصة إرادة الاستشهاد، في مواجهة الانحراف عن سبيل الله بما هو سبيل العدل والمساواة. وقد تمكنت المقاومة أن تقرأ سيرة الإمام الحسين (ع) ثلاث قراءات:

الأولى: تقوم على إعمال الخيال، لتمثل الحالة التي عاشها الحسين (ع)، من خلال مقاربة بين الماضي والحاضر.

والثانية: تقوم على النقد الموضوعي، الذي يسلخ الحسين عن المؤثرات الجانبية، أي قراءة أحداث عاشوراء، من داخلها، حيث أن الحسين لم يطلب الدنيا، ولم يستجب لنصائح البعض بالابتعاد عن كربلاء، لكنه اتجه إلى موقعه الطبيعي، إلى كربلاء. لأن الدين والإنسانية، كانا بحاجة إلى هكذا موقف.

وتقوم الثالثة على التكامل مع الأولى، لمحاولة عيش الواقعة تماماً كما عاشها الحسين (ع)، والتمرس بها كما تمرس هو، خصوصاً، أن الوقائع تشير إلى تشابه كبير بين الحدثين مع فارق القياس. فالحسين، وكما أكّد قائلاً: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً . . . ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1]. والمقاومة لم تخرج أشرة ولا بطرة، وإنما لتحرير الأرض، الحسين مظلوم يمثل أمة مظلومة والمقاومة كذلك، الحسين وأصحابه قلة، وخصومه آلاف مؤلفة، والمقاومة ثلة من المؤمنين والعدو جيش جرار وترسانة من الأسلحة، وأساطيل من الدبابات، والطائرات، لكن الفرق البيّن بين الحسين والمقاومة أن مؤيدي الحسين (ع) خذلوه؛ في حين أن مؤيدي المقاومة، شدّوا أزرها، وصدقوها الدعم والتأييد.

من خلال هذه القراءات لثورة الحسين، راحت المقاومة تتلمس طريقها

(1) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع)، إعداد لجنة الحديث (محمود شريفي، محمود أحمديان)، ط3، قم، دار المعروف للطباعة والنشر، سنة 1995، ص291.

نحو التحرير فالحسين سعى إلى الإصلاح، وضحّى من غير أن يتخلى عن هدفه، والمقاومة سعت إلى التحرير، ودحر العدو، ولم تحد عن الهدف ولما لم يجد الحسين مفراً من الشهادة التي فيها قيام الدين، قال قولته الشهيرة: «إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني»[1]. وهو بالفعل استشهد في سبيل نصرة دين الله، وقضى في كربلاء، وانتصر باستشهاده، حتى أصبح قدوة، رغم كل الظروف المأساوية، التي تخللت فاجعة كربلاء على المستوى الإنساني والأخلاقي. من هنا كان الحسين المحور، والركن، في لا وعي، بل في وعي المجاهدين أيضاً، واقتدوا به، وراحوا يفجرون أنفسهم في وجه العدو، الذي لم يجد مناصاً من الفرار والاندحار؛ واللافت في أسلوب المقاومة، أنها حوّلت مناسبة الاستشهاد، من حال البكاء، والنحيب، إلى حال من البهجة، والعزّ، لأن مأرب المؤمنين، ومعتقدهم الفوز بنعيم الجنة. فالشهداء مخلدون فيها ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2].

بهذه الروحية سعت المقاومة الإسلامية إلى الشهادة والاستشهاد، مزيلة الفوارق بين المجاهدين فلا تمييز بين أفرادها، فاستشهد منها قادة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر (الشيخ راغب حرب، السيد عباس الموسوي وعائلته، والسيد هادي نصر الله)[3]. كذلك كان القرآن ملازماً للمقاومين في جهادهم، وهم يدأبون على تأدية فروض الصلاة في مواقيتها. وهكذا مثّلت المقاومة الإسلامية حالة فريدة، تماهت كلياً مع الثورة الحسينية، وإذا كانت الثانية قد انتصرت باستشهاد الحسين، الذي انتصر به الدين، فإن الأولى انتصرت بشهدائها بعد أن ارتوت بدمائهم ارض الوطن، وهزمت إرادتهم

(1) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، بيروت، مؤسسة النعمان، 1410هـ، 1990م، ج3، ص303.

(2) سورة آل عمران، آية 169.

(3) نجل الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله.

الجيش الذي لا يقهر، فتحرر الوطن كله، مع استمرار المقاومة، في سعيها إلى تحرير ما تبقّى من أرض محتلة.

لم يغب عن بال المقاومة الإسلامية، أن وضوح الخط وتحديد الأهداف، والثبات عليهما، ترفدها بقوة وتحصّنها من أي خطر، فكانت الأهداف واضحة «أن تخرج إسرائيل من لبنان، كمقدمة لإزالتها نهائياً من الوجود، وتحرير القدس الشريف من براثن الاحتلال ب وأن يتاح لجميع أبناء شعبنا، أن يقرروا مصيرهم، ويختاروا بكامل حريتهم، شكل نظام الحكم الذي يريدونه . . .»[1]. لذا اختارت إلتزامها بفكر حزب الله وسياسته، ومعلوم أن هذا الحزب لم يخفِ علاقته الإستراتيجية بالثورة الإسلامية في إيران، التي نهجت نهج قائدها المرجع والولي الفقيه الإمام الخميني، الذي انطلق من القرآن والسّنة والأئمة، لا سيما الإمام الحسين (ع).

واقتداء المقاومة بالقيادة الإسلامية في إيران، منحها مناعة وقوة وثقة بالنفس، ما لبثت أن تحولت إلى حوافز تدفع الشباب إلى الالتحاق بها، خصوصاً بعد أن ملّ هؤلاء الشباب، مما شهدوه، أو سمعوه، من عبثية الحرب اللبنانية، التي لم تعد على الوطن إلا بالوبال والدمار، والخراب.

إن وضوح فكر المرجعية في إيران، جعل طاعة ولي الفقيه مسألة واجبة، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ . . .﴾[2].

وقد فسّر العلامة الطباطبائي هذه الآية بقوله «إنما يجعل لأُلي الأمر حق الطاعة في غير الحكام، فهم من دونهم من الأمة، سواء في أنه يجب عليهم التحفظ لأحكام الله ورسوله، بل هو عليهم أوجب، فالذي يجب فيه طاعة أولي الأمر، إنما هو ما يأمرون به وينهون عنه فيما يرون صلاح الأمة فيه»[3].

---

(1) الرسالة المفتوحة، مرجع مذكور.

(2) سورة النساء، آية 59.

(3) الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج2، ص94.

وهذه الطاعة، شاملة لكل أمر بمعروف، ولكل نهي عن منكر، ولكل ما له علاقة بالعبادات والمعاملات، وفي ذلك توحيد السلوك الإنساني، لكل من يلتزم بهذه القيادة، وهو سبب ساهم في وحدة صف المقاومة الإسلامية، وقوتها، وبنيتها. هذا وقد حدّد الإمام الثاني عشر هذه الطاعة، بأنها طاعة الولي، في كل ما يتعرض له المكلف في حياته «. . . وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»[1].

من هذا المعين العقيدي، نهلت المقاومة الإسلامية فكرها، ونهجها، وتبنّت خياراً وضعها أمام استحقاقات كبيرة، إن كان على المستوى التنظيمي الداخلي، أو الوطني، أو العالمي. إن فرادة سلوكها، وقراءتها للمتغيرات، والوقائع، صوّب مسارها باتجاه الهدف الذي رسمته، وعملت جاهدة للوصول إليه بثبات عقيدي، لا إنحراف فيه، ونالت بذلك تقدير القاصي والداني وفي هذا الصدد قال السيد فضل اللّه «اللبنانيون مع المقاومة لأنها للوطن كلها . . . ونسجل لكل مواطنينا اللبنانيين، من مسيحيين، ومسلمين هذه الوحدة الوطنية الرائعة»[2] بالإضافة إلى أنها حصدت ما زرعته، بفضل دماء الشهداء، والاستشهاديين.

هذا الامتداد والعمق العقيديان لهذه المقاومة، جعلاها تنطلق من أسس ومفاهيم إسلامية راسخة، وتنمو وتنشأ في ظل ظروف غير مستقرة، من احتلال الأرض، والتأزم الداخلي، وأن تنطلق حاملة معها أمل التغيير، والنصر، مزودة بوعد إلهي ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3].

هكذا تحركت المقاومة الإسلامية في لبنان، لتحرّر الإنسان، والأرض، في وطننا لبنان؛ وتصدّت بفعالية لمشروع صهيوني، كان يستهدف الوطن

---

(1) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، سنة 1405هـ، ص484.

(2) فضل الله، محمد حسين، جريدة العهد، بيروت، 30/ 4/ 1996م، العدد 635، ص5.

(3) القرآن الكريم، سورة محمد، آية 7.

والهوية والكرامة. ما قامت به المقاومة الإسلامية، ليس سوى ترجمة عملية لعقيدة بنت عليها المقاومة بنيانها الفكري، والجهادي، والوطني، في وقت لم تتحرك فيه بعض الجهات الإسلامية باتجاه أهدافها الطبيعية.

إن الله ورسوله الأمين، وأئمته الصالحين، وأولياءه المخلصين، كلهم كانوا عقيدة، ونهجاً، ومنهجاً لهذه المقاومة، فكان النصر باستعادة الوطن. وهذا ما أشار إليه السيد حسن نصر الله في خطابه في بنت جبيل: «نلتقي في عمق المنطقة التي استعادت الوطن، واستعادها الوطن، في أربعين أبي عبد الله سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي (ع)، لنؤكد من جديد مقولته وخطه، لنثبت أن الدم هنا ينتصر على السيف، وأن الدم هنا قهر السيف وهزمه، وأن الدم هنا حطم كل قيد، وأن الدم هنا أذلّ كل طاغية ومستكبر، نلتقي هنا لنحتفل بالنصر الذي صنعته الشهادة وصنعته الدماء»[1].

(1) السيد نصر الله، حسن، خطاب الانتصار، الوحدة الإعلامية المركزية، خطاب بنت جبيل، 26/ 5/ 2000، ص9.

الله في خطاب المقاومة

منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي للبنان عام 1982م، باشرت حركات وأحزاب لبنانية سياسية ناشطة عملياتها العسكرية ضد الاحتلال، وقد أجمعت تلك الأحزاب على هدف تحرير الوطن، في حين أنها تباينت، فيما بينها، لجهة أسمائها، وأيديولوجياتها، وأحجامها وإمكانياتها، فضلاً عن قدرتها على الاستمرار، إذ بدأ بعضها يتراجع منذ أواسط الثمانينات، وتحديداً بعد الانسحاب الأول في 16 شباط عام 1985م.

واستمر بعد ذلك العمل المقاوم، لكي يبقى شبه محصور بالمقاومة الإسلامية، التي تابعت عملياتها، وتصدّرت العمل المقاوم، طيلة المرحلة، بين الانسحاب الأول، والانتصار في أيار العام 2000م.

وعلى الرغم من أن المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال، احتوت، أو اشتملت على تناقضات أيديولوجية، إسلامية ويسارية وقومية ومؤمنة وعلمانية وملحدة، فهي لم تمنعها من التضحية في ساحات الجهاد؛ غير أن خاصية الإيمان، ميّزت المقاومة الإسلامية عن غيرها من المقاومات، ما يفسر قدرتها على الاستمرار، رغم الاختلال الكبير في موازين القوى، وهموم الداخل اللبناني، وفداحة الخسائر والتضحيات، وبالتالي يستحيل تحليل قراءة استمرارية المقاومة، بمعزل عن خاصية البعد الديني، أو الأساس الأيديولوجي للمقاومة الإسلامية.

وقد تمثّل هذا البعد في الروح الإيمانية، بما هي خاصّية هذه المقاومة، سواء في مسلكية أفرادها، أو في قراءات قياداتها. لقد كان القرآن بالإسم، والفعل، أساساً لفكر ونهج القيادة والأفراد في المقاومة الإسلامية؛ وكانت المقاومة تسعى إلى تطبيق شعاراتها بصدق، قارنة القول بالفعل، والنظر بالعمل، والفكر بالممارسة، وفق المبادئ الإسلامية الحقيقية. من هنا، كان المجاهد من هذه المقاومة متعبداً، زاهداً في الدنيا، منطلقاً نحو ربه، فكان الله في فكره، وعقله، وسلوكه، وبذلك أصبح العين التي يرى بها الله، واليد التي يضرب، ويرمي بها الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ. . .﴾[1].

ويُفسّر العلامة المشهدي هذه الآية بقوله: «وما رميت: يا محمد رمياً يوصلها إلى أعينهم ولم تقدر، إذ رميت: أي أتيت بصورة الرمي، ولكن الله رمى، أي أتى بما هو غاية الرمي فأوصلها إلى أعينهم حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم»[2].

ولما كان الإيمان غالباً في ذات المجاهد، فمن البديهي أن يفرض عليه سلوك طريق الحق والعدل والخير للإنسان، بل للإنسانية جمعاء، هذا في الظروف الطبيعية والعادية، فكيف الحال في الظروف الاستثنائية، التي يعتدي فيها العدو على مقدسات وطن، بما فيه من شعب وأرض.

لا شك أنه في مثل هذه الحال، حال الاعتداء الخارجي على الوطن ومقدساته، يقف الجميع أمام استحقاق الدفاع، والمقاومة، والتضحية في سبيل الحرية والكرامة، وهنا يمتحن الإنسان المؤمن بإيمانه، هل هو إيمان ظاهري له عناوينه الإعلامية فقط؟ أم أنه إيمان راسخ تتجلى مصداقيته في ساحات المواجهة؟ وهذا ما أكّده الله عز وجل بقوله ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3].

---

(1) سورة الأنفال، آية 17.

(2) المشهدي، محمد، كنز الدقائق، ط1، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، سنة 1411 هـ، ج4، ص36.

(3) سورة آل عمران، آية 142.

ويُفسّر العلامة السبزواري هذه الآية فيقول «يُبيّن سبحانه وتعالى أن السعادة في الدارين، لا يمكن الوصول إليها إلا بالجهاد والصبر . . . وأنه لا بد من الامتحان لتمييز الصابر الصادق عن غيره . . . والمعنى أم حسبتم كما حسب بعض أهل الغرور من أنهم على حق وهو لا يغلب، وأن الظفر والغلبة لا تفوتهم، وكذا الفوز بالسعادة الأخروية، والله تعالى، ينكر ذلك عليهم، ويُبيّن أنه حسبان محض . . .»[1].

وعليه، فقد انطلقت نماذج نخبوية، سلاحها الأول الإيمان بالله والوطن، وتمكنت من أن تتخطى ما وقع فيه الآخرون من تردد، وارتباك، أو من عجز في إرادة التكامل بين ما هو مطروح من نظريات، وشعارات، وبين ما هو مطلوب من مواجهة، وتضحية في سبيل قضايا الوطن والأمة.

وهذا ما أظهرته سلوكيات بعض القوى السياسية، على الساحة اللبنانية، خلال النصف الثاني من القرن العشرين. لكن هذه النماذج النخبوية، التي آمنت بالله، ترجمت إيمانها جهاداً في سبيل الله. وتجلّت بسلوكها على المستوى العقيدي والإيماني، كما بقيت محافظة على مبادئها الإسلامية والإنسانية، رغم الظروف القاهرة التي عاشتها، والممانعة القوية التي واجهتها منذ نشأتها؛ لقد شقّت طريقها بإيمانها بالله، وبهذا المعنى، يقول السيد حسن نصر اللّه: «لا ينطلق المجاهد الشهيد مع الله فقط، من موقع التكليف الشرعي، ومن موقع الوظيفة الشرعية، بل يتجاوز علاقته مع الله، علاقة محض العبودية، البعيدة عن الحب، والعشق، فيتحول الله في حياة هذا الإنسان، إلى مطلق وكامل وعظيم»[2]. وفي مجتمعنا، بعض الحالات لا تترجم إيمانها النظري إلى مواقف عملية، وتدافع عن حق الوطن المسلوب، وتقاوم الاحتلال، في حين أن المقاوم المسلم، الذي سلك طريق الشهادة، يقاتل كما أشرنا بروحية المؤمن

(1) السبزواري، عبد الأعلى الموسوي، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط3، قم، مؤسسة المنار، سنة 1418هـ، ج6، ص327 ـ 329.

(2) السيد نصر الله، حسن، العهد 22 رجب سنة 1405هـ العدد، 42، ص1.

الملتزم، وهذا ما أشار إليه السيد حسن نصر اللّه قائلاً «ما قاتل المسلمون في لبنان بالقوة المادية، وإنما قاتلنا بتاريخ (1400) سنة، قاتلنا بكربلائنا، وبحسيننا، بتاريخنا وحضارتنا وتراثنا»[1].

إذاً فالمؤمن الذي استشهد في سبيل قضيته العادلة، إنما استشهد انطلاقاً من تكليف شرعي، وواجب إلهي، يحثه على الجهاد والمقاومة؛ إنه يترجم إيمانه الصحيح، إلى مواقف جهادية استشهادية، فالمقاومة ليست ردة فعل حماسية، بل هي مبدأ المؤمن الملتزم قضايا وطنه وأمته.

والإيمان بالله، يجعل المقاوم المؤمن غير آبه بالصعاب، بل يدفعه إيمانه هذا، إلى مسابقة الآخرين، على طريق العروج إلى الملكوت الإلهي، وبذلك يكون كل شيء لله عزّ وجل. يقول السيد حسن نصر اللّه «قبل كل شيء . . . وبعد كل شيء . . . نحن عباد الله، نعلن أمام العالم كله، أن هذا النصر من الله سبحانه وتعالى، وهو الذي هدانا إلى طريق المقاومة، وهو الذي دلنا سواء السبيل، وهو الذي ثبّت قلوبنا منذ سنوات، وهو الذي ملأ قلوبنا طمأنينة، وأنفسنا عشقاً للشهادة»[2].

لقد واجهت المقاومة الإسلامية عدواً احتل الأرض، واعتدى على الكرامات، وحوّل الوطن، وبخاصة جنوبه، إلى حقل اختبار لأساليبه العدوانية الإرهابية، ولأسلحته الفتاكة، وأيديولوجيته القائمة على تصنيف نفسه، في صورة شعب الله المختار!!. من هنا كانت المقاومة الإسلامية واضحة، في خطابها مع هذا العدو، ومنذ انطلاقتها، حيث جاء في برنامجها أن «صراعنا مع إسرائيل الغاصبة، ينطلق من فهم عقائدي، وتاريخي، مؤاده أن هذا الكيان الصهيوني، عدواني في نشأته، وتكوينه، وقائم على أرض مغصوبة، وعلى حقوق شعب مسلم . . .»[3].

---

(1) السيد نصر الله، حسن، العهد، 1 رجب سنة 1405هـ، العدد 39، ص4.

(2) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص13.

(3) الرسالة المفتوحة، مرجع مذكور.

ولا شك في أن هذا الإيمان، يتعارض مع الإيمان المزعوم، الذي يتوارى خلفه المشروع الصهيوني، ذلك أن الصهيوني، يدّعي كذباً، أنه مؤمن برسالة موسى (ع)، رغم أنه أخفى نصوص تلك الرسالة السماوية، كما أخفى نصوص رسالة سيدنا عيسى (ع)، وحاول دائماً تشويه وتزوير رسالة سيدنا ونبينا محمد (ص)، لكن الله عز وجل، أكّد حفظ الرسالة والقرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وعموماً، فإن ادعاءات الصهيونية، هي كلّها لطمس الرسالات السماوية، ولتشويه نبوّة الأنبياء، ولتزوير حقائق التاريخ الحضاري للإنسانية جمعاء؛ والصهيونية لم تفعل هذا كله عبثاً، فالمصالح المادية، والرغبة في استيطان أرض الغير، واستجداء العطف والتأييد من الرأي العام الدولي، تحت شعار المظلومية اليهودية، هذه العوامل مجتمعة، إضافة إلى إغراء اليهود بالهجرة، والإقامة في أرض شعب آخر، شعب فلسطين، تفسّر حقيقة الإيمان المزعوم، والأيديولوجية الدينية المخاتلة، التي صنعت المشروع الصهيوني في منطقتنا، منذ بداياته حتى الآن. وبالتالي، فإن التمايز بين الإيمان بالله، والإيمان بالمشروع الصهيوني، يكشف الاختلاف الحقيقي بين أهداف كل منهما. فالصراع مع هذا الكيان الصهيوني الغاصب، هو صراع وجود، وكذلك مع مشروعه الذي يحمل في ذاته مخططات توسعية ولا إنسانية، تجسد باستراتيجيته، تهديداً للإيمان بتكامل الرسالات النبوية، وتهديداً وجودياً، وشمولياً، يطال الأرض والإنسان.

ولم تصل المقاومة الإسلامية إلى ما وصلت إليه، إلا من خلال إعداد العناصر والكوادر إعداداً عقائدياً، ملتزماً بالدين الإسلامي، ومتخذاً القرآن دستوراً وسيرة النبي ص) والأئمة (ع) منهجاً وسلوكاً، وكذلك من أجل تأكيد حق عيش الإنسان في حرية وكرامة، وهو حق جسدته المقاومة في أدبياتها

(1) سورة الحجر، آية 9.

الفكرية، والسياسية، والأخلاقية، والاجتماعية، والإنسانية، كما ترجمته في ممارساتها، داخل المجتمع، وفي ساحات الجهاد، وضد قوات الاحتلال. المقاومة بقيادتها، وعناصرها، وكوادرها، وشهدائها، ترجمت مبادئها الوطنية سلوكاً عملياً، فقرنت القول بالفعل، والنظرية بالممارسة. يقول السيد نصر الله في كلامه على المقاومين: «قاتلوا دفاعاً عن وطن وشعب ب عن أمتهم ومقدساتهم، عن محمد والمسيح . . . قاتلوا واستشهدوا، ليعيش كل لبناني بحرية وكرامة، قاتلوا وكان فعل إيمان برسالات السماء، فعل دين، لم يكن فعل إنتماء لطائفة ولا عقيدة طائفة، إنما كان فكراً إيمانياً، وعقيدة إيمانية، واستجابة لنداء الله . . .»[1].

من هنا، نرى أن الإيمان بالله، ليس إيماناً نظرياً، أو وجدانياً، يكتفي الإنسان برفع شعاراته، وإنما هو إيمان عملي، يعطي الإنسان المؤمن خصائصه، ومميزاته، على المستويين العبادي والمعاملاتي؛ وكل من يركز في ممارساته الدينية على مستوى واحد، نظرياً كان أم عملياً، يكون قد أخلّ بقواعد الالتزام الديني، فالإيمان يلازمه عمل. وهناك بعض الآيات التي تشدّد على ارتباط وتلازم الإيمان بالعمل، نذكر منها الآية الكريمة ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2]

هذا العمل الصالح، هو ثمرة إيمان راسخ، هو نتيجة تفاعل الإنسان المؤمن، مع محيطه، وعائلته، وأولاده، وزوجته، بحدود أوامر الله ونواهيه، والتي نستفيدها من القرآن الكريم، ومن سنة النبي (ص)، وسيرة الأئمة، والصحابة الصالحين.

من هنا، لا يمكن للإنسان أن ينخرط في صفوف المقاومة الإسلامية، إن لم يكن إنساناً مؤمناً، ملتزماً بالمفهوم الذي أشرنا إليه، أي اقتران القول

(1) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص23.
(2) سورة البقرة، آية 25.

بالفعل، والنظر بالعمل؛ فلكي يصبح الإنسان مجاهداً، مقاوماً في صفوف المقاومة الإسلامية، لا بد له أن يحافظ على ثوابت إسلامية أساسية، عقائدياً، وعبادياً، وسلوكياً، لأنه من الطبيعي، بل من البديهي، أن يكون هذا المقاوم مؤمناً، مصلياً، مؤدياً لما يتطلبه الإيمان العملي من شروط تؤدي به إلى حالة انطلاق جهادية، تكون وسيلته إلى النصر أو الشهادة.

من هنا، يتضح لنا أن المجاهد يختلف عن غيره من الناس، ليس شكلاً بل مضموناً، إنه من حيث الشكل إنسان كما كل البشر، يصلي، يصوم، يحج . . . يمارس هذه العبادات، والمعاملات كغيره من الناس، إلا أنه يتميز عن سائر أفراد المجتمع، بميزة الجمع بين الإيمان والعمل بموجباته. وباختصار، يتميز بفلسفة خاصة من خلال التكاليف الشرعية، التي يراها بصورة مختلفة عن الآخرين. وهنا السؤال: كيف يجاهد الإنسان في سبيل الله؟ أين هو سبيل الله؟ هل هو مجرد ساحة، ومجال، يختلف عن مجالنا؟ أم هو في أرض، وشعب وقضية؟

اختلفت الآراء والأفكار والفلسفات حول سبيل الله، وكل انطلق مؤكداً وجهة نظره بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية، من خلال فهمه وتفسيره لها.

فمنهم من قال إن سبيل الله هو الصلاة، والصوم، والحج، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر . . . لكن هؤلاء، لم يتصدوا بالدفاع عن أرض المسلمين.

ومنهم من لم يكتف بذلك، بل قال بالجهاد، والدفاع عن الأرض والإنسان، لكنه غرق في الاجتهادات، وتكفير الغير، واختزال الدين في تياره ومذهبه ومعتقده.

ومنهم من عاش الإسلام بكل تفاصيله العبادية، والمعاملاتية، وتصدى للدفاع عن الأرض والإنسان حين دعت الحاجة، فكان مؤمناً، ملتزماً في الشارع والجامعة، ومجاهداً على الثغور، وفي ساحات المواجهة، كأن سبيل

الله، مصداق للإيمان، والالتزام الديني، الذي يعتمر قلبه؛ ولماذا لا يكون كذلك، والله خاطب نبيه (ص) قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ. . .﴾[1].

فالجهاد سبيل الله، وباب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، والله يتجلى بعدالة، ونظم، وقوانين إنسانية، تسعى لرفع الإنسان إلى العرش الملكوتي، من خلال سلوك إيماني، أخلاقي، جهادي، يتصدى الإنسان فيه للظالمين، ويدافع عن المستضعفين، في أرض الله الواسعة.

إذاً سبيل الله يختلف من شخص إلى آخر، ومقاوم لآخر، فسبيل الله هو دين الله، هو شرع الله، هو الإنسان في هذه الحياة، هو الكرامة الإنسانية، هو أرض الله، أرض الإنسان، هو الوطن. وقد أكّد السيد حسن نصر اللّه أنه «لو لم يكن شباب المقاومة الإسلامية يؤمنون بيوم الحساب بالجنة والنار وينتظرون ما أعدّ الله لهم من نعيم، لما كان جهاد ولا مجاهدون، ولا مقاومة، ولا انتصار، ولا تحرير، هؤلاء الشباب، يؤمنون بيوم القيامة، الذي يؤمن به كل مسلم وكل مسيحي . . .»[2].

هكذا كانت المقاومة الإسلامية، تجسّد سبيل الله قولاً وعملاً، كانت ذراعاً عسكرياً، لتيار سياسي إسمه «حزب الله»، وهذا الاسم الكبير، يستوجب تلازماً بين الشكل والمضمون، ويقتضي هذا التلازم، تطبيق المبادئ، والمفردات، بشكل نموذجي، كي يبقى هذا الإسم في المستوى، والمرتبة، التي يجب أن يكون فيها، فالله كان أساساً لتلك التسمية، والمجاهدون دأبوا محافظين على قدسية هذا الإسم.

وكذلك تجسد الله في خطاب المقاومة الإسلامية، من خلال البعد الديني والإيماني في سلوك المجاهدين، بالإضافة إلى الأداء السياسي، الذي تضبطه

---

(1) سورة التحريم، آية 9.

(2) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص15.

قوانين أخلاقية، إنسانية، ربانية، مما أنتج نموذجاً مثالياً، لاقتران الشكل بالمضمون.

ويكفي أن نقف على سيرة المقاومة الإسلامية في لبنان، أو لنرى الانتصار في أيار العام 2000، لنجد كيف كان الله في خطابها ممارسة وجهاداً، لأنه لا يمكن أن تصل إلى ما وصلت إليه، إن لم تمتلك نفس العقيدة والثقافة، والتي تؤدي بالتالي، إلى الذوبان الكلي في الله.

المقاومة الإسلامية جسدت ما رفعته من شعارات، فعلت ما قالت، مستفيدة من التذكير الإلهي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1].

فتاريخ الشهداء، والدم، والمفهوم العقيدي، الذي ساد، ومَنهَجَ سلوك المجاهدين، في المقاومة الإسلامية، هو الشاهد، بل هو الناطق باسم الإنسانية، الذي يؤكد كيف كان الله عزيزاً، ومقدساً في فكر، ونهج، وعقيدة المقاومين؛ كيف كان عباد الله، والمستضعفون في وجدان المقاومين، ما أسهل أن يرفع الإنسان شعاراً في هذه الحياة، لكن ما أصعب تطبيق هذا الشعار.

معاناة الصدق مع النفس، والله، والإنسان، هي التي صقلت المجاهد الإنسان، والإنسان المجاهد في المقاومة الإسلامية. هذه المعاناة، كانت أساساً في بناء الإرادة الصلبة، التي بواسطتها، يُقْدِم الإنسان على اختياره الصعب، في الوقت الصعب، فيصبح الله في روح الإنسان والإنسان، في رحاب الله. هذا التماهي بين الإنسان والله، هدفه تعزيز العبودية لله والامتثال لأوامره، والابتعاد عن نواهيه. من هنا كان الله قبل، وبعد، وفي كل حركة من حركات المجاهدين وتضحياتهم، فالجهاد في سبيل الله، والمجاهد والشهيد إلى جوار الله، والنصر من عند الله.

---

(1) سورة الصف، آية 2.

وختاماً فإن الله يؤنس بصلاة وعبادة ودعاء المجاهدين، وكذلك باستشهادهم، ولذا فإن المجاهدين، لا يبخلون بتقديم أغلى ما يملكون، ولا يتوانون عن الجود، حتى بأنفسهم، في سبيل مرضاة الله، وشعارهم دائماً هو، الجود بالنفس أسمى غاية الجود.

الوطن في خطاب المقاومة

في مفهوم الوطن:

يتماثل مفهوم الوطن في الأغلب، مع مفهوم الدولة، من حيث احتوائها على عناصر قانونية عدة، كالشعب، والأرض، والسلطة. بيد أن الوطن أكثر رسوخاً، من حيث قابليته أن يكون سابقاً على الدولة، أو لاحقاً عليها. إذ إن الدولة تركيب قانوني أ سياسي، فيما الوطن هو وجود قبلي، يخلو من الاشتراط القانوني، من حيث الوجود والاستمرار. فهو في الأقل، أقرب إلى الإطار الطبيعي للإنتماء. لذا، فهو منزلة من منازل الانتماء، التي تتراتب من حيث السعة والضيق. أو من حيث المضمون والجهة. فإذا افترضنا أن الأمة، الوطن، والشعب، هي دوائر متراتبة في تحديد الإنتماء الإنساني، فإن ما يشكل قوام الأمة، هو البعد الحضاري، الذي يجمع شعباً أو شعوباً، على مقصد واحد. وهذا ما تعنيه كلمة أمة، التي تشتق من أمَّ أي قصد وتوجه. وهذا ما يظهره التجاور، في مفردات الأمة، والإمام، اللتين يجمع بينهما القصد، والسير والإتمام.

في المقابل، إن مفردة شعب، لا تنفك في التعبير عن الانتماء إلى قوم، أو عرق، في حين أن الوطن، أقل تحديداً، وأكثر تأرجحاً، في المسافة الفاصلة

بين مفهومي الأمة والشعب. وإن يكن مضمون الوطن لا يستقيم دون أرض ودون شعب، وهما أدنى معانيه، إلا أنه قد يرتفع المعنى، فيلتصق بالأمة، ليأخذ منها بعدها الحضاري.

هذا يطرح من زاوية مفهومية، صلة الوطن بالأرض، وإذا ما أضيف إليه، البعد الديني الإسلامي، فإن ثمة إشكالية، ستمثل، ولا بد من معالجتها، ذلك أن الأرض، لم ترد في النصوص الفقهية إلا في أحد وجهين: اقتصادي من زاوية تحديد طبيعتها بما يرتبط بوجهة استعمالها العام أو الخاص، أو لناحية العام أو الخاص(*)، وسياسي من وجهة التمييز بين دار الإسلام ودار الحرب. ولا يخفى أن الحثّ على الهجرة، وفق النص القرآني، في حال التعرض لحالة الاستضعاف، أو عدم القدرة على تحكيم العقيدة، وموجباتها التشريعية، على أساس أن أرض الله واسعة، ينطوي على إقلال من قيمة الأرض بذاتها، ما لم تقترن بالمشروع العقائدي، والسياسي للأمة.

وإن تكن ثمة اتجاهات فقهية معاصرة[1]، أدرجت الأرض كمكون أساسي من مكونات الدولة، نظراً لانتسابها إلى شعب تتولى أمره. وبالتالي فإن مفهوم المواطنة، يبرز تبعاً لتشكل مجتمع سياسي محدد، وفقاً لشروطه القانونية والاجتماعية، بحيث لا تكفي معه الرابطة العقائدية وحدها في إنتاج مفهوم المواطنة، ويبني هذا الاتجاه فهمه، بالاستناد إلى الآية القرآنية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾[2]. إذاً إن القسمة ما بين المجتمع

(*) التمييز بين الأرض الخراجية وأراضي الأنفال.

(1) شمس الدين، محمد مهدي، في الاجتماع السياسي الإسلامي / المجتمع السياسي الإسلامي، محاولة تأصيل فقهي وتاريخي، ط بيروت المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، سنة، 1992م، ص(95).

(2) سورة الأنفال، الآية 72.

العقائدي، والمجتمع السياسي، تجعل من مفهوم الوطن والمواطنة، ممكناً، فقط، بالاستناد إلى وجود المجتمع السياسي، الذي لا بد أن تكون الأرض أحد مكوناته الأساسية.

الوطن في مفهوم حزب الله:

إن تتبع تطور مفهوم الوطن في أدبيات حزب الله، يظهر أن هذا المفهوم، يصلح كمعيار لتطور الفكر السياسي لدى الحزب، ويصلح من ناحية دلالية لاستظهار التحولات التي طرأت على بنيته الفكرية. إذ إن حزب الله، الذي كان يحصر مفهوم الشرعية، في خطابه، بأبعاد دينية خالصة، قد أقدم، وعلى الأخص في عقد التسعينات، على إنتاج مفهوم مركب للمشروعية، استناداً إلى ركيزتين دينية ووطنية. لذا، فقد وفدت إلى خطابه تعابير الوطن، والوطنية، والمصالح الوطنية، بصفتها تعبيراً عن تحولات، هي في الحقيقة تحولات في الواقع تركت انعكاسها على الأفكار، في عملية متداخلة ومتراكبة. وما كان ذلك ممكناً، لولا التغيير الذي طال بنية النظام السياسي اللبناني وموقف السلطة من المقاومة، وتطور الموقف الشعبي، تجاه مشروع الصراع مع إسرائيل.

من هنا «فإن عمل حزب الله يوائم بين إسلامية المنهج ولبنانية المواطنة، فهو حزب لبناني بكل خصوصياته ابتداءً من الكادر والقيادة مروراً بالعناصر . . . وهو يحمل الإسلام الذي يسعه ويسع الآخرين في العالم، ولا يتعارض الإهتمام بقضايا العالم الإسلامي والمستضعفين مع الاهتمام بالقضايا الوطنية»[1]

إن اغتراب الواقع السياسي اللبناني عن مفهوم ورؤية حزب الله للوطن والهوية، كان يضع هذا الواقع، في دائرة الشبهة، لكن التحولات المشار إليها، أدرجت هذا المفهوم، في سؤال عن الهوية الذي يتسم بطابع إشكالي عميق.

---

(1) قاسم، نعيم، حزب الله، المنهج التجربة المستقبل، ط1، بيروت، دار الهادي، سنة 1423هـ، 2002م، ص77.

وهذا ما أشار إليه علي فياض أحد مسؤولي الحزب بقوله «إن الهوية العربية، عانت، على الدوام، من انشطار في أبعادها، غالباً ما كان يأخذ منحى صراعياً وتناقضياً، وحيث أن الهوية هي مسألة وعي، قبل أي شيء آخر، فقد استقر هذا الانشطار في بنية الوعي العربي، بما هو هوية، وبما هو أيديولوجيات تعبير عن هذه الهوية، هكذا بدت العروبة ضد الإسلام، والإسلام ضد العروبة، وكلاهما ضد الوطنية، وفي نقلة إنقسامية أخرى، بدا الإسلام ضد الإسلام والعروبة ضد العروبة، لتشكل متوالية انقسامية تصاعدية لا تنتهي»[1].

لقد أجاب حزب الله على سؤال الهوية، من خلال عملية تطور فكري، وسياسي، وعملي، أفضى إلى تكامل الأبعاد متعددة الهوية، كما ذكرنا «ولج حزب الله في عملية إنضاج دؤوبة، على مدى عقدين من السنين، وهكذا يمكن تبين السمات الفارقة في الخطاب، بين مرحلتي الثمانينات والتسعينات، بحيث صار في المرحلة الثانية، أكثر انفتاحاً، وتعاوناً، وأقدر على التواصل، وبات أكثر اعتناءً بالتنويعات الاجتماعية، والسياسية، التي تحفل بها الأمة. فبات مفهوم الوطن حاضراً ومتكرراً، ولم يعد مترادفاً مع معنى الكيانية والتقسيم، وحضرت العروبة اصطلاحاً، ومضموناً، بوصفها إنتماءً طبيعياً، وليست أيديولوجيا سياسية، تقابل الإسلام وتتعارض معه، من هنا تكرست إسلامية خطاب المقاومة، على قاعدة الانفتاح، والتكامل، مع البعدين الوطني والقومي»[2].

وقد ساهمت ظروف دولية، وإقليمية، في تأسيس نظام حكم في لبنان، تقوده سلطة سياسية، كانت تعتبر أن لبنان هو عبارة عن تموضع جغرافي لخيار طائفي. وكان لا يعنيها ما يحصل في أحزمة البؤس، التي كشفت التناقض بين رفاهية العاصمة، وفقر الضواحي المحيطة بها، وكذلك الحرمان الذي تعاني منه

---

(1) فياض، علي، المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان، قراءة في المرتكزات السياسية والاجتماعية للتجربة، جريدة السفير، لبنان، العدد 8701، 11 أيلول 2000م.

(2) م.ن.

مناطق الأطراف في لبنان الكبير، في البقاع والشمال والجنوب؛ فهذه الضواحي والأطراف، لم تكن بالنسبة لهذه السلطة، سوى مناطق جغرافية هامشية، على الرغم من أنها لم تعدم وسيلة في استيفاء الضرائب، من المحرومين والمستضعفين، دون تقديم سبل العيش الكريم، والشعور بالمواطنية العادلة، والحقة.

كان هذا واحداً من أسباب الحرب الأهلية في لبنان، التي عصفت به طيلة عقدين من الزمن، وأفرزت وجهات نظر، ورؤى مختلفة، بين اللبنانيين، حول الوطن، بحيث أصبحت كل فئة، أو منطقة، ترى إلى الوطن، بما هو تجسيد للمصلحة السياسية، والطائفية، والمذهبية الخاصة، مما أدى إلى تعددية في الهوية الوطنية، وتوزّع ولاءات المواطنين، على عصبيات، وهويّات، تقع كلها في إطار إخضاع الوطن للطائفية.

من هنا، كانت الدولة، أو السلطة الحاكمة، لا تحمل همّ الدفاع عن الوطن، وحمايته، مستهينة بقدرات شعبها، حاملة شعار أن «قوة لبنان في ضعفه»، لكن الأيام أثبتت، أن «قوة لبنان في مقاومته ووحدته». ففي الوقت الذي كان الدفاع واجباً وطنياً، على الجميع، بعد أن احتل العدو الإسرائيلي العاصمة العربية الثانية، كانت الدولة اللبنانية تلهث وراء عقد معاهدة صلح مع الكيان الغازي المحتل «إسرائيل». لكن، لم يكن الشعب اللبناني كله منسجماً مع ما تقوم به السلطة، فبدأت المواجهات مع السلطة وانطلقت المقاومة ضد العدو، واستمرت على خطين: الأول على المستوى الداخلي، لإبعاد الهيمنة الإسرائيلية عن القرار الوطني، وبالتالي لصياغة مشروع وطني، ينسجم مع التعددية الطوائفية، التي تنطلق من المواطنية، والعروبة، ليُبنى وطنٌ، يتسع للجميع، تسوده العدالة، والإنسانية. والثاني على مستوى مقاومة العدو، في ظل الظروف العملانية القاسية، وهو ما أدى، بالنهاية، وبعد سجالات طويلة، إن كان على المستوى العسكري ضد العدو، أو على مستوى الموقف من المقاومة، والجدوى منها، إلى تحرير الوطن، الذي اعتبرته المقاومة لكل

اللبنانيين على اختلاف مشاربهم السياسية، وانتماءاتهم الطائفية، حيث تعاملت مع هذا التحرير، والانتصار، باعتباره انتصاراً للوطن كله، رافضة تخصيصه، بطائفة أو منطقة، أو حزب. وفي هذا السياق، يقول السيد حسن نصر اللّه: «عندما قاتلنا، دفاعاً عن أمتنا، ووطننا، انتصرنا، المقاومة لم تكن دفاعاً عن بلدة، أو طائفة، لم تكن لمذهب . . . لم تكن لحزب . . . هذه المقاومة، كانت دفاعاً عن وطن، واستعادة وطن، وكرامة لوطن، وسيادة لأمة . . .»[1].

من هنا، حملت المقاومة الإسلامية الدم، والنار، وأطلقت رصاصاتها الأولى، وسلكت نهجاً، تكاملت فيه الأساليب مع الغايات: فالغاية تحرير الوطن، أي تحرير الجغرافيا، والإنسان، والهوية، والكرامة، وإزاءه إما النصر وإما الشهادة؛ والأسلوب قتال ومقاومة العدو، والحصن العقيدة، المتمثلة بالإسلام، شاءه الله تعالى هدى للناس . . . وبالتالي المقاومة تستحضر الله، والوطن، في كل خطوة من خطواتها، باعتبارها ترجمة عملية، لمسيرتها نحو النصر أو الشهادة.

هذا الإيمان الوطني، ترجمه المجاهدون سلوكاً جهادياً في ساحات الجهاد، فكان جُلّ أهدافهم الوطن، فمن هم هؤلاء؟ وما هو مفهوم الوطن عندهم؟

المجاهدون، هم فتية آمنوا بربهم، وبوطنهم، فزادهم الله هدى وتضحية وفداء. إنهم أبناء هذا الوطن، ولم يكونوا غرباء عن أرضهم، وعن شعبهم، لم يؤت بهم من بلدان مختلفة، لينشؤوا إمارة يمارسون فيها معتقداتهم، التي تكفّر غيرها، والبعيدة كل البعد عن الحضارة، ومعالمها؛ لم يستعملوا أرض غيرهم بالقوة، لإبراز قضيتهم العادلة، لكنهم أبناء هذا الوطن، لهم قراهم، ومدنهم، وتاريخهم، لهم ثقافتهم، وعاداتهم، عاشوا طفولتهم، وشبابهم، في رحاب هذا الوطن، وكانوا الرجال، الرجال، في تحمّل المسؤولية مسؤولية الدفاع عن

(1) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص18.

وطنهم. لم يفلسفوا حبّهم له، ولم يُعقّدوا نظرتهم إليه، بل كانت معرفتهم، وعلاقتهم به، معرفة حدسية، بسيطة، غير معقدة، ملؤها الحب والشهادة.

الوحيدون الذين عبّروا عن عشقهم لوطنهم دون وسيط، فجاهدوا، وقاوموا، ليتعافى الوطن، لكن ما عرفوه عن الوطن، أنه ليس الجغرافيا فحسب، وليس الهواء، والماء، وغير ذلك، إنه بالإضافة إلى هذا «تفاعل بين الإنسان والإنسان، في الجغرافيا، وتفاعل مع الجغرافيا، وليس تنمية للجغرافيا . . . هو كرامة، هو بيت، وهو رغيف حلال. . وهو مدرسة، ومشفى، . . . الوطن هو الإنسان . . . أما حينما يكون الوطن مكاناً فقط، فالسجن مكان، والمنفى مكان، والغربة مكان»[1].

ولعلّ الظروف السياسية، التي سادت مرحلة ولادة حزب الله في لبنان، كانت السبب في توجيهه نحو خيار، كان يومها ضرورياً، من خلال مناداته، ومطالبته، بأن يكون لبنان جزءاً من مشروع الأمة الإسلامية، وهذا ما أكّده السيد إبراهيم السيد بقوله: «نحن نعمل في لبنان، من خلال المسؤولية الشرعية . . والقناعة السياسية . . حتى يصبح لبنان جزءاً من مشروع الأمة، في منطقة الشرق الأوسط، ولا نعتقد أنه من الطبيعي، أن يكون في لبنان دولة إسلامية، خارج مشروع الأمة، وإنما نريد لبنان جزءاً من مشروع الأمة»[2].

كان ذلك رداً طبيعياً، على مشروع السلطة الحاكمة، التي كانت تمثّل شريحة طائفية، تحمل صفة حزبية، تؤمن بلبنان بما يتناسب مع خصوصيتها، الدينية والطائفية، ومن ثم مارست الاضطهاد، والتسلط، على مختلف الطوائف، تحت ذريعة بناء لبنان، يحمل لوناً واحداً، وهذا ما رفضته معظم الطوائف، والشرائح الاجتماعية والسياسية في لبنان، وهذا ما أشار إليه السيد إبراهيم أمين السيد، أحد قيادي حزب الله، حين قال «إن تركيبة النظام

---

(1) شمس الدين محمد مهدي، عاشوراء، مجموعة محاضرات، ط2، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، سنة 1995، ج1، ص133.

(2) السيد السيد، إبراهيم أمين، العهد، 14 ذو القعدة سنة 1404 هـ، العدد 7، ص6.

اللبناني، مبنية على أساس التسلّط، تسلّط فئة الموارنة، واليوم تسلط الجهة السياسية، والعسكرية، عند المسيحيين، التي هي حزب الكتائب، والقوات اللبنانية، حتى يكونوا متسلطين، في كل مجالات الحياة في لبنان، على بقية الفئات، الموجودة في هذا الوطن»[1].

من هنا كان لا بد من مواجهة المشروع الكتائبي في تلك المرحلة بمشروع آخر، نظر إليه الكثيرون في لبنان، نظرة طائفية؛ لكن حقيقة الأمر، أن حزب الله، كان يريد لبنان عربياً، في محيطه العربي، وتكون العدالة معياراً لبناء الوطن، ويكون بعيداً عن الظلم، والاستبداد، وأن يعتمد على جيشه، بعد أن كان يدعم السلطة الحاكمة، ويقمع الشعب، ويقول السيد عباس الموسوي، الأمين العام السابق لحزب الله «ونحن لا نثق بهذا الحكم، والجيش اللبناني لا نأتمنه على قشرة بصل، لأننا ائتمناه في الضاحية . . ماذا صنع بنا؟ كان صدى صراخ أطفالنا في الملاجئ»[2].

هذه التداخلات في الساحة الداخلية اللبنانية، ونظرة الجميع للوطن، كل من زاويته، ومفهومه للوطن، أدخلت حزب الله طرفاً على الساحة الداخلية، وفق أولويات، رسمها الحزب، لأن همّه الأساسي كان قتال إسرائيل، والمحافظة على الوحدة الوطنية الداخلية، الداعمة للمقاومة.

أدّت التطورات، والتداخلات، والتعديلات الداخلية، والإقليمية، إلى زوال السلطة الكتائبية، الحاكمة عن لبنان، فدخل حزب الله، وبمسؤولية أكثر، باب الساحة الداخلية، مؤكداً ما طرحه من شعارات، لبناء لبنان عربي الهوية، والانتماء، وحدّد عدوه وصديقه؛ فاتفق الجميع، على أن إسرائيل هي عدو لكل لبناني، عدو للوطن برمته، وكذلك على صياغة اتفاق الطائف، الذي كان مؤشراً إيجابياً، في اختزال التناقضات، ورسم صورة جديدة للبنان، على أساس

(1) السيد السيد، إبراهيم أمين، العهد، 14 ذو العقدة سنة 1404هـ، العدد 7، ص 6.
(2) السيد الموسوي، عباس، العهد، 23 صفر سنة 1405هـ، العدد 21، ص4.

العدالة، والمساواة، ودمج ألوية الجيش، مما ساعد على نبذ الطائفية، من النفوس قبل النصوص. هذه التطلعات، أكّدت صوابية مشروع حزب الله، على الساحة الداخلية، من خلال رؤيته للوطن، والوطنية، في بلد متعدد الطوائف. من هنا، كان لا بد لحزب الله، أن يطور منطلقاته ويوضحها. فمن المناداة بالدولة الإسلامية، التي هي جزء من مشروع الأمة، ومعاداة السلطة المؤيدة لإسرائيل، والمتحالفة معها، إلى الانخراط، وبقوة، في ساحة المواجهة الداخلية، مع سلطة تؤمن، على الأقل، بلغة الحوار، وتحمل مفهوماً وطنياً بعيداً كل البعد عن المشروع الصهيوني في لبنان وفي المنطقة، فبات الحزب، يدافع، ويطالب، بحقوق المواطن، بلغة تختلف عن سابقاتها؛ لأن مخاطبة العدو، تختلف عن مخاطبة الصديق. وهكذا، دخل حزب الله الندوة البرلمانية، ليرفع، ويرافع، ويطلب، ويطالب بحقوق كل اللبنانيين، على اختلاف مذاهبهم، ومناطقهم، ومشاربهم السياسية؛ وتجلى ذلك، بأن لائحة الوفاء للمقاومة، لم تكن طائفية، أو مذهبية، إنما كانت تمثل كل الوطن، ففيها الشيعي، والسني والماروني، هذا التنوّع، والتعالي على المذهبية، أكسب حزب الله ثقة الكثيرين، الذين كانوا يخافونه، ويعتبرونه طائفياً، راديكالياً، وأصولياً.

أعطى هذا النهج حزب الله قابلية ليتفاعل الآخرون مع مشروعه، بخاصة الدولة، بعد دعوته لقيام دولة المؤسسات، وإلغاء الطائفية، وإقامة العدل في الوطن، وتميز ذلك بلغة وطنية، انسجمت مع كل الشعب اللبناني، بهدف أن يتحوّل إلى قوة وطنية لبنانية، بعد أن كان قد تأسس على فكرة حزبية شيعية.

وعلى الرغم مما حملته وثيقة الطائف من إصلاحات دستورية، بقي حزب الله، منفرداً، بمعارضته الداخلية لحكومات متعاقبة؛ هذه المعارضة، لم تكن لعرقلة مشروع السلم الأهلي، والتفاعل الوطني والحوار، إنما للمطالبة بحقوق المستضعفين، والمحرومين من كل الطوائف. تجلى ذلك بالانفتاح على المسيحيين، وإطلاق الدعوة لحوار إسلامي مسيحي، بل لحوار إنساني

إنساني، وذلك، لبناء وطن، تتفاعل فيه الطوائف، وتتكامل، لكي يبقى واحداً، ومستقلاً، عربياً في هويته، وعادلاً في دولته ومؤسساتها.

وبالإضافة إلى ما تقدم، كان برنامج حزب الله الانتخابي ملتزماً بمضمون وثيقة الطائف، من إلغاء الطائفية السياسية، إلى المحافظة على المقاومة في لبنان، إلى الإصلاح الإداري، إلى رفع الإهمال عن المناطق المحرومة، وهذا ما عبّر عنه الحزب، في بيانه الانتخابي بقوله: «إذا كان من المفترض، أن يسهم إجراء الانتخابات النيابية، في إيجاد صيغة جديدة للنظام، تنبذ الطائفية السياسية، وتؤسس للدولة التي تجسد إرادة الشعب اللبناني، فإن قرار حزب الله، بالمشاركة مع إخوانه وأصدقائه في خوض هذه الانتخابات، يبقى مستنداً إلى ثوابته المبدئية والسياسية . . بدماء شهدائه، وتضحيات مجاهديه . . . وتحرير لبنان من الاحتلال الصهيوني . . وإلغاء الطائفية السياسية»[1].

هكذا، استطاع حزب الله أن يتفاعل في الساحة الداخلية، رغم تعقيداتها المحلية، والإقليمية، والمذهبية، وأن يقوّم مسار الدولة، من خلال مشروعه الوطني، الهادف إلى تحرير لبنان من الاستراتيجية الإسرائيلية. هذا الجهد النوعي، والصبر الطويل، والحكمة في تفعيل مشروع، أكسبته مصداقية أمام الآخرين، وبات ثقة الجميع، وتجلى ذلك في مراحل قاسية مرّت على المقاومة، أبدى فيها الشعب اللبناني، وحتى الدولة حرصهما والتفافهما حول المقاومة، وأصبحت ضرورة، لا يستطيع لبنان التخلي عنها، في الظروف الحالية.

من هنا، كانت المقاومة الإسلامية، تخاطب شعباً على أرض محتلة، وليس في فضاء بعيد. كان الوطن هدفها الاستراتيجي الأساسي، مثلما كان هدفها تحرير الإنسان والأرض، ليتحرر الوطن، والكرامة، والعيش في ظل التآخي، والعدالة والمساواة، والإنسانية.

---

(1) أنظر الملحق الثالث، (البرنامج الانتخابي).

هكذا رسمت المقاومة شكل الوطن، وطن العدالة والكرامة، وطن الحرية، فكان لا يعنيها خلاف على وظيفة، بل كانت ترتفع عن المحاصصة في الوظائف، لأجل الأهداف الكبرى؛ لأنها كانت تنظر إلى الوطن، من زاوية أن تعطيه، لا أن تأخذ منه، أن تعطيه الحياة ليحيا، لا أن تأخذ منه الروح ليموت، وهذه هي النقطة الأساسية، التي تميزها عن غيرها، أن تعطي وتقدّم، في الوقت الصعب، لا أن تأخذ، وتستأثر، في الوقت الصعب.

هذا الوطن، الذي قدّسه المجاهدون، هو «لبنان الأبدي الأزلي السرمدي، الذي نريد أن نجعل العالم على شاكلته، والذي نريد أن نجعله واحداً، لا شريك له، ونريد أن نصلي له، في الصباح، والمساء، وأن نترك كل شيء لحجارة لبنان، وصخوره، وجباله، ولجماله، وأنهاره، وبحاره...»[1].

هذه الصورة الإلهية للوطن، ترفع به إلى مستوى القداسة، فتجعل الوطن سبيلاً لله، والعروج إلى الله يكون من بوابة الدفاع عن الوطن، عن إنسان هذا الوطن. من هنا، لم يكن الوطن في خطاب المقاومة الإسلامية، مجرد شعار يرفع في سوق الولاء النظري للسلطة، أو للحاكم، أو حتى للوطن، إنما كان ذوباناً وطنياً كلياً، يتفانى المجاهد، مترجماً شعاره، بقطرات من دم، أو معاناة جرح، أو آهات قيد.

إن امتحان الوطنية والإيمان بالوطن، يقام على وقع التضحية، والمقاومة، التي توجّه رصاصها نحو العدو؛ فالكثيرون ذبحوا الوطن بحجة حماية الوطن، وضلوا الطريق، من خلال الخلل في تحديد الهدف، حيث قدموا الجزئيات على الكليات، فكان الرصاص ضد الكلمة، والقلم، والعلم، بحجة الضلال، وتشويه الدين، في الوقت الذي كان العدو، يحتل الأرض، ويذلّ الإنسان. إن الابتعاد عن جوهر القضية ـ الهدف، وتحت أي ذريعة، كان

(1) فضل الله، محمد حسين، العهد، بيروت، 1 رمضان سنة 1405هـ، العدد 47، ص4.

خيانة، ولن يغفر التاريخ لهم، لأن الوطن، كان بأمسّ الحاجة إلى أبنائه، الذين أنجبهم، وأعالهم، واحتضنهم.

يندرج ما قدمته المقاومة الإسلامية في لبنان في سياق مفهومها للهوية الوطنية، فالمواطنية لا تعني أن نموت في سبيل الوطن، وإنما كيف، ومتى، وأين، نموت في سبيل الوطن؟ والمواطنية، هي التفاعل الوطني مع الإنسان، لبناء وحماية الوطن، وقد عبّر علي فياض، في تعريفه للوطنية اللبنانية بقوله «هي ترجمة للهوية، في أهداف، وبرامج، وأدوات، وأولويات، وهي إنزال الإنتماء، من منزلته الشعورية، ومضمونه الحضاري الكلي . . فالوطنية اللبنانية، هي إنتاج تبادلي، لوعي الذات والواقع . . من هنا، إنها ليست حقيقة مغلقة، ولا هي معطى ناجز ونهائي، بل هي قابلية مفتوحة، ومتواصلة، طالما هي مرتبطة بالوعي. لذا، فهي بقدر ما تكون صراعية مع العدو، وتحقق ذاتها، وبقدر ما تكون متفاعلة مع المحيط العربي، تنمو في اتجاه تحقيق ذاتها أيضاً . . .»[1]. من هنا تمكنت المقاومة وعلى الرغم من الظروف غير المؤاتية، من تأكيد دورها في تحقيق منجزاتها الوطنية، وأن تستأثر، وتتحصّن بالتأييد الشعبي، رغم تعقيدات تركيبة المجتمع اللبناني الطائفية، والسياسية. هذا ما كان ليكون، لولا التبنّي الكلي للقضية الوطنية، ما سمح بتحويل الخيار الحزبي إلى خيار وطني عام، حتى وضع السلطة، ذات يوم، في دائرة الإحراج، والتحدي، ليفرض عليها، إما المواجهة مع المقاومة والشعب، وإما الانجذاب إلى الخيار الوطني المقاوم.

إن جدلية العلاقة بين الدولة والمقاومة في لبنان، من خلال التجربة الاستثنائية لهذه المقاومة، استطاعت، وبصعوبة مرحلية، أن تكسبها تأييداً وتدخل المجتمع الأهلي، وتصبح السلطة في جانبها الوطني. ففي مراحل تناغم الدولة الأول مع المقاومة لم يكن ذلك في تقديم الدعم لها بل عدم عرقلة

(1) فياض، علي، جريدة النهار، العدد 20651، تاريخ 17/ 5/ 2000م.

دورها، ومن ثم بدأت الدولة تستفيد من الانتصارات العسكرية، للمقاومة الإسلامية، وتجيرها في خطابها السياسي والقومي، وتفاخر فيه على الأنظمة العربية الأخرى.

هكذا، أحدثت المقاومة تحولات جذرية في سياسة الدولة، وموقفها من المقاومة، حتى أصبحت السلطة السياسية في الدولة والمؤسسة العسكرية، تحمل شعار المقاومة وحفظ المقاومة، فأخذ الجيش دوره الوطني الطبيعي في الدفاع عن الحدود، والأجزاء المحتلة من الوطن، حتى امتزج الدم في خندق واحد، وفي هذا الصدد قال السيد حسن نصر الله «هذه الدماء الزكية في جبل الرفيع(*)، ودماء شهداء الجيش اللبناني في عربصاليم، استطاعت أن تجمع المقاومة، والجيش، ولأول مرة بهذا المستوى في تاريخ لبنان، في مواجهة الاحتلال، وكانت دماء «جواد عازار»، وشهداء جبل الرفيع، عنواناً للوحدة الوطنية، ولوقوف الدولة، والشعب، في خندق المقاومة، ومع المقاتلين في المقاومة»(1).

إن أهم تجليات الوطنية، في خطاب المقاومة بالإضافة إلى «الاستشهاد والتحرير»، هو إعادة الروح الوطنية للوطن، من خلال تحفيز، وتوجيه الدولة، إلى إعادة قراءة المرحلة، والوقوف على حقيقة الواقع، بل تبنّى مشروع المقاومة وخيارها. فرض هذا التلازم، بين الدولة والمقاومة، واقعاً وطنياً جديداً، أساسه المحافظة على الوطن، بحدوده وشعبه ومؤسساته.

(*) «يقع جبل الرفيع في محافظة الجنوب قضاء جزين على تخوم تلال جبل الريحان ـ سجد، جرت على هذا الجبل بتاريخ 12/ 9/ 1997 مواجهة بين مجموعة من المقاومة الإسلامية وقوات الاحتلال أدّت إلى وقوع خسائر في صفوف العدو وإلى استشهاد ثلاثة مجاهدين هم: هادي حسن نصر اللّه ـ نجل الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، هيثم محمد مغنية، علي محمد كوثراني. وخلال المواجهات تصدّت وحدات من الجيش اللبناني كانت متمركزة في أطراف عربصاليم للطائرات المعادية، فأغارت تلك الطائرات على مواقع الجيش فسقط ستة شهداء بينهم الملازم أول جواد عازار».

(1) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص15.

فإذا كانت الوطنية تعني أن تنطلق إلى الوطن من الزاوية العامة، وليس من الزاوية الخاصة، فهي أيضاً دعوة إلى أن يتماهى الإنسان مع الوطن، ويتعالى على شخصانيته، وطائفته، ومذهبه، ويسخّر كل ذلك في سبيل الوطن. إنّ أخطر الأمور على الوطنية، هي الطائفية، والطائفية مفسدة الوحدة الوطنية وخرابها، لذلك كانت المقاومة الإسلامية، أقرب الناس، والداعين قولاً وعملاً، للوحدة الوطنية، وأبعد الناس عن الطائفية.

ومما قاله السيد نصر اللّه «لا عيب أن يكون لك طائفة، ولكن العيب أن تكون قضاياك الكبرى في خدمة طائفتك . . . العز والفخر، أن تكون أمتك، في خدمة وطنك . . قيادة حزب الله، وكوادره، وقاعدته، تنتمي إلى طائفة . . . لكن تعلّمنا، من علمائنا الكبار، من الإمام الخميني، والإمام موسى الصدر، كيف يكون انتماؤنا الديني ـ لا إنتماؤنا الطائفي»[1] فالمعيار الوطني، هو الانتماء اللا طائفي، واللامناطقي، واللاقبلي؛ لأن الطائفية قبلية، وعشائرية، تسعى لعزل الإنسان، عن أخيه الإنسان، وزرع العبثية والفتنة في الوطن. وهذا ليس غريباً على اللبنانيين، لأن الطائفية، نالت من المواطن اللبناني، ودمرت إنسانيته، وجعلته يبكى على أطلال الماضي، لإعادة بناء وطنه، والإنسان.

ومن علامات تمايز المقاومة الإسلامية عن غيرها، أنها وضعت في سلم أولوياتها، المحافظة على الوطنية، حيث إنها حملت همّ الوطن، من الداخل والخارج، وتجلى ذلك في أدبياتها، وخطابها السياسي، وتنامي علاقاتها المتعددة، على الساحة اللبنانية، لا سيما الشرائح الأكثر بعداً من الناحية الطائفية، داعية الجميع، إلى بناء وطن العدالة، وطن الإنسانية. أما على المستوى الخارجي، فكان الجهاد الدفاعي، الذي مارسته بإتقان، وبدعم شعبي ورسمي، أحد أسباب الانتصار والتحرير. وهذا ما قدّره السيد حسن نصر الله،

---

(1) م.ن.

في خطاب الانتصار حيث قال: «يجب أن نذكر الشكر، للموقف الشعبي، والرسمي العام، المحتضن للمقاومة، القوى السياسية، والجمعيات، والشخصيات، والأحزاب، والنوادي، يجب أن نشيد بالموقف الرسمي العام، وخصوصاً في ظل هذا العهد، عهد فخامة الرئيس أميل لحود، وفي ظل هذه الحكومة، حكومة دولة الرئيس سليم الحص»[1].

إن أخلاقيات المقاومة الإسلامية، بمراعاتها للوحدة الوطنية، لم يظهر في الساحة الداخلية، خلال الاحتلال فحسب، إنما تجلت، وبشكل فاق التقديرات، والرهانات، التي كان العدو يراهن عليها، خلال انسحابه من الجنوب، من العبث بأمن المواطن الجنوبي، وتصفية الحسابات؛ لكن ما قدّمته المقاومة، من ممارسة متقدمة، في الرعاية فائقة التصوّر لجزء من الوطن، كان مثالاً يحتذى به، هو بمثابة تصرف حضاري، لم تمارسه حتى المقاومة الفرنسية، مع ما تمثله من صور للحضارة الغربية، بعد تحريرها لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية. وإن دلّ ذلك على شيء، فإنه يدل على حرص المقاومة الإسلامية على السلم الأهلي، والوحدة الوطنية، والمحافظة على المبادئ التي انطلقت من خلالها هذه المقاومة. وهذا ما أكده السيد حسن نصر اللّه بقوله: «عندما انهار الجيش النازي في فرنسا، أقدمت المقاومة الفرنسية المتحضّرة، على إعدام عشرة آلاف عميل فرنسي دون محاكمة، إن المقاومة في لبنان، أكثر حضارية من فرنسا، وكل هذا العالم، هل قتلنا أحداً؟ . . . هل سفكت قطرة دم واحدة على امتداد هذه الأرض؟ هذا هو المشهد المثالي الذي أذهل العالم؟ هذا النصر الحضاري، لا يقل أهمية عن النصر العسكري، والسياسي، الذي تحقق . . .»[2].

كل هذا كان مصاديق للوطن، والوطنية في خطاب المقاومة الإسلامية، وممارساتها في لبنان، إنها نماذج من الصور الرائعة، والتجليات المبدعة التي

---

(1) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص11.

(2) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص12.

حيّرت مراكز الأبحاث، وأذهلت المحللين، الذين لم يعهدوا، في أبحاثهم، مثل هذه النماذج الاستشهادية التي قضت، ليحيا الإنسان في الوطن، وليحيا الوطن في الإنسان.

لذا كان الوطن هو الخطاب، وكان الخطاب هو الوطن، وكانت دماء الشهداء خير شاهد على قداسة تراب الوطنية في مفردات المقاومة الإسلامية في لبنان، سياسة وخطاباً، ما جعل الاستشهاد قطب الرحى، يتطارحه أهل الرأي، ليصبح حواراً علمياً وفقهياً وفلسفياً، يرقى إلى مستوى الاجتهاد أحياناً.

الفصل الثاني

مفهوم الاستشهـاد

أولاً: انتماء عقائدي وتجلّ تاريخي.

ثانياً: السجال الفقهي حول الاستشهاد.

ثالثاً: الاستشهاد في الخطاب الفلسفي.

أولاً: الاستشهاد انتماء عقائدي وتجلٍ تاريخي

1 ـ مصداقية الإيمان:

يجسد الإيمان حقيقة عملية، أكثر مما هو إحساس داخلي، أي أنه دعوة إلى العمل، أكثر من كونه مجرد تعبّد ذاتي، فالإيمان تأسيس لجهاد، يتطلب الكثير من الصبر، والتحمّل، والاستعداد للتضحية، حتى بالأنفس، وهو غاية الكمال في هذا المجال.

فالإيمان، يتضمن تكاليف، وأمانات، لا يقدر على حملها، إلا الذين امتلأت قلوبهم بالإخلاص والتجرّد.

والمؤمن المخلص، لا بد وأن يؤهّل لكي يكون هادياً للناس إلى طريق الله، وعليه أن يمر بالإبتلاءات، وبمراحل الصبر، التي تجعله قادراً على حمل الأمانة، لكن هذه الاختبارات، هي من مراحل الإعداد الحقيقي، ليصل عبرها الإنسان المؤمن، إلى حمل الأمانة، والرسالة، وتحقيق كلمة الله في عالم الحياة.

وكلما ازداد إيمان المؤمن، المخلص، الواعي، ازداد بلاؤه، وكلما ازداد وعيه، وعلمه، ازدادت مسؤولياته، وشعوره بالالتزام.

من هنا نرى أن الابتلاء نعمة من الله، وأن الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه،

والله لا يحب البلاء لأوليائه، إلا لحكمة، وتدبير لطيف، ولحين، يريده الله لهم، فقد يصيب البلاء جميع الناس، ولكن لحكمة إلهية جعل البلاء من خصائص المؤمنين، وأن ردود الفعل البشرية تجاه الابتلاءات، هي من علامات التمايز بين المؤمن، وغير المؤمن، بين الصادق والمنافق، وبهذا المعنى، فإن المؤمن كلما اشتد بلاؤه اشتد إيمانه، أما غير المؤمن، فكلما وقع في بلاء ازداد كفراً وإجحاداً، وفي هذا السياق يقول تعالى ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[1].

وقد شرح العلامة الطوسي هذه الآية قائلاً: «التمييز بين الكافر والمؤمن أو المنافق بالامتحان والاختبار في تكليف الجهاد»[2].

فقد أكّد الله عز وجلّ، أن لا يدع الصف المؤمن المجاهد مستغرقاً بالنفاق والكذب، ومن هنا فصل البلاء بين الصفين، واعطى الصف المؤمن المجاهد، دوراً كبيراً، ليقتضي التجريد، والصفاء، والتماسك، وهذا يقتضي، ألا يكون في الصف ضعف، ولا خلل، لأنه يحمل منهجاً مقدساً. وكل هذا يقتضي أيضاً، أن نسلط الأضواء على هذا الصف لتتكشف السرائر، يقول الله في هذا الصدد: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3]. ويقول الواحدي في تفسيره لهذه الآية «لتبلون لتختبرن أيها المؤمنون في أموالكم بالفرائض فيها وأنفسكم بالصلاة والحج والجهاد ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود ب أذى كثيراً بالشتم والتعيير، وان تصبروا على ذلك الأذى ب وإن ذلك من عزم الأمور ومن حقيقة الإيمان»[4].

---

(1) سورة آل عمران، آية 179.

(2) الشيخ الطوسي، تفسير البيان، ط2، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، سنة 1409هـ، ج3، ص62.

(3) سورة آل عمران، آية 186.

(4) الواحدي، علي بن أحمد، تفسير الواحدي، ط1، دمشق، دار الشامية، سنة 1415هـ، ج1، ص247.

إن الأذى والنقص في الأموال والأنفس لا بد من مجابهتهما بالصبر والمقاومة، إنه الطريق إلى الجنة، وقد حفت الجنة بالمكاره، بينما حفّت النار بالشهوات، والجنة هي أمل المؤمن وغايته من خلال التربية الصحيحة، والمعرفة الواقعية للناس والحياة. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾. من هنا نرى أن هناك عملية بيع بين المؤمنين والله عز وجل، حيث أن مقابل الأنفس والأموال، الجنة التي عرضها السموات والأرض.

فالمؤمنون الصادقون، المخلصون، الذين يستشهدون في سبيل الله، هم الصفوة المختارة ممن انتقاهم الله، هم الذين يضحون بأنفسهم، ويجودون بكل ما هو غال ونفيس، فيكافئهم الله على تلك التضحية بالصلاح، والنجاة، والفوز بالجنة، لقاء ما التزموا به من حق، وثبات على الإيمان.

فالشهادة حصانة للشهيد من عذاب الآخرة، والسير نحوها مؤداه إلى العزة والرفعة والكرامة، فالحرّ في جهاده وتضحيته حرّ في تقرير مصيره، يرفض العبودية، متسلحاً بإيمانه، حتى ولو كان في أعماق السجون، فالحرية في الحياة، تؤسس لثقافة دينية، إنسانية واعية مبتعدة عن الظلم والاستعباد، والموت في سبيل قضية هو إيمان وعبادة وانتصار، والحرية في الممات أفضل من الاستعباد في الحياة

والمؤمن المجاهد، يختار الشهادة كأفضل طريق من أجل نصرة المبادئ، والقيم التي تمثّل أعلى درجات الإيمان وأصدقها، لأنها تمثل بيع النفس، والتضحية بها لقاء ثمن هو الجنة، التي خصّ الله بها أولياءه وعباده المخلصين.

2 ـ الموت الواعي والشهادة:

الموت يكشف موقف البشر وسرائرهم، والإنسان الذي يحب الموت، ولا يهابه، رغبة بلقاء ربه، يحمل في ذاته استعداداً للتضحية بنفسه، من أجل قضية قيّمة، ومبدئية، من منطلق الدين، والعقيدة الخاصة لله، أما الإنسان الذي

يخشى الموت، ويهرب من لقاء ربه، فهو الإنسان الذي تغلّبت شهواته على عقله، فران على قلبه، وزُيّنت الدنيا في عينيه، فلم يحسب لما بعد الموت، فغفل عن الله، وداهمه الموت، فلم يفلح في آخرته.

وفي تعبير آخر، فإن الإنسان الذي يغلب عقله غرائزه، يقترب من مكانة الملاك، أما الإنسان الذي تغلب غرائزه عقله، يصبح أقرب إلى الحيوان، وهذا ما جاء في حديث الإمام الصادق (ع): «إن الله ركّب في الملائمة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم»[1].

3 ـ الشهادة كرامة من الله عز وجل:

إن كرامة الله لعبده هي الفوز بالجنة، والعباد المؤمنون الذين يميزهم الله عن غيرهم من المؤمنين، هم الذين يظفرون بالشهادة على حد قول الله تعالى ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

ويفسر العلامة محمد جواد مغنية هذه الآية بقوله: «انفروا خفافاً . . . من يستطيع الجهاد بيسر، و«ثقالاً» . . . من يستطيع الجهاد بشيء من المشقة، و«جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله» . . . من المسلمات الأولية في دين الإسلام، أن أي عدو، يحاول الاعتداء على الدين، بتحريف كتاب الله . . . أو بالاستيلاء على بلد من بلادهم . . . وجب كفاية الجهاد والدفاع على كل مسلم»[3].

---

(1) وسائل الشيعة، مرجع مذكور، ج15، ص209.

(2) سورة التوبة، آية 41.

(3) مغنية، محمد جواد، التفسير المبين، ط2، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، سنة 1983م، ص248.

لقد أدرك المؤمنون ذلك الخير، فنفروا والصعاب تحيط بهم من كل جانب، والعوائق في طريقهم، ففتح الله قلوبهم، واعزّ بهم كلمته، وحقق على أيديهم النصر، فالتضحية بالأموال، والأنفس، لا تذهب هدراً، وإنما تكافأ عند الله بالأجر العظيم.

والأمة التي تلتزم بالقرآن، وبدين الله، لا بد وأن تجهد نفسها، وتستمد تجربتها، وخبرتها من الرسول (ص) وأوليائه، وعليها أن تمتلك قوة الشهادة، وأن توفر الإمكانيات من قوة، وعديد، وعتاد متطور استعداداً للقتال، والجهاد، من أجل إحقاق الحق، ومحاربة الظالمين المحلتين، وذلك لرفع كلمة الله، وتثبيت الحرية في الأمة المستضعفة. يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ. . .﴾[1]. ويفسر الطبري هذه الآية قائلاً: «بواعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم . . . ما استطعتم من قوة، يقول: ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح، والخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم. يقول تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين»[2].

فالاستعداد للقتال، بكل ما يملك المؤمن، هو من الواجبات الشرعية عليه، فالتهيئة، والإعداد، والتحضير، أمورٌ واجبة على الفرد، كما على الجماعة والدولة، ومن الجوانب المهمة في ذلك، الطاعة لأوامر القيادة الإسلامية، الرشيدة والشجاعة، في المواقف الجهادية، والمصيرية، استعداداً للتضحية بالأموال، والأنفس، وتقديم الشهداء، محتسبين عند الله في سبيل الوصول إلى الأهداف، الإنسانية، العليا، وتحقيق الغاية الربانية، والرضا الإلهي.

4 ـ العلاقة بين الشهيد والمصلحة:

الشهادة هي أحد مقومات النصر في الإسلام، للدفاع عن المحرومين،

---

(1) سورة الأنفال، آية 60.

(2) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، لا ط، بيروت، دار الفكر، سنة 1415هـ، ج10، ص29.

والمستضعفين والمظلومين، هي حلقة الفصل في أية معادلة، إنها خطوة المؤمن، وأمنيته التي يتسابق إليها المجاهدون لنيل مرتبتها، فالشهادة سلاح فعال، يستخدمه المستضعفون، والمجاهدون في ظروف موضوعية، لإرهاب الطغاة والمستكبرين.

هذا والمصلحة العامة، والشهادة الشرعية الموضوعية، لا تنفصل إحداهما عن الأخرى. وقد أعزّ الإسلام الشهيد وأكرمه، والشهيد الذي يرزق الشهادة، إنما يكون من أجل المصلحة العامة، وليس من أجل مصلحة فردية خاصة، ذلك أن الجود بالنفس في سبيل الله، بما هو سبيل قضية عادلة، يجسّد لحظة تكامل العمل، والعبادة، والإنسانية، والفداء، مع غايات الإيمان، وثوابت العقيدة.

من هنا تكون المصلحة العامة هي الدافع للشهادة، تماماً كما تكون المصلحة العامة تعبيراً عن جدوى العقيدة والشريعة، لذلك ينطلق الإنسان بجهاده متخطياً مصلحته، وأنانيته، لمصلحة الإسلام، والقضية العليا، التي تختصر أيضاً مصلحته الفردية، فالشهيد في الأمة، هو العزيز المكرّم، وبمقدار ما تكون الأمة مرتبطة بالعقيدة، وبمعطياتها وأسسها، تكون الرفعة والحياة والقدوة للشهداء في دنيا الناس، فالمفهوم الجهادي الذي سلكه هؤلاء المجاهدون، أنبت رجالاً أشداء، كانوا دعماً للعقيدة، مصدراً لقوتها وتأثيرها وديمومتها، فالعقيدة صفة ملازمة للشهادة، لا تنفصل عنها، بل تستمد الشهادة مع القوة.

أما علاقة الشهيد بالله عز وجل، فهي العلاقة الأقوى في الحياة وفي الممات، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[1]. ويفسر العلامة الطبرسي هذه الآية قائلاً: «الحق من ربك» أي هذا هو الحق من ربك. أضاف إلى نفسه تأكيداً وتعليلاً أي: هو الحق لأنه من ربك ب وكذلك فمن حاجك يا

(1) سورة البقرة، آية 174.

(محمد) . . . (من بعد ما جاءك من العلم « . . . فمن حاجك في الحق. الحق من ربك»[1].

أي أن الحق، لا يصدر إلا عن الله، بمعنى أن العقيدة الإسلامية هي من عند الرسول (ص)، والرسول هو من عند الله. والعقيدة واضحة، لا لبس فيها، إنها الحق الإلهي الواجب العمل على إقامة ما يحويه من مبادئ وفضائل، من هنا نرى أن مواقف الشهيد الجهادية، والاستشهادية، تستمد الفضائل من فضائل الله عز وجلّ، مصدر الكمال والجمال.

وتقوم هذه المواقف على أساس التكامل الإنساني النسبي، حيث يحصل التلازم المبدئي، والإنساني الوثيق، بين دافع الشهيد الجهادي في الحياة، ودافعه الاستشهادي في نصرة الحق، عند الممات، وبين الحق العام للتشريع الإسلامي، الذي ينصر الشهيد المستشهد في سبيل الله، ويهبه الحياة الأبدية السعيدة التي عَبرها، ليصل إلى أعلى درجات الجنة مع النبيين والصديقين والصالحين.

وعليه يمكن اعتبار الشرع الإسلامي، أساساً في إباحة الاستشهاد، لمن اعتنقوا الإسلام مذهباً، والقرآن منهجاً، في سبيل بقاء ونصرة وخدمة المصلحة الإسلامية العليا، وبهذا المعنى يقول الإمام علي (ع): «ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها»[2].

وبالعودة إلى بطل كربلاء، ندرك كيف هانت الحياة على الإمام الحسين (ع)، ففضّل الاستشهاد، والموت الواعي في سبيل الله تعالى، على الحياة الذليلة، في ظل الطاغوت، ليصبح (ع) وكربلاء، مثالاً للتضحية، وقوة

---

(1) العلامة الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، سنة 1415هـ، ج2، ص310.

(2) التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم، ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، سنة 1987م، ج2، ص134.

للإيمان، والثبات على الحق، وبهذا المعنى، يقول «عليه السلام» بعد استشهاد أهله وأصحابه: «هون عليّ ما نَزَلَ بي، إنه بعين الله»[1].

5 ـ الشهادة وسيلة:

تعتبر الشهادة، إحدى القوى الممكنة التي من خلالها الدفاع عن القضايا العادلة، ومن ثم إرهاب العدو، ولا يمكن اعتبارها غاية وهدفاً في ساحة المعركة، إنما تستخدم كوسيلة شريفة ونبيلة من وسائل القتال والجهاد من أجل المصلحة الإسلامية العليا.

وتعتبر أيضاً من العوامل الرئيسية في نصرة العدالة والحرية الإنسانية ولكن ثمة علاقة جدلية بينها وبين الهدف الذي تنشده، وهذا الهدف ضرورياً لوجودها حيث أن طبيعة الهدف تحدد شكل الوسيلة. فإذا كان الهدف سامٍ ونبيل، فلا بد أن تكون الوسيلة في غاية القداسة.

والقادمون على الشهادة رموز إنسانية نبيلة، اختصوا لهذه الوسيلة التي تدعم النصر بل وتعجّل تحقيقه.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا . . .﴾[2].

ويفسّر الطبري هذه الآية «. . . وعد الله المقاتلين في سبيله بالجنة، والوعد حق أن يفي لهم به في كتبه المنزلة التوراة والإنجيل والقرآن إذا هم وفوا إذا عاهدوا الله فقاتلوا في سبيله ونصرة دينه . . . فقتلوا وقتلوا . . .»[3].

من هنا نستوحي أن الشهادة ليست هدفاً وإنما وسيلة للوصول إلى الهدف

---

(1) العلامة المجلسي، مرجع مذكور، ج45، ص46.

(2) سورة التوبة، آية 111.

(3) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، لا ط، بيروت، دار المفكر، 1995، ج7، ص 48 (بتصرف).

المنشود وما تقديم القتال على القتل إلا دليلاً أن المجاهد يذهب ليقاتل ويقتل الأعداء ومن ثم يقتل أي يستشهد إذا كان يستحق هذه المنزلة.

وهكذا، فالوسيلة هي الدرجة العليا والقريبة من العرش، والجهاد في سبيل الله هو الطريق إلى هذه الدرجة، من خلال الشهادة المبنية على أسس ثابتة، من نعمة العبادة، والطاعة، والسلوك السويّ.

6 ـ عدة الشهادة النية:

لكل عمل في الإسلام نية، والنية خلاصة لقواعد ثابتة، أصبحت متوقدة في النفس البشرية من العقيدة والإسلام، فالنية هي التوجه للعمل سواء كان صالحاً أم غير صالح، والله سبحانه وتعالى يحاسب الناس على ما ينوون. وبهذا المعنى، قال رسول الله (ص): «نية المؤمن خير من عمله، إن الله عز وجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله، وذلك أن النية لا رياء فيها، والعمل يخالطه الرياء»[1]. وقال الإمام علي (ع): «النية الصالحة أحد العملين»[2].

والعمل الصالح في ذاته، مهما كان صالحاً، من دون نية صالحة، يكون كشجرة لا ثمر لها، لا أجر فيه، ولا ثواب، لأنه لا يقصد وجه الله فيه، فالعمل غير مقبول، والنية تبنى على النية، والقصد، وعلى الهدف، والغاية من العمل.

وورد عن الإمام الصادق (ع) في تفسير الصافي أنه قال: «النية أفضل من العمل، إن النية هي العمل ثم تلا قوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ يعني على نيته، فربكم اعلم بمن أهدى سبيلا»[3].

---

(1) الهندي، علاء الدين، كنز العمال، لا ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1989م، ج3، ح (7270)، ص424.

(2) التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، سنة 1987م، ج1، ص81.

(3) التفسير الصافي، مرجع مذكور، ج3، ص213.

فأصحاب النيات الحسنة، تكون قلوبهم ملأى بالإيمان الواعي، وسرائرهم حسنة فتكون النتيجة أن حياتهم حسنة، والنية هي قصد الفعل، والاعتبار فيها هو التقرّب إلى المولى والإمتثال إلى أوامره، ولا داعٍ في النية أن يتلفظ بها الإنسان، إنها عمل قلبي، تكون منبعثة من النفس عن غايات، وفي النية الإخلاص، والإخلاص لله وحده، ولا شريك لأحد فيها سواه، أما الرياء فإنه مفسد لكل عمل، والإسلام دين العمل النافع والصالح، وتنشأ النية النبيلة من تربية الإنسان على أسس تتطابق مع جوهر الدين، الذي يؤهّل المؤمنين به تأهيلاً ثقافياً، وروحياً، ومسلكياً. وفي هذا السياق، تختلف التربية في مفهومها الإسلامي، عن التربية في المفهوم الرأسمالي. ذلك أن الإسلام الذي يعتقد بالنية الصادقة، النابعة من النفس، والروح الصادقة، يعاكس النظرة الرأسمالية التي تنظر إلى المنافع، والنتائج، بمعزل عن الأبعاد الأخلاقية والروحية. من هنا فإن الإطار الفكري للإسلام، المؤسَس على الإيمان بالله، يساهم في بناء شخصية الإنسان المؤمن، في جميع أبعاده المادية، والروحية، ما يؤسس فيه القدرة على العمل بنية صادقة، وبروح متعالية سامية عن كل الشهوات، والمصالح الآنية، مهما صغرت النتائج أو كبرت.

وبهذا المعنى، يؤكد الإسلام على دور النية في العمل، لا سيما في مجال الجهاد والاستشهاد، شرط أن يكونا في سبيل الله. وفق ما جاء في الحديث الشريف: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن هو ما وقّر بالقلب وصدقه العمل»[1].

7 ـ غاية الشهيد في استشهاده:

عندما يتوافر للإنسان المؤمن الوعي الكافي، والنية الصادقة، يستطيع أن يطابق، ويوازن بين حرمة التضحية والشهادة، وبين الدوافع الكامنة داخل نفسه، وطالما أنه يتحرك في طريق الدعوة إلى الله، فلا بدّ له من وعي التطابق بين

(1) كنز العمال، مرجع مذكور، ج1، ح (11)، ص25.

دوافعه الجهادية، والاستشهادية الصادقة، وبين الثوابت الإسلامية العامة، والمقدسة التي يعمل في إطارها. بحيث يكون تحقيق المصلحة العامة للأمة، تجسيداً لمعنى الاستشهاد في سبيل الله.

ودائماً وبالعودة إلى كربلاء، يمكن اعتبار شهادة الإمام الحسين (ع)، واحدة من أهم التجليات التاريخية لهذا النوع من الاستشهاد، والغايات التي سعى إليها. فقد كان إماماً ثائراً وعالماً وفقيهاً، قام بثورته مؤكداً أن ما أخذ بالقوة، والاضطهاد، والتسلط، لا بد أن يعود بالشهادة والاستشهاد. فلا ذِلّة في طلب الحق، ولا تهاون ولا استسلام، وكانت ثورته إنسانية، إيمانية، عالج فيها أمراض الأمة، محاولاً أن يوقف هذا الانحدار الخطير، الذي آلت إليه الأمور في عهد يزيد بن معاوية، فخرج ليُصحّح مسار الإسلام، بعد أن بات الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه. وحصلت الواقعة، واستشهد (ع) كما ذكرنا، مع أولاده، واخوانه، وأصحابه، وسبيت نساؤه، وأصبح رمزاً للعنفوان، والتضحية، والثورة، والإصلاح ومفخرة، لصناع التاريخ والوجود.

وقد استلهمت المقاومة الإسلامية في لبنان، من تجربة الإمام الحسين، تلك التجربة الاستشهادية الأولى في التاريخ الإسلامي، ونهلت منها الثبات على الحق، بما هو غاية المقاومة، والشهادة، كوسيلتين أساسيتين، لتحقيق النصر، والتحرير، غير آبهة بالتكافؤ العسكري بينها وبين العدو الصهيوني، تماماً كما كان استخف الإمام الحسين على قلة أعوانه، وأنصاره، بجيش يزيد، على كثرة عدده وعتاده؛ وكانت الغلبة الحقيقية في النهاية للدم على السيف، لأن القضية ليست بين إنسان وآخر، إنما هي صراع بين العدالة والظلم، بين الإنسانية والحرية وقوى الشر، إنها قضية إحقاق الحق.

ثانياً: السجال الفقهي حول الاستشهاد

إذا كان للاستشهاد صفة إسلامية، لم تكن التضحية بالذات، والرغبة في الدفاع عن الوطن، أو الحرية، من خصائص المسلمين وحدهم. ذلك أن التاريخ، شهد حركات متعددة، قامت في أماكن مختلفة، ولدى شعوب متنوعة، أقدم أهلها على التضحية والفداء، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر «الكاميكاز اليابانية»، حيث ظهرت الشهادة كوسيلة من وسائل الصراع، للوصول إلى الهدف والانتصار. بيد أن العمليات الاستشهادية الخاصة بالمسلمين، والتي عرفت تزايداً ملحوظاً في السنوات الأخيرة(*)، هي التي استوقفت الباحثين، ودفعتهم لدراستها، وتحليل أبعادها، السياسية والنفسية والأيديولوجية، كلاً من منطلقه الخاص، فمنهم من وقف منها موقفاً سليباً، ومنهم من وقف موقفاً إيجابياً . .

وبما أن غالبية العمليات الاستشهادية تصدر عن مرجعية اعتقادية، وإيمان عميق بالحياة الأخرى، فإن مقاربة علماء الإسلام لهذه العمليات، كانت أكثر أهمية من مقاربة الباحثين الأكاديميين، وتحديداً لجهة شرعية هذه العمليات،

(*) العمليات الاستشهادية استعملتها المقاومة الإسلامية في لبنان سلاحاً فعالاً خلال الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، وذلك حتى أيار 2000، ومن ثم استعملتها الفصائل الفلسطينية في مقاومتها ضد الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين المحتلة.

وانسجامها مع تعاليم الإسلام، أو لجهة تعارضها معها. وبالتالي، فإن تحليل السجال الفقهي، حول شرعية أو لا شرعية هذه العمليات، أصبح ضرورة من ضرورات البحث الأكاديمي، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالمنطلقات الأساسية، والتي نذكر منها:

أ ـ التمييز التشريعي بين ظواهر قتل النفس كالانتحار أو الشهادة أو الاستشهاد.

ب ـ الاختلاف الفقهي حول تصنيف العمليات الاستشهادية بين صفتها هذه، أي استشهادية تحمل في ذاتها معنى الشهادة في سبيل الله، أو انتحارية تحمل في ذاتها معنى التهلكة غير المشروعة.

ج ـ المقارنة بين التفسيرات الفقهية للعمل الاستشهادي، وغيرها من التفسيرات الصادرة عن نصوص دينية، غير إسلامية، أو قوانين وضعية..

وبما أن ثمة خلافاً بين المصطلحات المستخدمة في طريقة الموت، كالانتحار والشهادة والاستشهاد، فإن الفقهاء حاولوا التصدي لهذه المفردات والاجتهاد في التفسير والتحليل، ونشأ جدل واسع شارك فيه المسلمون، وغيرهم من الأديان الأخرى.

فالانتحار والشهادة والاستشهاد، مجالات اختلف في بعضها فقهاء المسلمين من المذاهب الخمسة وحتى داخل المذهب الواحد، وخاصة مفهوم الاستشهاد.

ففي حالة الانتحار، وكما ذكرنا سابقاً، ورد العديد من الآيات في القرآن الكريم التي تحرّم قتل النفس، وتحذّر من الانتحار، وبديهي أن لا يحصل خلاف بين الفقهاء بخصوص الانتحار، لإجماعهم على حرمته؛ إذ لا مجال للتأويل في الآيات والنصوص الواردة في هذا النوع من الموت.

ونضيف إلى ما سبق وذكرناه من آيات قرآنية في هذا الصدد، الآية

الكريمة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1].

كما نشير إلى بعض الأحاديث النبوية وغيرها، كحديث النبي (ص) الذي يقول فيه: «ومن قتل نفسه بشيء من الدنيا، عذب به يوم القيامة»[2]. وحديث الإمام الصادق (ع) الذي يقول فيه: «من قتل نفساً متعمداً، فهو في نار جهنم، خالداً فيها»[3].

ويؤكد الشيخ يوسف قرضاوي، حرمة الانتحار، معتبراً المنتحر يائساً من الحياة ويقول في هذا الصدد: «المنتحر يائس من الحياة بسبب فشل ما، ويريد أن يتخلص من حياته»[4].

أما بالنسبة للشهادة فتعددت الآراء حول مفهومها من خلال الشهيد الذي ينال الشهادة، وعرفتها المذاهب الخمسة على النحو التالي:

1 ـ في المذهب الجعفري أو مذهب الشيعة الإثنا عشرية[*]: الشهيد «هو من قتل بين يدي الإمام ونائبه . . . ومن قتل في المعركة بين يدي النبي (ص) أو الإمام أو نائبه الخاص وغيره . . . ويلحق به كل من يقتل في حفظ بيضة الإسلام في حال الغيبة . . .»[5].

---

(1) سورة النساء، آية 29 ـ 30.

(2) كنز العمال في سنن الأقوال، مرجع مذكور، ج15 ح 39965، ص36.

(3) وسائل الشيعة، مرجع مذكور، ج19، ص13.

(4) مسائل جهادية وحكم العمليات الاستشهادية، مرجع مذكور، ص40.

(*) المذهب الجعفري: هو الأكثر انتشاراً عند الشيعة الذين يؤمنون بولاية الأئمة الإثنا عشرية بدءاً من الإمام علي وصولاً إلى الإمام الثاني عشر المنتظر ظهوره من الغيبة الكبرى. وقد نسب للإمام جعفر الصادق (الذي ولد في أوائل النصف الثاني من شهر ربيع الأول، وقيل في مطلع رجب سنة 83 هـ، وتوفي سنة 149 هـ) نظراً لاهتمامه بحاجة المسلمين إلى فقه جامع يرجعون إليه في العبادات والمعاملات، وقد جمع علماء الشيعة آراءه وفتاويه وسيرته واعتبروها مرجعاً لهم في تدبير أمور دينهم ودنياهم، هذا إضافة إلى أن الإمام جعفر أغزر علماء عصره علماً ومعرفة، وقد تتلمذ على يديه عدد كبير من علماء المسلمين من الشيعة وغير الشيعة. راجع: الحسني هاشم معروف، سيرة الأئمة الإثني عشر، ط3، بيروت، دار القلم، سنة 1981م، ج2، ص233.

(5) أبو حبيب سعدي، القاموس الفقهي لغة وإصطلاحاً ـ ط2، سورية، دار الفكر، 1408هـ، ص204.

2 ـ في المذهب الحنفي يشمل مصطلح الشهيد[*]: «كل مكلف مسلم طاهر قتل ظلماً، ومن قتل مدافعاً عن نفس، أو مال، أو في بلد، أو قرية ظلماً . . .»[1].

3 ـ في المذهب المالكي[**]: «هو من قتل في قتال الحربين فقط، ولو قتل ببلد الإسلام بأن غزا الحربيون المسلمين، أو لم يقاتل بأن كان غافلاً أو نائماً، أو قتله مسلم بظنه كافراً، أو داسته الخيل، أو رجع عليه سيفه أو سهمه، أو سقط في بئر أو سقط من شاهق حال القتال»[2].

4 ـ في المذهب الشافعي[***]: «هو من قتل في حرب الكفار، مقبلاً غير مدبر مخلصاً»[3].

(*) **المذهب الحنفي**: نسبة إلى أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي . . . أحد الأئمة الأربعة عند العامة، وصاحب المذهب الحنفي، كان محدثاً، حافظاً، فقيهاً، محققاً، مجتهداً، مفتياً، مؤلفاً، صنّف حديثه بعض العامة . . . ولد بالكوفة سنة 80هـ ونشأ بها وكان خزازاً، تتلمذ على الإمام الصادق (ع) . . توفي في بغداد في سجن المنصور الدوانيقي في شهر رجب سنة 150هـ ودفن في مقبرة الخيزران أنظر: الشبستري عبد الحسن، أصحاب الإمام الصادق، ج3، ص355.

(1) م.س، ص203.

(**) **المذهب المالكي**: نسبة إلى مالك بن أنس . . . أحد أئمة المذاهب الأربعة عند العامة، وصاحب المذهب المالكي، وأحد فقهاء المدينة المنورة . . . وكان محدثاً، مفسراً، مؤلفاً، ولد بالمدينة المنورة سنة 93هـ وقيل سنة 94هـ، سعى به أعداؤه عند جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة فضربه وعذبه . . . توفي بالمدينة المنورة في 14 ربيع الأول سنة 179هـ، وقيل 178هـ.
أنظر: الشبستري عبد الحسين، أصحاب الإمام الصادق، ج3، ص6.

(2) الدردير، أحمد، الشرح الكبير، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، لا ت، ج1، ص425.

(***) **المذهب الشافعي**: نسبة إلى محمد بن إدريس الشافعي . . . كان فصيح اللسان، ناصع البيان، في الذروة العليا من البلاغة . . . مات ودفن بمصر . . . وعاش 54 سنة، ولد سنة 150هـ بغزة، ومات ليلة الجمعة ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب سنة 204هـ.
أنظر: كتاب المسند، الإمام الشافعي، ص 1، 3، 4.

(3) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري في شرح وصحيح البخاري، ط2، بيروت، دار المعرفة، لا ت، ص33.

5 ـ في المذهب الحنبلي(*): «الذي يموت في المعترك مع الكفار، رجلاً كان أو امرأة، بالغاً أو غير بالغ، سواء قتله الكفار، أو عاد عليه سيفه فقتله، أو سقط عن دابته، أو وجد ميتاً ولا أثر به إذا كان مخلصاً»[1].

هذا بالنسبة للشهادة، أما بالنسبة للاستشهاد، فإن له جذوراً في التاريخ الإسلامي، تتجلى واضحة بإستشهاد الإمام الحسين، وهو لم يصبح في فكرنا المعاصر، ظاهرة تستحق الدراسة إلا في الربع الأخير من القرن العشرين، لتنامي ظاهرة الاستشهاد في لبنان، وفلسطين، لاعتبارات عقيدية، ووطنية، وقيمية، واستراتيجية.

وفي الوقت الذي نجد فيه أن القرآن الكريم، يزخر بآيات تتحدث عن الجهاد، والشهادة، والشهداء، وكذلك عن الانتحار وحرمته، فإن موضوع الاستشهاد لم يرد ذكره في القرآن، وتحديداً في معناه الشائع الآن. لكن الاستشهادي ينطلق من منطلق ديني أيديولوجي، ويتميز بسلوكه نحو هدف لا رجعة عنه مختاراً موته بإرادته، والإنسان القادم على الموت، والمضحي بنفسه، يقدم أغلى شيء أعطاه الله. ومن الطبيعي أن لا يكون متهورا، ملقياً بنفسه في التهلكة.

والاستشهاد بحاجة إلى عقول رشيدة، تكون قادرة على تحصيل التوازن المستمر بين متطلبات الحياة المختلفة، وهذه المعادلة، توازن بين الموت الواعي، والتهور السريع، وبما أن الاستشهاد لم يرد فيه نصوص لجوازه أو تحريمه، فقد أدلى المجتهدون بآرائهم، حياله، وتراوحت تلك الآراء، بين مؤيد وداعم لتلك العمليات الاستشهادية، وبين منتقد ومعارض لها، ومنهم من

(*) المذهب الحنبلي: نسبة إلى أحمد بن محمد بن حنبل، من الأربعة عند أهل السنة، توفي في سنة الأربعين بعد المائتين ودفن في مقبرة باب الحرب في بغداد . . . والظاهر أنه قد غرق في ماء دجلة.

أنظر: البروجردي، طرائف المقال، لا ت، ج1، ص225.

(1) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، مرجع مذكور، ص204.

وقف موقفاً حيادياً فلم يدل برأيه لا إيجاباً ولا سلباً. ومما لا شك فيه، فإن المؤيدين، والمعترضين، والمحايدين، يرجعون في تبرير مواقفهم، إلى مصادر التشريع نفسها، أي إلى القرآن والحديث، يأخذ كل فريق ما يتلاءم وتأويله للنص، وموقفه من السلوك الاستشهادي. فالذين اعترضوا وأدانوا هذا السلوك، في معظمهم، انطلقوا من حسابات ومواقف، أملتها عليهم مواقعهم، وعلاقاتهم بالسلطات الحاكمة.

«وقد صدرت مثل هذه الفتاوى الباطلة من أشخاص تربّعوا بالقرارات السياسية، لا بالاستحقاق والكفاءة، على مواقع القيادة والمرجعية الشرعية، فهووا بفتاواهم السياسية الباطلة، وفقدوا احترام الشعوب المسلمة»[1].

ومن الآراء المؤيدة للتشريع الاستشهادي نذكر، رأي الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، الذي يقول في مشروعية هذه العمليات «إن العمليات الاستشهادية، من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، يقوم بها شخص بروحه رخيصة في سبيل الله، وينطبق عليه قول الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ. . .﴾»[2].

أما فتوى الشيخ المرحوم عبد الله حميد قاضي قضاة مكة المكرمة سابقاً، فيجيب على سؤال: «ما حكم الإسلام في مسلم ارتدى حزاماً ناسفاً ثم دخل ضمن مجموعة من أعداء المسلمين وفجّر نفسه ليقتل أكبر عدد ممكن منهم؟ فأجاب: الحمد لله، إن هذا العمل ضرب من ضروب الجهاد المشروع، وهذا الرجل قتل شهيداً بإذن الله»[3].

وبهذا المعنى أيضاً، يقول الشيخ الدكتور، محمد سعيد رمضان البوطي رئيس قسم العقائد والأديان في كلية الشريعة ـ جامعة دمشق ـ رداً على سؤال

---

(1) تكروري، نواف هايل، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، دمشق، مكتبة الأسد، 1997م، ص10.

(2) مسائل جهادية وحكم العمليات الاستشهادية، مرجع مذكور، ص40.

(3) العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، مرجع مذكور، ص87.

حول مشروعية العمليات الاستشهادية: «هذه العمليات مشروعة مئة بالمئة (100٪) إذا كان قصد القائم بها النكاية بالأعداء، وليس إزهاق روحه، فإذا قصد إزهاق روحه كان منتحراً وليس شهيداً»[1].

ويقول الدكتور محمد الزحيلي وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية في دمشق، في رده على سؤال وجه إليه حول العمليات الاستشهادية، التي ينفذها المسلمون في أرض فلسطين ضد اليهود، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، [الحج: 78].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، [التحريم: 9].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، [الفرقان: 52].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: 190].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾، [التوبة: 36].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: 123].

والجهاد ذروة سنام الإسلام . . . وفيه عزة الإسلام والمسلمين، واليهود والصهاينة في فلسطين، احتلوا البلاد، واعتدوا على الأموال، والأنفس، والأعراض، لذلك يُشرّع الجهاد ضدهم، في كل أنواع الجهاد بالنفس والمال . . .»[2].

ولجبهة علماء الأزهر، فتوى في هذا المجال، على لسان أمينها العام

---

(1) م.ن. ص88.

(2) العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، مرجع مذكور، ص86.

الشيخ يحي إسماعيل أحمد حبلوش(*): «العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الشباب المسلم . . . من أعلى درجات الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ . . .﴾»[1].

أما فتوى الإمام الخميني الذي ردّ فيها على السيد عيسى الطباطبائي حين سأله «عن جواز لف الإنسان نفسه بالمتفجرات، أو قيادة سيارة مليئة بالمتفجرات، ويفجر نفسه في قوافل وتجمعات العدو؟ فأجاب سماحته: يجوز، أكيداً جائز، أكيداً جائز، أكيداً جائز، وإنها عمليات استشهادية وليس انتحارية»[2]

ويؤكد فضيلة الشيخ نفيع الله عشيروف(**) أن «هذه العمليات الاستشهادية، قائمة لأجل تحرير فلسطين، والمقدسات الإسلامية، هي عمليات مباركة، ترعب العدو المحتل المجرم»[3].

ويرى فضيلة الشيح أحمد كفتارو أن «الاستشهاد فضيلة عظيمة، والمستشهد نيته وإرادته انتصار الحق ونصرة الإسلام وتحرير الأرض، ودفع الظلم واستعادة الحرية والكرامة لأمته وشعبه وأجياله»[4].

كذلك لا يمكننا أن ننسى النداء الشهير، الذي أطلقه السيد عبد الحسين شرف الدين في سياق المقاربة بين فتوى الجهاد في فلسطين، وبين شهادة الإمام الحسين حيث قال «أيها العرب المسلمون . . . لنكن نحن من فلسطين مكان

(*) الشيخ يحي إسماعيل أحمد حبلوش، أمين عام جبهة علماء الأزهر، استاذ الحديث وعلومه، من مؤلفاته منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

(1) م.ن. ص41.

(2) مقابلة مع سماحة السيد عيسى الطباطبائي، بيروت، بتاريخ 5/ 3/ 2002.

(**) الشيخ عشيروف نفيع الله، مفتي روسيا، الرئيس السابق للمركز الأعلى للإدارات الدينية لمسلمي روسيا.

(3) مسائل جهادية وحكم العمليات الاستشهادية، مرجع مذكور، ص29.

(4) م.ن، ص30.

أبي الشهداء من قضيته، ليكون لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيته من حياة ومجد وخلود . . . موعدنا فلسطين، فيها نموت وعليها نحيا، والسلام عليكم يوم تموتون شهداء ويوم تبعثون سعداء»[1].

في مقابل تلك الآراء المؤيدة للاستشهاد، تطالعنا آراء رافضة للاستشهاد، إذ اعتبر بعض الفقهاء، أن العمليات الاستشهادية غير مشروعة في المطلق، ذلك أن «من ألقى بنفسه في الهلاك لصالح دينه، أو لصالح المسلمين، فقد فدى دينه وإخوانه بنفسه، وذلك غاية التضحية وأعلاها . .

كم للمسلمين الأوائل من مواقف مشهودة، كلها تضحية وفداء، مثل إغراق سفينة بمن فيها من الأعداء وهو معهم . . . ولكن لا يجوز أن يلتف بحزام ناسف لينسف نفسه ومن بجواره، والفرق أن الأصل في الحالة الأولى، أن يقتل عدوه وجاء قتله تبعاً لذلك . . . أما في الحالة الثانية، فالأصل فيها قتل نفسه أولاً ليقتل غيره . . . وإقدامه على قتل نفسه ابتداءً، لا يحل في مثل هذه الظروف»[2].

أما رأي الدكتور محمد خير هيكل فإعتبر أن «إحاطة المقاتل نفسه، بحزام متفجر وما شابه، ذلك يكون المقاتل هو الذي عرّض نفسه للخطر»[3].

إلى ذلك نجد أن بعض الآراء، أباحت تلك العمليات لكن بشروط على المستوى الميداني الاستهدافي، وكذلك على مستوى النتائج، فالشيخ محمد طنطاوي، شيخ الأزهر، يقول: «إن العمليات الفدائية، مثل تفجير الشخص نفسه وسط مجموعات، حلال ما دامت تنفذ ضد الأعداء الذين يمارسون سياسات إرهابية وغير إنسانية، لكنها حرام إذا كانت ترتكب ضد المدنيين،

---

(1) فضل الله، هادي، رائد الفكر الإصلاحي السيد عبد الحسين شرف الدين، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، سنة 1987، ص162.

(2) الشيخ حسن أيوب، الجهاد والفدائية في الإسلام، ص243 ـ 244، نقلاً عن المصدر، التكروري، ص67.

(3) العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، مرجع مذكور، ص77.

والأطفال الآمنين من العُزّل، الذين لم يرفعوا السلاح، ولم يمارسوا العنف والإرهاب»[1].

أما فضيلة الشيخ ناصر الدين الألباني فيقول حول العمليات الاستشهادية: «في مثلها تجوز ولا تجوز، تجوز في النظام الإسلامي . . . أن لا يتصرف الجندي برأيه الشخصي . . . وإنما يأتمر بأمر أميره، أما أن يأتي واحد من الجنود كما يفعلون اليوم، أو من غير الجنود وينتحر في سبيل قتل (2 ـ 3 ـ 4) من الكفار فهذا لا يجوز لأنه تصرّف شخصي، ليس صادراً عن أمير الجيش، وهذا التفصيل هو معنى قولنا يجوز ولا يجوز»[2].

أما السيد محمد حسين فضل اللّه فيقول: «إن العملية الاستشهادية لا تجوز إلا إذا استطاعت أن تهز العدو بشكل فوق العادة، وأن تحقق واقعاً سياسياً ضاغطاً فوق العادة. لأن نفس المؤمن كريمة عند الله، فلا يجوز للمؤمن أن يفجر نفسه إلا إذا كانت النتائج تساوي نفس المؤمن، وتزيد، فليست العمليات الاستشهادية صرعة، لكنها تكليف شرعي له حدود»[3].

والسيد فضل اللّه يقرن في ذلك بين القيمتين، وهو شرط واضح هنا حيث يربط بين كرامة المؤمن المجاهد الذي يقدم على الاستشهاد والنتائج التي تسفر عنها العملية التي يقوم بها.

لم تكن هذه المواقف الفقهية صادرة فقط عن نصوص الدين، بقدر ما كانت، لدى بعض العلماء على الأقل، مستندة إلى تجارب تاريخية سابقة، وتحديداً تجربة الإمام الحسين في كربلاء، وقراره الحاسم بالاستشهاد، في ظل موازين قوى غير متكافئة.

فبالعودة إلى الكلام على سيد الشهداء، نرى أن الواقع الذي كان سائداً

---

(1) أنظر جريدة السفير، بيروت، دار العروة الوثقى، 10/ 1/ 1997م، عدد 7590، ص11.

(2) تكروري نواف هايل، م.س، ص70 ـ 71.

(3) جريدة العهد، بيروت، مركز الثقافة والإعلام، 1 رمضان سنة 1405هـ، العدد 47، ص4.

في عصر الإمام الحسين (ع)، كان لا يُبشر بالخير، وبالمستقبل، لأن السلطة السياسية الحاكمة، ابعدت المرجعية الدينية عن مكانها ومهامها، واستأثرت بالحكم غير آبهة بما وصلت إليه الأمة، من الفسق، والفساد، والابتعاد عن الدين.

من هنا كان لا بد من هزة عنيفة للحكم الأموي، لتعود الأمور إلى نصابها، فكان الحسين وكان مشروعه الاستشهادي، رفض البيعة ليزيد، وأعلن موقفه الحازم قائلاً: «لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي»[1].

ولم يكن الحسين ليخيفهم، لإمتلاكه قوة جسدية وجسمانية هائلة، ولا لأنه صاحب مكانة علمية، وأخلاقية، واقتصادية، إنما يخافونه، لأنه يُمثل امتداداً لرسول الله (ص)، واستمراراً لدين الله، وأنبيائه، ورسله المفروضة طاعتهم على المسلمين.

لم ينظر الحسين لمستقبله، ومستقبل أهله وذويه، بقدر ما كان ينظر لمستقبل الأجيال القادمة. ومن هنا كانت كربلاء، فاستشهد الحسين (ع) لتحيا العقيدة، فبقيت حية كما الحسين في ضمير كل حرّ، وأصبح استشهاده نهجاً، يسلكه الثائرون في كل زمان ومكان، ويقول غاندي في هذا السياق: «علّمني الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر»[2].

إن فلسفة الحسين، في شهادته، تثبّت مبدأ شرعية القوة، والمقاومة المسلحة، ضد الحكام الظالمين، دون اعتبار الإمكانات المادية والعسكرية، مثلما تعمل الشهادة على إيقاظ الوعي المبدئي، والحس السياسي، في الأمة، والعمل على تصحيح الانحراف، وتحطيم الإطار الديني المزيّف، للحكم

---

(1) بحار الأنوار، مرجع مذكور، ج44، ص329.

(2) الشهادة تأصيل لا استئصال، مرجع مذكور، ج1، ص75.

الأموي، ولكل حكم آتٍ، وفضح الروح اللادينية التي يتستّر بها الحكام، وبديهي أن لا تتفق رؤية الإمام الحسين للواقع، مع رؤية الفقهاء الذين يستندون على آيات قرآنية لا يفقهون تفسيرها، ولا يلمون بمعانيها، إلا كما يُملى عليهم من السلاطين، لأنهم كما ذكرنا، فقهاء السلطة، ويقنعون الناس أن الله يأمر بتلك الآراء، والفتاوى المضلة، وهم بذلك يفسرون ما أشار إليه الرسول (ص): «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا، فإذا خالطوا السلطان (الجائر) وداخلوا الدنيا، فقد خانوا الرسل، فاحذروهم»[1].

لقد لاقت الثورة الحسينية، ردود فعل متعددة ومختلفة، هناك مواقف مؤدية، ومواقف محايدة، والتي عرفت بالجبن، وهي الفئة التي تعرف ابعاد الثورة بكل مجالاتها، وأهدافها المبدئية، ولكن غلب عليها الخوف، فكان أصحابها مع الحسين (ع) بقلوبهم، وعليه بسيوفهم، وهذا ما أشار إليه الفرزدق حين ردّ على الإمام الحسين «قلوبهم معك والسيوف مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء»[2].

بيد أن موقفاً آخر أدان الثورة، معتبراً الإمام طامعاً بالسلطة، وكان أصحاب هذا الرأي يعتبرون أن يزيد بن معاوية سلطان، والحسين طالب سلطة، ويقولون ما لنا والدخول بين السلاطين، كما أن موقف الحسين (ع) لم يكن مقبولاً من البعض، لأنهم شككوا بدوره وباستشهاده، معتبرين أنه أراد أن يستشهد مع أهل بيته، وأصحابه، بدافع الطمع بالسلطة، وهذا ما لا ينطبق على الواقع، حتى بإعتراف خصومه، الذين قدموا له العروض المغرية، لقبوله بالأمر الواقع، حتى وإن كانوا يؤمنون بأن الخلافة لآل بيت رسول الله (ص)، وأن الحسين هو الوارث الشرعي لتلك الخلافة.

---

(1) كنز العمال في سنن الاقوال، مرجع مذكور، ح 28952، ج1، ص183.

(2) الموسوي المكرّم عبد الرزاق، مقتل الحسين، لا ط، طهران، مؤسسة البعثة، لا ت، ص174.

وبالرغم من متغيرات الزمن، والظروف، فإن القضايا المصيرية تبقى، وتتفاعل بشكل أقوى، لا سيما تلك المتعلقة بالدين. لأن دور الفقهاء، والعلماء، في القيادة الشرعية، يبقى الأكثر تأثيراً في حركة الشعوب، خصوصاً، إذا اتسمت هذه القيادة بسمات مأخوذة من سير الأنبياء والأولياء، والالتزام بهذه السير، يؤدي إلى عزة الأمة، والانحراف يؤدي إلى انحراف الأمة، وكم كان الإمام الصادق محقاً عندما «اعتبر الملوك حكاماً على الناس، واعتبر العلماء حكاماً على الملوك»[1].

فالعلماء مقدمون عنده طبعاً، إذا كانوا خلّصاً وأصفياء، لا كمن يقتدي بالحاكم ويأتمر بأمره، ويوظف العقيدة لمصلحته، ومصلحة سياساته، كما يظهر في بعض الأحايين، من فتاوى تحرّم الاستشهاد، وتعتبره انتحاراً تيمناً برؤية حاكم أو نزوة سلطان. فالموت في سبيل الأرض شهادة، والحياة مع الظلم ممات، ومن يقدّر شرف الحياة عليه أن يبذل دمه فدائياً أو استشهادياً.

(1) بحار الأنوار، مرجع مذكور، ج44، ص183.

ثالثاً: الاستشهاد في الخطاب الفلسفي

لا يجمع الفلاسفة على تفسير، أو فهم واحد للحياة، لما لهذه المفردة من دلالات أشارت إليها النظم الدينية والمدنية. فهي بالمدلول الإلهي عبادة فحسب ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، ويشير الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية قائلاً: «فالعبودية هو الغرض الإلهي من خلق الإنسان فالله سبحانه وتعالى، إنما يرضى عن نفس عبده، إذا كان مثالاً للعبودية، أي أن يكون نفسه نفس عبد الله، الذي هو رب كل شيء فلا يرى نفسه ولا شيئاً غيره، إلا مملوكاً لله خاضعاً لربوبيته»[2].

والدوران في فلك ما، لا يعني الانفلات من قيود رسمت لهذا الدائر، الذي تنتظم حركته مجموعة قوانين، تتعدى قدرته وتتجاوز إمكانياته، وكأنَّ ثمة حركة محددة، عليه أن يقوم بها ويؤديها ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[3].

ويفسر ابن كثير هذه الآية قائلاً: «الذي خلقكم ثم رزقكم أي هو الخالق الرازق، يخرج الإنسان من بطن أمه عرياناً، لا علم له، ولا سمع، ولا بصر،

---

(1) سورة الذاريات، آية 56.

(2) الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج6، ص252.

(3) سورة الروم، آية 40.

ولا نوى، ثم يرزقه جميع ذلك . . . ثم يميتكم أي بعد هذه الحياة ثم يحييكم أي يوم القيامة»[1].

وهي بالمدلول المدني أو الوضعي، انطلاق، وتقدم، وحضارة، ومدنية. وبين المدلولين، تتواتر الاجتهادات لترقى إلى مستوى الفلسفة، أو لتقاربها في أغلب الحالات، من غير أن تتمكن من حسم قضية «معيارية الحياة»، قياساً على العمل والنتائج؛ لتبقى هذه المسألة، حبيسة التجاذبات الفقهية، والاشتراعية المدنية، التي تتقاطع مع المقتضيات الظرفية، كاحتلال الأرض، ومقاومة المحتلين، وما ينجم عن ذلك من وسائل دفاعية، تؤدي إلى الموت، الذي يوسم بالاستشهاد حيناً، وبالانتحار أحياناً، وبالحياة الأزلية والنعيم الباقي. وكأن المفردة هذه عملة بوجهين، الأول حياة مع عطاء يوازي الحياة، والآخر موت في الحياة، لأن العطاء لا يستحق صفة هذه الحياة، وبين وجهي هذه المفردة، يؤدي الإنسان دوراً تتجاذبه الحياة كما الموت، ومن نماذج الإنسان هذا نذكر نموذج الإنسان الاستشهادي المؤمن بأن الدنيا، أو الحياة، ليست سوى ممر أو جسر إلى الحياة الأزلية، وهو إذ ذاك لا يعبأ بها، وإنما يُحصّن ذاته بما يدفعه إلى مقتها مُتزوداً بما يجذبه إلى الموت المؤدية إلى الخلود. في حين أن النموذج الآخر، نموذج الإنسان المتمسك بالحياة الدنيا، لاعتقاد ما «موت في الحياة»، لا يلامس الاعتقاد الأول «الذي تزخر حياته بالعطاء» فيخاف من الموت لتمثله زوالاً وفناءً، وهاتان قضيتان ينقسم حولهما الفلاسفة، وتتضارب فيهما العقائد والأيديولوجيات.

وهذا الموت المهاب، الكريه، المزعج الذي لا يطيق الإنسان الحديث عنه ولا التفكير فيه، هو مدرك للإنسان وجميع مخلوقات الله، لا مفر منه البتة. ذلك ما أدركه الإنسان بالتجربة على حد قول فولتير: «الجنس البشري هو الجنس الوحيد الذي يعرف أنه سيموت وهو يعرف ذلك من خلال التجربة»[2].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، مرجع مذكور، ج3، ص444.

(2) الوجود والعدم، مرجع مذكور، ط45، ص624 (نقلاً عن شورون، صان ـ الموت في =

لكن لا يستطيع أحد أن يدّعي فهم الموت في لحظة الموت واخبارنا عنه، هذا الذي يحصل عادة خارج نطاق الاختبار، لأنه لا يوجد أي وسيلة تسمح للإنسان خوض هذه التجربة؛ لكن موت الآخرين، يتحول إلى نوع من التجربة، أمام الشاهد الذي ينعم بالحياة، هذه الصورة تنقله إلى ساحة الخوف من الموت والشعور بالخطر.

فالإنسان الذي يأمل بالخلود، من خلال تصوّر المستقبل، في رحاب الأبدية، يقف وحده أمام هذا الواقع، بعيداً عن بقية الكائنات، لأن هذا التصور، والتفكير، من خصوصيات الإنسان وحده. فالموت محاط بغموض أبدي على مر العصور، ومن هذا اللغز، وعليه بنيت أفكار فلسفية، وباتجاهه أبانت الأديان مواقفها.

ويجول في خاطرنا سؤالان عن الموت هما: ما هو الموت؟ ولماذا نموت؟ وفي محاولتنا للإجابة عليهما، سوف نستقرئ آراء بعض الفلاسفة الوجوديين الملحدين، فهؤلاء، على سبيل المثال لا الحصر، ذهبوا إلى أن الموت فناء وعدم، يقول سارتر: «إن الموت ليس أبداً ذلك الذي يمنح المعنى للحياة. وإنما هو على العكس ذلك الذي يحرم الحياة بالفعل من أي مغزى، وإذا كان علينا أن نموت فإن حياتنا تخلو من المعنى»[1]. وينسجم هذا الرأي مع فلسفة ابيقور، الذي تحدث عن هذا الموضوع محدداً الموت بأنه نهاية الحياة ولا وجود بعد الموت حيث قال: «إذا كنا لا يكون الموت، وإذا كان الموت لا نكون»[2].

أما هيدجر فقد جعل من زمانية الموت لحمة الحياة وسداها: «فالكائن ـ

= الفكر الغربي ـ عالم المعرفة، ترجمة كامل حسين، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة، سنة 1984م، عدد 76، ص259.

(1) الوجود والعدم، مرجع مذكور، ص624 (نقلاً عن عالم المعرفة ـ الموت في الفكر الغربي، سنة 1984م، عدد 76، ص8.

(2) كارس جيمس، الموت والوجود. ترجمة بدر الديب ـ المجلس الأعلى للثقافة، سنة 1998، ص585.

الموجود منذ أن يعي نفسه، يصبح مرشحاً للموت، وتبدأ حياته تنمو في ظل حداده. هذا ما يجعل الكائن البشري أ معدّاً للموت، غائصاً في لجّة اليأس، يبحث عن معنى الحياة الذي يصبّ في فجوة الموت المرعبة والمعتمة»[1].

وفي مقابل رأي الوجوديين الملحدين، يطالعنا رأي الوجوديين المؤمنين، الذين يرون في الموت حياة ثانية.

ومما قاله فويرباخ(*) في هذا الصدد: «إن معرفة كيفية الموت على الوجه السليم أو بالأحرى «فن الموت»، هي عند الرجل المستنير جزء من «فن الحياة»[2].

ويتقدم سقراط معبراً عن فرحته، وسعادته، في مواجهة الموت قائلاً: «أريد أن أبيّن لكم كيف أنه من الطبيعي لرجل قد كرّس حياته للفلسفة، أن يكون فرحاً وسعيداً في مواجهة الموت. واثقاً بأنه سيلقى أكبر بركة في الحياة الأخرى عندما تنتهي حياته»[3].

ورأى باسكال أن «الموت مخيف بغير يسوع، لكنه في المسيح مقدس ورقيق وهو فرحة المؤمن الحق»[4].

وهناك تصور للموت عند المسيحيين. فالموت: «ليس بأي حال، النهاية لكل شيء، لأنه ليس إلا حدثاً صغيراً داخل هذا الكل، الذي هو الكل بالكامل حياة خالدة، ولهذا ترى المسيحية أن في الموت قدراً أكبر، لا نهاية له من الأمل يفوق ما هو في الحياة الإنسانية حتى وإن لم يكن إلا الحياة فقط»[5].

---

(1) زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي، سنة 1988م، ج1 ص799.

(*) فويرباخ، فيلسوف ملحد، حاول أن يوفق بين الماديين والروحيين فعرف بالملحد التقي، رفض الاعتقاد بالخلود واصطدم باللاهوتيين.

(2) فويرباخ، وردت في عالم المعرفة، العدد 76، ص145.

(3) الموت والوجود، مرجع مذكور، ص19.

(4) الموت في الفكر الغربي، مرجع مذكور، عدد 76، ص129.

(5) الموت والوجود، مرجع مذكور، ص585.

وأعطى الإسلام صورة واضحة عن الموت، من خلال الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، نذكر من الآيات القرآنية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «المراد أن كل نفس ستموت لا محالة، وأن الحياة الدنيا ليست إلا أياماً قلائل . . . ثم الرجوع إلينا للحساب فلا يغرّنكم زينة الدنيا، وهي زينة فانية»[2].

ويقول السيد مصطفى الخميني، في تفسيره لهذه الآية: «إن جميع الموجودات في قوس الصعود، وهي في حال الرجعة إليه تعالى، إلا أن منها من يكون لرجوعه الدوام والبقاء، ومنها ما يرجع إلى حدٍ خاص»[3].

ويجتمع الموت والحياة في صفة واحدة، ترجع إلى الخلق الإلهي، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . . .﴾[4]. بحيث يرتبط معنى الخلق بغايته في الابتلاء والعمل، أو كما أشار الطبري في تفسيره قائلاً: «الذي خلق الموت والحياة فأمات من يشاء وما شاء، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم، ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، يقول ليختبركم، فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع»[5].

هذا الموت هو حق رباني مفروض على جميع الكائنات، فعلى الإنسان، أن يتفهم كيف يتعامل مع هذا الواقع، والخوف من الموت، يعتبر غريزة عامة، وهو سر لا أحد يعرف طبيعته، ففي الموت يتساوى كل البشر، ومهما كانت النفس سيدركها الموت، ويتساوى الكبير والصغير، والغني والفقير، في نهائية

---

(1) سورة العنكبوت، آية 57.

(2) الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج16، ص145.

(3) الخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، ط1، طهران، وزارة الإرشاد الإسلامي، ج4، سنة 1362 هجري شمسي، ص130.

(4) سورة الملك، آية 2.

(5) تفسير الطبري، مرجع مذكور، ج2، ص36.

الحياة، ولا حيلة لأحد أمام رهبة الموت، ولهذا قيل «إن الموت يتّبع مع الجميع سياسة ديمقراطية تقوم على أساس المساواة إن صح التعبير، فلا يعرف التمييز بين عباقرة وسوقة، أو بين علماء وجهّال، أو بين شباب وشيوخ أو أخيار وأشرار»[1].

كل إنسان يفكر بالموت والعدم، في حياته، وفكرة الموت هذه قد تبرز تلقائياً أو عندما يفقد أحد معارفه أو أقاربه، والإنسان وحده هو الذي يفكر بالمستقبل لأنه يملك القابلية لذلك، حيث أنه يدرك معنى الموت في النهاية.

وبما أنّ الموت يطال الكبير، والصغير، ولا يستثني أحداً، فإنه موجود في تفكيرنا قبل أن يطال أحدنا أو ينال منه، لذلك يصبح الموت ملازماً لفكرة الخلود، وحقيقة لا جدال فيها، إلا باعتبارها لغزاً بنيت عليه أفكار فلسفية.

فلحظات النزع الأخيرة أو السكرات المذهلة هي لحظات تزوغ الأبصار فيها، وتفرغ الروح من الدنيا، وتخلّف وراءها الأرض، وما فيها، وتدخل عالماً جديداً، لا تعرف عنه شيئاً إلا ما ادخرت من عمل وتقوى. وهنا ينظر الناظرون، لكنهم لا يدركون ما يحصل، عجز الجميع عن الإدراك، وحدها العزة والقدرة الإلهية تتفرد بما جهله الجميع، لقد ذهب الجسد، أما الروح فهي من أمر ربي، وهي التي تكون الشخصية الواقعية والموضوعية للإنسان، وتكون من ناحية المقام الوجودي في أفق أعلى وأسمى من أفق المادة والماديات. وليس باستطاعة أحد أن يدرك الموت إدراكاً حقيقياً، حتى ولو حاول أن يضع نفسه موضع الآخرين الذين يموتون؛ لأن المرء لا يمكن أن يحمل عبء الموت عن غيره.

والموت بوصفه جسراً معلقاً بين نوعين من الحياة، «الحياة الدنيا» و «الحياة الآخرة»، فهو يعني أنه توسيع لإطار هذا الوجود، فالحياة الدنيا نتيجتها

---

(1) إبراهيم، زكريا، «مشكلة الحياة»، ص203، وردت في عالم المعرفة ـ الموت في الفكر الغربي، عدد 76، ص5.

الزوال والفناء، أما الحياة الآخرة فلها طابع الخلود والثبات، وللوصول إلى الخلود يتوجب على الإنسان أن يعمل، فالعمل الصحيح يؤدي بالإنسان إلى النعيم والحياة الخالدة.

ولعل نظرة الإمام الحسين (ع) إلى الموت، كانت تفسيراً لموقفه في كربلاء «فما الموت إلا قنطرة، تعبر بكم من البؤس والضراء، إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم، فأيكم يكره ان ينتقل من سجن إلى قصر»[1].

من هنا، يصبح للحياة طعم لذيذ وجميل، ولا يغدو الموت كريهاً ومرعباً، بل جسراً يسهل اجتيازه لحياة الآخرة، فالاستشهادي يرى في الحياة بعد الموت منتهى آماله وتطلعاته.

فالمطلوب ليس الموت بذاته، بل المطلوب قهر الشعور بالخوف إزاء الموت، وهذا يتطلب جهداً معرفياً إيمانياً، يرفع صاحبه من مرتبة الوهم والاستسلام، إلى مرتبة الحياة الحقة. فقهر الخوف بمواجهة الموت هو ارتباط عقائدي هام، على الجميع أن يستعد له متسلحاً بالقرآن والإيمان والعمل على الوصول إلى النتيجة الحقة.

لذا نستطيع القول: إن التفسيرات العلمية والدينية تجيب على سؤال «لماذا نموت»، لكن السؤال المهم هنا هو «كيف نموت »؟ فالميت لا يملك خياراً، لأن الموت نهاية حتمية لكل كائن حي، لكن في الكيفية تختلف الصور: ، ففيها الموت شكلان: موت تختاره، وموت يختارك، موت تبحث عنه وموت يبحث عنك، موت يهاجمك فيقع عليك وأنت في موضع الضعيف والغفلة، وموت تهاجمه فتقع عليه وأنت في موقع القوة والإرادة.

فالموت الذي يبحث عن الإنسان هو موت الغفلة، فالإنسان إذا غفل الموت فإن الموت لا يغفله. وعندما يكون الإنسان في موقع الضعف

---

(1) الرشهري، محمدي، ميزان الحكمة، بيروت، الدار الإسلامية، 1985م، ج9، ص294.

واللامبالاة، يدركه الموت، الذي يرفضه الإسلام لأن صاحبه لم يكن متهيئاً لأن يموت.

يذهب الشيخ محمد مهدي شمس الدين إلى «أن الموت ثلاث مراتب . . . الموت الطبيعي بالشيخوخة والمرض والحوادث ب وموت الضحايا، موت المظلومين الذين يستسلمون. «كضحايا الأنظمة . . . والظلم». والموت الثالث هو موت الشهادة، هذا لا يحصل عليه كل الناس . . . إنما الذين يختارون الشهادة، ويختارهم الله، والشهادة لا تحتاج إلى اختيار واحد . . . إنما إلى اختيارين: إنسان يضع نفسه على طريق الشهادة فيقبل منه الله هذا الوضع . . .»[1]

والموت بالاختيار هو الموت الواعي، يختاره الإنسان بوعي، ويستعد له في كل لحظة، متحمساً له في كثير من الأحيان، متوقعاً اقتحامه كل لحظة، ويكون قد هيّأ نفسه لذلك، فهذا هو الموت الإيجابي الذي لا مرارة فيه ولا لوعة، بل تطلّع واستبشار وشوق لما بعد الموت، لحياة أبدية خالدة.

فالموت الواعي الذي لا ينفك من الحياة المقدسة، ولا تنفك الحياة المقدسة منه، وتلازمه الحرية المنضبطة، ويرافقه العدل والحب والحق، حيث لا صدمة فيه ولا ندم، إنه الموت العزيز، والتدبير الواعي، وعلى الإنسان أن لا ينتظر من الموت رأفة به، أو يحدد له الزمان والمكان لموته، بل عليه أن يحدد كل هذا.

والاستشهادي هو الذي ينظر إلى الموت، تلك النظرة الواعية، التي لا تقبل الجدل، وينطلق بإرادة، لا مثيل لها، نحو الموت منفرداً في اختيار الكيفية التي تميزه عن أحياء ينتظرون، أو أموات قضوا بأساليب مختلفة.

فموت المقاتل الذي يستشهد في سبيل قضية كبرى، تؤدي به إلى حياة

---

(1) شمس الدين، محمد مهدي، عاشوراء، ط2، بيروت المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، سنة 1995، ج1، ص23.

عزة وكرامة، كان قد تمثّل في موقف الإمام الحسين (ع) الذي سلك سبيلاً بين حتمية الموت على أنه زينة الحياة «خط الموت على ولد آدم كخط القلادة على جيد الفتاة»[1].

ولو عرفنا ما يعنيه الموت للإنسان المؤمن، لَفُتِحَ أمامنا باب معرفة ما يعنيه الموت فيما لو كان قتلاً وتضحية في سبيل الله، أو موتاً على فراش. من هنا بدأ التسابق على الموت المرضى عنه، فالقادم على الموت قد أزال غشاوة الحجب عن بصيرته، وكافة الموانع عن إدراكه الحقيقي، فشاهد وأدرك الحقيقة، والواقع، فأصبح مؤهلاً لأن يكون شهيداً استشهادياً في سبيل الله. وهذه المرحلة تحتاج إلى تربية إلهية، ورعاية ربانية، تمنحه المعرفة الحقيقية، والرؤية الصحيحة، وتربيه في سلوكه ومشاعره وأحاسيسه وعواطفه، وتزكي روحه ونفسه وعمله، ليكون إنساناً بتربية وسلوك إلهيين، وبالتالي يكون استشهادياً قد اختار طريقاً مفارقاً وكان موقفه متقدماً من الحياة.

فالاستشهادي لم يهرب، ولم ييأس من الحياة الدنيا، إنما اتخذ موقفاً متجاوزاً فيه الحياة، التي عاشها من خلال مفاهيم إلهية، وإنسانية وأخلاقية وتربوية عالية، ولم يترك نصيبه العملي من الدنيا، واضعاً نصب عينيه الهدف الأول ألا وهو الفوز في الحياة الآخرة، إلى ذلك أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بقوله «الناس للدنيا عاملان: عامل عمل للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته . . . وعامل عمل في الدنيا لما بعدها . . . فأحرز الحظين معاً، وملك الزادين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله لا يسأل الله حاجة فيمنعه»[2].

وليس سهلاً اجتياز هذه الحياة المليئة بالمغريات، التي تحول بين الإنسان وتطلعاته وأهدافه الأخروية. هذه الحياة التي عبر عنها الله عز وجل بقوله:

---

(1) بحار الأنوار، مرجع مذكور، ج44، ص366.

(2) بن ابي طالب علي (ع)، نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضى، شرح محمد عبده، ط8، بيروت، دار البلاغة، ج4، 2000، ص725.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ . . . وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1].

يقول السيد محمد حسين فضل اللّه في تفسير هذه الآية: «كيف تستسلمون لهذه الحياة الدنيا فتعتبرونها غاية طموحكم، الذي تعيشون له في حركتكم المتنوعة، كقيمة كبيرة تمثل وجودكم كله، واعلموا أنما الحياة الدنيا، في ما يتنازع فيه الناس ويتفاضلون وينشغلون به، لعب ولهو وزينة، والتكاثر والتفاخر بالأموال والأولاد فمهما كثروا فسيفارقهم ومهما زاد المال سيتركه وراء ظهره إن عاجلاً أم آجلاً، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور فلا بد للإنسان أن ينتبه ويستيقظ ويعمل إلى نهايات الأمور ومضمونها لا إلى شكله»[2].

هكذا ينطلق الاستشهادي بعيداً عن المغريات، محدداً موقفه من الدنيا، متجهاً نحو عالم آخر، من خلال بوابة كبيرة اسمها الموت، من دون خوف أو قلق، لكن لماذا القلق من الموت؟ وهل القلق ينال ويطال الاستشهادي أيضاً؟ وهل قلق الموت لا يستثني أحداً؟

شغل الموت الإنسان منذ القدم، وحاول هذا الأخير السيطرة عليه باكتشاف ماهيته آملاً في تحقيق الخلود، لكن وبعد سجال طويل فشل الإنسان في ذلك مسوغاً فشله بالقول بحياة ثانية بعد الموت تكون خالدة وباقية.

لكن القلق تجاه الموت أمر أساسي، وهو يتعلق بمستقبل الحياة برمتها، فكل من يملك وعياً، لا بد له من أن ينتابه القلق، فالموت إذن، هو المجال الواسع للقلق، لأن المشكلة التي يثيرها، هي التنازع بين إرادة الحياة وحتمية الموت.

فالقلق والخوف من الموت يمكن أن يكونا في أكثر من حالة، ويقول

---

(1) سورة الحديد، آية 20.

(2) فضل اللّه، محمد حسين، من وحي القرآن، ط1، بيروت، دار الملاك، 1998، ص 37 ـ 38.

أحمد عبد الخالق في هذا الصدد، إن «كل إنسان يخشى من الموت بدرجة معينة، أما مسألة الخوف من الموت بدرجة قليلة أمر عادي، وكذلك الخوف من الموت بدرجة متوسطة (معتدلة) أمر مقبول، أما الخوف من الموت بدرجة مرتفعة، أمر منحرف وخطير وغير سوي يعكس حالة الجبن المقيتة والمذلة وهي حالة مرضية وضارة»[1].

ولعل القلق الناجم عن الخوف من الموت، والذي يلازم الإنسان طيلة حياته «نراه متجذراً في شعور «الحدوثية البدئية»، ذلك الشعور الذي يشدد عليه هيدجر، فهذا الشعور ناجم . . . عن تصوّر رهبة الهوة، التي سوف يغيب فيها الإنسان لدى موته، وهي الهوة الفاغرة أبداً أمامه؛ وعن الإحساس بهروب الزمن الذي لا يمكن استعادتهب وفقدان دفء الصداقات والحب والتحنان التي تكتنفه في حياته، بخاصة عن الرعب من التلاشي النهائي»[2].

بالمقابل فاتجاه الإنسان نحو تخليد نفسه، أي جسده، كان واضحاً كترجمة عملية لمفهوم الخلود. من هنا كانت الديانات المصرية، أيام الفراعنة، تنطلق لتقدم الترجمة العملية لهذه المقولة، وكان اهتمامهم بالمقابر أكثر من اهتمامهم بالمساكن، وهكذا «فإن العلاقة بين الدين والموت، ذات جذور تاريخية عميقة الغور، وتعتبر المعتقدات الدينية لدى المصريين القدماء (الفراعنة)، أقدم الأمثلة على ذلك، حيث احتل موضوع الموت موضع القلب منها، وليس من قبيل الصدفة أن تبقى مقابرهم على امتداد القرون التي اعتبروها مساكنهم الدائمة في حياتهم الأخرى، بينما لم تبق مساكنهم الزائلة التي كانوا يقطنونها في حياتهم الدنيا، وما أهرام الجيزة في مصر، إلا مقابر لأموات لم يشيدوا بمثل ضخامتها، وروعتها مساكن لأحياء»[3].

---

(1) عبد الخالق أحمد محمد ـ عالم المعرفة ـ (قلق الموت) سنة 1987، العدد 111، ص19 ـ 20.

(2) الموسوعة الفلسفية العربية، م.س.، ج1، ص800.

(3) (قلق الموت)، مرجع مذكور، ص77 ـ 78.

والإسلام استطاع نزع الخوف والقلق والرهبة من الموت، من صدور المؤمنين وقلوبهم، بل حببه إليهم، وجمّل صوره، ليصبح شهادة تمثل أرقى أنواع الموت المؤدي إلى أفضل أنواع الحياة، التي قصدها الاستشهادي بإطمئنان تام، تترجمه الوصية التي يكتبها، ويسجلها قبل اللحظات الأخيرة التي يترك فيها الدنيا(*).

ففي الإسلام، يكون الموت ولادة ثانية، مع أنه يمثل فقدان حالة خاصة، وتحولاً إلى حالة أخرى كما: «يظهر بكونه عدماً أو ليس عدماً، وإنما هو تطور وتحوّل، غروب عن نشأة ما، وبدء في نشأة أخرى، وبتعبير آخر فإن الموت عدم لكنه ليس عدماً مطلقاً بل عدم نسبي، أي عدم تجاه نشأة معينة ووجوده في نشأة أخرى»(1). ويتمثل في جميع الديانات السماوية بمفهوم الانتقال إلى حياة أخرى.

من هنا كانت فلسفة الدين، هي أكثر نظام فكري، قدّم إجابة عن «ما بعد الموت» من خلال الوعد بالحياة الآخرة، الذي كرس الموت باعتباره انتقالاً من حياة إلى حياة أخرى. هذا الموقف، ساعد على تجاوز حالة القلق من الموت، والاستشهادي المؤمن بالله، تخلّص من المعنى السلبي للموت، معنى القلق والشبح المخيف؛ وفهمه على أنه حلقة انتقال من حياة إلى حياة. فالموت عندما يأخذ مكانه المناسب، من الإنسان المناسب (الاستشهادي)، لا بد له من أن يزيح الحياة، ويأخذ مكانها، وكذلك الحياة تتفاعل مع الموت، ليحل محلها بأسلوب تكاملي.

لذلك كان الموت عند الاستشهادي حقاً من حقوق الله، وليس شبحاً

(*) يقول السيد حسن نصر الله «إن الاستشهادي علي أشمر كان ينتظر القافلة والموكب القيادي في طريق الذهاب، ولكنه لم ينفذ العملية في ذلك الوقت، وبعد قليل عُلِمَ أنه لم ينفذها ليس خشية أو تردداً بل لأنه كان مشغولاً بالصلاة». (انظر جريدة العهد، بيروت، 17 ذو القعدة سنة 1416هـ، العدد 630، ص5).

(1) العدل الإلهي، مرجع مذكور، ص185.

مخيفاً. وعليه يندفع الشهيد بإتجاهه برغبة، ووعي وإرادة. نعم يندفع لعلاقة إيمانية، علمية، طيبة، بين الحياة والموت، من أجل الوقوف على ماهية الموت، ليصل إلى كشف الحقائق. وقد ورد في دعاء الإمام زين العابدين (ع) «الموت مأنسه الذي يأنس به، ومألفه الذي يشتاق إليه وحامته الذي يُحب الدنو منها . . .»[1].

فالحياة الأخرى هدف الشهيد الاستشهادي، وكل إنسان مؤمن ملتزم، تلك الحياة التي يعبر إليها الشهيد، على جسر الموت، من دون تردد أو ريبة، هي حياة كما الحياة. وهذا ما عبّر عنه الله عز وجل بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[2]. يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية «يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على طاعتي في جهاد عدوكم وترك معاصيّ وأداء سائر فرائضي عليكم، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله ميت فإن الميت من خلقي من سلبته حياته وأعدمته حواسه فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيماً فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي أحياء عندي في حياة نعيم وعيش هني ورزق سني فرحين بما آتيتهم من فضلي وحبوتهم به من كرامتي»[3]. ويقول الإمام الخميني في هذا الصدد: «إخواني لا تخافوا من الموت، الموت حياة وليس هلاكاً»[4].

إذاً فالشهداء في المكان الآخر أحياء، وللوصول إلى ذلك المكان لا بد من مقدمات إيمانية، عقيدية، سلوكية، سمتها تضحية في سبيل الله، فالإنسان المؤمن الملتزم الذي أدى واجباته، يصل إلى ذاك المكان بحسب الوعد الرباني، والدستور والنصوص الإسلامية، والاستشهادي يمكنه الوصول إلى

---

(1) في ظلال الصحيفة السجادية، مرجع مذكور، ص365.

(2) سورة البقرة، آية 154.

(3) تفسير الطبري، مرجع مذكور، ج2، ص29.

(4) مختارات من أقوال الإمام الخميني، إصدار وزارة الإرشاد الإيراني، المترجم محمد جواد المهري، ط1، سنة 1402هـ، ص63.

المكان الآخر، كونه مؤمناً بالله، وبكتابه ورسله، وبالتالي هذا الإيمان الذي يخوّله أن يكون استشهادياً، ومن ثم أن يكون حياً في المكان الآخر، أي في الحياة الآخرة.

لذلك يمكننا اعتبار الإيمان، جواز مرور للجميع، ليصلوا إلى الدار الآخرة، لا سيما الإيمان المدعّم بالعمل الصالح، فبحسب ما يزرع الإنسان في الحياة الأولى، من أعمال وتضحيات، يحصدها في الحياة الثانية، وهذا ما أكّده الله عزّ وجل حيث قال ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: «كان ابن عباس يقول: من يعمل من الكفار مثقال ذرة خيراً، يره في الدنيا، ولا يثاب عليه في الآخرة، ومن يعمل مثقال ذرة شراً، عوقب عليه في الآخرة، مع عقاب الشرك، ومن يعمل مثقال ذرة من شر المؤمن، يره في الدنيا، ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات، ويتجاوز عنه وإن عمل مثقال ذرة من خير، يقبل منه، ويضاعف له في الآخرة»[2].

وفي هذا السياق، تصبح نوعية الحياة الثانية مشروطة، ووثيقة الصلة بنوعية الحياة الأولى، ولتحسين درجات الحياة الأولى، لا بد من إعطائها قيمة أخلاقية، وأهدافاً سامية، بواسطتها يذوب الإنسان في الله، مبتعداً عن الأنانية والشخصانية. وهذه الأهداف يستطيع الوصول إليها الشهيد، والاستشهادي الذي ذاب في عقيدته، وقدّم نفسه فداءً للقضية، التي يدافع عنها، والتي هي الأرض والإنسان، من خلال التعاليم الإلهية.

ولو أردنا فلسفة هذا الموقف، لوجدنا أن الموت حتمي للإنسان، وبما أنه حتمي ولا فرار منه، فلماذا يرضى الإنسان لنفسه أن يموت، من موقع

---

(1) سورة الزلزلة، آية 7 و8.

(2) القرطبي، تفسير القرطبي، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، سنة 1985م، ج2، ص150.

الضعف، مع إمكانية توظيف هذا الموت في سبيل قضايا عادلة ومقدسة، فيكون لهذا الموت مكان في وجدان الأمة، وحينئذٍ لن يموت، بل يبدأ بحياة ثانية عزيزة، لا نهاية لها، ذلك ما أشار إليه الإمام علي (ع) «لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من ميتة على الفراش»[1].

وبهذا المعنى، يتميز الاستشهادي؛ ذلك أنه يؤسّس في حياته الدنيا لمستقبل زاهر، يضمنه في الحياة الثانية، من خلال حركة سلوكية، تنيرها عقيدة إيمانية ربانية. ومهما كانت درجات العمل الصالح، والالتزام بالقوانين الدينية، برَّاً في الحياة الدنيا، يبقى القتل والاستشهاد في سبيل الله أرقى حالات هذا العمل، ويقول رسول الله (ص) في هذا الصدد: «فوق كل ذي برٍ، بر، حتى يقتل الرجل في سبيل الله فليس فوقه بر»[2].

ويتوّج الاستشهاد الموقع الاختياري الرائد، في وقت أطلق الله عز وجل عنان الاختيار للإنسان، فكثير من الناس يعيشون في الحياة الدنيا دون عمل، ولا أثر، ولا رؤية، ولا اهتمام بالحياة الثانية، وآخرون يعيشون مستعدين للثانية، بأساليب، وطرق، واختيار سليم في وقت يضيع البعض في تيه الدنيا ومغرياتها.

فالرؤية الثاقبة التي تتوقد في ذات الاستشهادي، يؤسس لها في صراع مع الحياة، وللحياة منتقلاً من دار إلى دار عبر الموت، حاملاً زاده تاركاً أثقاله التي ترهقه خلال السفر، ناقلاً نفسه التي رعاها منذ نعومتها، لتصل به ويصل بها، إلى حيث الوعد الإلهي، إلى جنان الله، وهذا ما عبر عنه الله عز وجل بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[3].

يقول الميرزا محمد المشهدي في تفسير هذه الآية: «يا أيتها النفس المطمئنة.. التي اطمأنت بذكر الله، ارجعي إلى أمر ووعد ربك بالموت،

(1) بحار الأنوار، مرجع مذكور، ج33، ص455.
(2) م.ن. ج71، ص60 ـ 61.
(3) سورة الفجر، آية 27 ـ 30.

والبعث، راضية بما أوتيت من عنده، فادخلي في جملة عبادي الصالحين، وادخلي جنتي معهم، أو في زمرة المقربين، فتستضيء بنورهم، فإن الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة، أو ادخلي دار ثوابي التي أعددت لك»[1].

لكن أي نوع من حرية الاختيار المسموح به؟ فإذا كان الله أطلق عنان الاختيار للإنسان، فهل يعني هذا أن الموت الانتحاري، هو أحد مجالات هذا الاختيار؟ وللإجابة على هذا التساؤل، لا بد لنا من الإشارة إلى الاختيار السلبي، والاختيار الإيجابي، كما يوجد الخير والشر.

فالإنسان العاقل بشكل عام، هو الذي يميّز بين الخير والشر، ويسلك الطريق الأول، ويبتعد عن الثاني، كذلك الإنسان الذي يملك عقلاً مستنيراً بنور الهداية، والإيمان، يمكنه اختيار المجال والسبيل الأمثل لحياته الأولى، ومن ثم لحياته الثانية.

والانتحار هو مجال اختيار للمنتحر، حتى يستفيد منه في إنهاء حياته، ولم ينطلق من رؤية إيمانية، تفلسف نهاية الحياة الأولى بوعي وإدراك، وإنما اعتبرها نهاية المطاف.

في مقابل الاختيار السلبي هذا، يمكننا إظهار رؤية الاستشهادي الحرة، في اختيار الموت الإرادي الواعي، كصورة متقدمة من صور الحياة وإدراك «أناه»، على أنها «أنا مجاهدة»، ولا تستطيع أن تدرك وجودها، إلا بوصفها وجوداً نحو الموت، لا بالمعنى السلبي، إنما بالمعنى الإيجابي، حيث يشكل الموت مدخلاً ميتافيزيقياً لصناعة الحياة، من خلال صناعة الماهية، فالإنسان يتلقى الوجود بالولادة، ويتلقى الماهية بالاختيار، أو كما يقول هيدجر: «يجلب الوجود الإنساني أمام إمكانية أن يكوّن ذاته»[2]. وهذه الماهية، التي تتحقق في

(1) المشهدي، محمد، تفسير كنز الدقائق، ط1، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، 1407، ج11، ص351 ـ 352.

(2) الموت في الفكر الغربي، مرجع مذكور، عدد 76، ص251.

ما يُسمى بالوضع الإنساني، لا بد، لاستكمالها، من اختيار أرقى درجات الاختيار، التي هي الشهادة، لتضرب بذلك النموذج الأرضي، للوضع الإنساني المطلوب، فهي بالتالي تحقق «الأنا»، وتعينها من حيث تستقر في كمالها الممكن، وتنصّب نفسها رجاءً إنسانياً مطلوباً.

ولا بد لنا أن نسأل هنا: هل هذا الاختيار، أي «الشهادة»، أمر مطلوب في حد ذاته؟ هل الشهادة هدف، أم أنها مطلوبة باعتبارها وسيلة؟ فالاستشهادي الذي ينال الشهادة، هل ينالها لذاتها، ليحصل عليها، ليموت، أم يعتبرها وسيلة ذات قيمة رائدة، للوصول إلى عالم آخر؟

الشهادة في ذاتها ليست قيمة مطلقة، إنما هي قيمة نسبية. القيمة المطلقة هي للانتصار، الذي يحققه الشهيد على الأرض، فالقادم على الموت، قادم ليحيا وليس ليموت، ولتحيا الأمة من بعده، فليس الموت اختباراً، وهواية، وليست القيمة المطلقة أن نستشهد، إنما أن ننتصر، وأن يوظف هذا المفهوم في سبيل عملية الانتصار، ولو كانت الشهادة قيمة مطلقة، لكانت كالصلاة:، لكانت خيراً موضوعياً من شاء استقل منه ومن شاء استكثر. لكنها ليست كذلك، إنها قضية مهمة، من قضايا الإسلام، التي يجب أن توظف في سياق الانتصار الدنيوي والسياسي المبدئي، ويشير الشهيد مطهري إلى أن للشهادة ركنين «الأول قدسية الهدف والموت على طريق تحقيق هذا الهدف المقدّس، أي أن يكون في سبيل الله، والثاني أن تكون الشهادة قد تمت عن علم ووعي...»[1].

إلى ذلك نجد الاستشهادي الذي حمل الرسالة، وذاب في قضيته المدافعة عن الله والإنسان، مختاراً السبيل والطريق الأمثل والأقصر للوصول إلى هدفه، أكثر الناس بعداً عن الأنانية، بل هو الإيثار الكلّي، الذي يتجلى بالخروج عن الذات بأسمى صوره وهذا الخروج إنما يكون في سبيل الحياة

(1) شهيد يتحدث عن شهيد، مرجع مذكور، ص15 ـ 16.

النوعية للجماعة، أي في سبيل الـ «نحن» الكلي والعام. لذا كانت شهادته رسالة، وليست قضاء على الحياة، وكانت أيضاً توسعة وتخصيباً لها، إنها نوع من تكبير «الأنا» لتلامس الـ «نحن».

والاستشهادي يقدم على الاستشهاد بوعي تام، يبدو من التزامه الإيماني الذي يفرض عليه أن يطبق الشريعة بكل جوانبها، ويعمد إلى تسطير وصيته التي تفتح أمامه الطريق إلى الاستشهاد.

الفصل الثالث

الوصية والاستشهاد

ـ الشهيد الاستشهادي الشيخ أسعد برو:

ـ البعد الديني.

ـ البعد الوطني.

ـ البعد القومي.

ـ البعد الأخلاقي والتربوي.

ـ الشهيد الاستشهادي عبد اللّه عطوي (الحر العاملي):

ـ البعد الديني.

ـ البعد الوطني.

ـ البعد القومي.

ـ البعد الأخلاقي والتربوي.

ـ الشهيد الاستشهادي صلاح محمد غندور (ملاك):

ـ البعد الديني.

ـ البعد الوطني.

البعد القومي.

ـ حتمية الانتصار.

ـ الشهيد الاستشهادي علي منيف أشمر:

ـ البعد الديني.

ـ البعد الوطني.

ـ البعد القومي.

ـ البعد الأخلاقي والتربوي.

ـ حتمية الانتصار.

الوصية والاستشهاد

لم تكن الوصية، عبر التاريخ الإنساني، حكراً على شعب دون آخر، ولا على دين أو مِلة دون أخرى. فالتاريخ يؤكد لنا، أن الوصية لازمت الفرد، والأسرة، والمجتمع، وكانت نموذجاً رائعاً، يمنهج السلوك الإنساني، ويعطيه بعداً أخلاقياً، وقيمياً، في ظل مجتمعات تسودها الإنسانية حيناً، والعبثية حيناً آخر.

والفيلسوف الحكيم، كان يوصي تلامذته وأتباعه، ويعلّمهم الحكمة العملية، وسياسة تدبير الشؤون المختلفة، ولعل حِكَم ووصايا أحيقار الحكيم (القرن السابع ق.م.)، وعلى رغم تنوعها، هي من أقدم الوثائق التي تعتبر مدرسة في السلوك الإنساني، على المستوى التربوي، والأخلاقي، والسياسي.

والوصية هي «أوصى الرجل ووصّاه، عَهِدَ إليه . . وأوصيت إليه إذا جعلته وصيّك . . وتواصى القوم أي أوصى بعضهم بعضاً . . .»[1]

لكن العادة جرت في مجتمعاتنا، أن يكتب الإنسان وصيته في أواخر عمره، أو إذا كان يريد الذهاب إلى حج بيت الله الحرام، ليوزع ما جناه، طوال عمره، على أهله وأولاده، لكن وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ونمو

(1) لسان العرب المحيط، مرجع مذكور، ج3، ص938.

التيار الديني في لبنان، أصبحت الوصية من الواجبات الواضحة، في سلوك المؤمنين، من خلال ثقافة اجتماعية، تتجلى في الشارع، والجامعة، والبيت، والمعاملات، والعبادات، فعدم وجود هذا الأمر، هو بمثابة تقصير، لأن الله عز وجل، أكّد في كتابه العزيز على الوصية بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وكذلك، وردت الوصية في العديد من السور القرآنية، منها في سورة النساء الآية (11)، وفي سورة المائدة الآية (106) وكذلك في سورة العصر الآية (3).

وموقف الرسول (ص) الصارم بالنسبة للوصية، وأهميتها، كان واضحاً من خلال قوله: «ما ينبغي لإمرئ مسلم أن يبيت ليلة إلا ووصيته تحت رأسه»، و «من مات بغير وصية مات ميتة الجاهلية»[2].

فأهمية الوصية عالية جداً، لأن الرسول (ص) صنّف الراحل إلى الله دون وصية، في خانة الميتة الجاهلية، وكأن هذا الإنسان لم يرَ الإسلام.

ونستطيع هنا، أن نميز بين وصية المؤمن، المتعبد الذي يترك وصيته ليوزع ما يملك، أو يوصي لأولاده قضاء الصلاة والصوم، وبين وصية المؤمن المتعبد، الذي سلك درب الشهادة، وترك وصيته، نداء للأخوة، ورفاق الدرب، والأمة، وللأجيال القادمة.

الوصية الأولى، تترك أثرها في بيته، وبين أولاده، وتظهر عدالة وإيمان صاحبها، ومساواته بين ورثته، واهتمامه بآخرته؛ لكن وصية الشهيد، خصوصاً الاستشهادي، تكون بمثابة وثيقة، يمكن الرجوع إليها، لتقرأ مضامينها، ودلالاتها والأهداف السامية، التي كانت سبباً في تقديم الأغلى في سبيلها، وما

---

(1) سورة البقرة، آية 180.

(2) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، بيروت، مؤسسة البعثة، سنة 1992م، ج1، ص450.

تتركه، دعوة للناس سلوكاً تربوياً، أخلاقياً، إيمانياً، وقومياً ووطنياً، للإقتداء بخط وسلوك كاتبها. وفي الوصية، أمانة يتركها الاستشهادي بأيدي قادته وإخوانه، ومجتمعه، طالباً منهم السير على خطاه، شارحاً فيها الهدف من الاستشهاد، ونظرته إلى ذلك، ورؤيته للمستقبل، وذلك في وصية مكتوبة أو مصورة.

إن وصايا الاستشهاديين تحمل في طياتها كماً هائلاً من المعاني، والدروس والعِبَر. إنها وثائق، تصلح للدراسة والتحليل؛ هذه الوصايا، وإن اختلفت أشكالها وأحجامها، تتقاطع فيما بينها في المناحي والأبعاد، فهي ذات نهج واحد، وهدف واحد.

من هنا، اعتمدنا الدراسة الميدانية، وزيارة عوائل الاستشهاديين، ومقابلتهم، ورفد هذا البحث بمعلومات غير موجودة في الوصية، والتي تُفسّر الغاية الحقيقية من الاستشهاد، باعتباره غاية لها أسباب من واقع الحياة المباشرة.

وفي هذا السياق، اعتمدنا تحليل مضمون بعض الوصايا، علّنا نستطيع، بدراستنا هذه، الوقوف على حيثيات، وتفاصيل، عاشها الاستشهادي من خلال وصيته، ولقراءة البعد المعرفي، والعقيدي، وتجلياته، في سلوكه مع الله، ومع نفسه، ومع المجتمع.

وفي خلال تحليلنا لبعض وصايا الاستشهاديين، وجدناها تضج بالمواقف العديدة، على كافة المستويات، لا سيما الدينية منها، والوطنية، والأخلاقية، والتربوية.

إن الإستشهادي، كونه فرداً، بامتياز، من أفراد هذا المجتمع، وهذا الوطن المحتل، فمن البديهي، أن يكون معنياً بتحرير وطنه من نير الاحتلال، شأنه في ذلك، شأن أي مواطن حر.

كثيرة هي الجهات التي قالت بالمواجهة الدبلوماسية، والمفاوضات، لكن

الاستشهادي، أبى الذلّ، والهوان، ومماطلة العدو، ورفض تكبّر المحتل، وغطرسته، فعاهد الله والوطن، على التحرير بقلب يعتمر بالإيمان . . . وكله ثقة، بأن العدو لا يمكن أن ينسحب إلا بالقوة؛ فما أخذ بالقوّة لا يسترد إلا بالقوّة.

فمن خلال التربية، والدين، والوطنية، والإنسانية، انبثقت روح الاستشهاد في ثلة مؤمنة، عاشت حياة ملؤها الصفاء الروحي، والإيمان الراقي الحضاري، والمنفتح على الله، وعلى الناس.

فهؤلاء الشهداء، إن شئنا أن نقف على حقيقة حياتهم، لقلنا إنهم عاشوا حياة عادية، طبيعية في وسطهم الاجتماعي، كانوا أفراداً يساهمون، كما غيرهم، في بناء هذا المجتمع، والدفاع عنه، ويدرسون في مدارسه، ويرتادون حوزاته الدينية؛ إلى ذلك كانوا يمتازون بسلوكيتهم الإيجابية، التي سمت بهم عن غيرهم، ممن دنسوا أنفسهم بسلوكيتهم السلبية، وباختصار إنهم عاشوا قضيتهم، واعتبروا أن الله، والوطن، يستحقان هذا الموقف.

لم يهرب الاستشهاديون من مشاكلهم، ولا من أزماتهم النفسية، والزوجية، والمالية . . . إلى الموت، لم يغرقوا في وحل الدنيا ومشاكلها، نهضوا حاملين أمانة الأجيال، والمستقبل الواعد، ليكون الوطن على أعتاب الحرية والنصر. ومن هنا كان استشهادهم الواعي، باتجاه أهدافهم السامية.

كانت أعمالهم تهزّ الكيان الغاصب، وتفتح السجال حول جدوى البقاء على أرض فرحت بوقع أقدام الاستشهاديين، كانت مواقف جنرالات وقادة العدو، وانعكاساتها السلبية على المستوى النفسي، والاجتماعي، في المجتمع الإسرائيلي، ظاهرة، واضحة من هول الصدمة التي منيوا بها، بالإضافة إلى الخسائر التي كانت تخلّفها في صفوف جنود العدو، والهزيمة التاريخية التي منيت بها إسرائيل. يقول رئيس وزراء العدو الأسبق إسحاق شامير: «لم يخطر ببالي أن أحيا لهذا اليوم، الذي ترغم فيه دولة إسرائيل وجيشها، الذي وصفه

أعداؤها وأصدقاؤها، بالجيش الذي لا يقهر، على الفرار أمام طرف عربي . . . بضع مئات من مقاتلي حزب الله، يجبرون الدولة الأقوى، في الشرق الأوسط، على الظهور بالشكل الانهزامي! . . . لكن حزب الله، أثبت أن هناك عرباً من نوع آخر . . .»[1].

إلى هذا المستوى، وصل قادة العدو في قراءة الواقع، بموضوعية، ودقة، حيث أن جهاد المقاومة، أرغم إسرائيل، وقادتها، على الاعتراف بهزيمة لم تُمْنَ بمثلها من قبل، ومن جهة أخرى، يجب أن لا ننسى الآثار الإيجابية، التي خلّفتها هزيمة العدو، في المجتمع اللبناني، في استنهاض اللبنانيين وتحصين إراداتهم، بغية الاستمرار في تحيق أهدافهم، وآمالهم.

ولو سلّطنا الأضواء على تواريخ، وأمكنة تنفيذ العمليات الاستشهادية، في الجنوب اللبناني المحتل، لوجدنا أن العمل الاستشهادي، انطلق في بداية الاجتياح الإسرائيلي للبنان، من خلال عملية الاستشهادي أحمد قصير، في مقر الحاكم العسكري في صور بتاريخ 11/ 11/ 1982م، هذا المكان، وهذا التاريخ، يؤكدان أن الجهة التي نفذت هذه العملية، صمّمت خوض المعركة المفتوحة، ليس لطرد المحتل الإسرائيلي من لبنان فحسب، بل إلى إزالة إسرائيل من الوجود، تبنياً لمقولة الإمام الخميني الشهيرة «ويجب أن تزول إسرائيل من الوجود».

ثم تتالت العمليات الاستشهادية؛ وفي ما يلي لائحة بأسماء بعض الاستشهاديين، ونبذة عن كل واحد منهم، وعن تاريخ ومكان استشهاده، إخترناهم كنموذج يمثل كافة الاستشهاديين، مع الإشارة إلى أننا سنفرد ملحقاً خاصاً في نهاية الكتاب، يتضمن كافة الاستشهاديين(*).

---

(1) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص28 ـ 29.

(*) راجع ص 249.

قبل سنة 1990					
الاسم الثلاثي	اللقب	اسم الأم	تاريخ ومحل الولادة	الوضع العائلي	تاريخ ومكان الاستشهاد
أحمد جعفر قصير	حيدر	فوزية حمزة	دير قانون النهر 4/ 9/ 1963 سجل 88	عازب	مقر الحاكم العسكري ـ صور 11/ 11/ 1982
علي حسين صفي الدين		ليلى عباني	الحلوسية 1966	عازب	دير قانون النهر 14 نيسان 1984
عامر توفيق كلاكش	أبو زينب	انصاف عاشور	دبين 1969 سجل 95	عازب	سهل مرجعيون بمحاذاة مستعمرة المطلة 1985
هيثم صبحي دبوق	عبد الرؤوف	بلقيس	30/ 9/ 1968	عازب	19/ 8/ 1988 الخردلي ـ تل النحاس
عبد الله محمود عطوي	الحر العاملي	آمنة	مركبا	عازب	19/ 10/ 1988 بوابة فاطمة/ كفركلا
أسعد برو		لطيفة	26/ 2/ 1965 حدث بعلبك	متأهل وله ولدان	9/ 8/ 1989 طريق عام القليعة ـ تل النحاس
بعد سنة 1990					
إبراهيم جميل ضاهر	أبو زينب	نعيمة سلامة	كفرمان 16/ 2/ 1970	عازب	سهل الجرمق ـ الخردلي 20/ 8/ 1992
صلاح محمد غندور	ملاك	آمنة	1968/ كفرملكي سجل 71	متأهل وله ثلاثة أولاد	25/ 4/ 1995 صف الهوا بنت جبيل
علي منيف أشمر	ذو الفقار	دلال علي سلطان	1976/ العديسة	عازب	20/ 3/ 1996 مثلث رب ثلاثين ـ العديسة
عمّار حسين حمود	كاظم	تغريد	20/ 1/ 1979/ دبين سجل 10	عازب	30/ 12/ 1999 طريق عام القليعة ـ مرجعيون

من خلال جدول العمليات الاستشهادية، نجد أنها كانت تحصل في فترات متباعدة، وفقاً لحاجة الأمة، أو المرحلة، أو الواقع الميداني، وبحسب الإمكانيات المتاحة. وكانت لا تغيب عن ساحة المعركة، فعملية الاستشهادي أحمد قصير، كانت الرسالة الواضحة التي فهمها العدو، وبعدها عمليات . . عملية الشهيد عامر كلاكش، التي جاءت رداً على مجزرة بئر العبد سنة 1985، أحدثت تحولاً في سياسة الردع المقاوِم، ورفعت من معنويات اللبنانيين، لا سيما منهم الوطنيين وعوائل الشهداء . . . وعملية الشهيد الحر العاملي، كانت هدية المقاومة الإسلامية إلى أطفال الحجارة، إلى أبطال الانتفاضة في فلسطين، والتي كانت المقاومة الإسلامية، وبشكل دائم، تعيش هم فلسطين والقدس. إلى الشهيد صلاح غندور . . . حتى نصل إلى آخر عملية نفذت، قبل الإنسحاب ببضعة شهور، والتي حصلت في عمق الشريط المحتل، بالقرب من قيادة الاحتلال، وعملائه، لتؤكد أن يد المقاومة، قادرة على الوصول إلى أهدافها. بهذه الروحية، استطاعت المقاومة، وبمساعدة، ومساندة الدولة والشعب، أن تدحر الاحتلال وأعوانه، حيث كان التلاحم، والرؤية الواحدة، بين الدولة والمقاومة، بكل شرائحها، وهذا ما ذكره، وأشار إليه السيد حسن نصر الله في خطابه في بنت جبيل، حيث أشاد بالموقف الشعبي، والرسمي، حين قال: «ويجب أن نذكر الشكر للموقف الشعبي والرسمي العام المحتضن للمقاومة، القوى السياسية والجمعيات والشخصيات والأحزاب والنوادي»[1].

من هنا، كان للعمليات الاستشهادية الدور الأساسي، والنوعي، في تغيير الواقع العسكري، والمساهمة في تأهيل جيل، بل أجيال عامرة بالإيمان، والإصرار، على سلوك طريق شائك، وصعب، من خلال إيمانها بقضية عادلة، هي قضية الدفاع عن المقدسات، عن الأرض والهوية والوجود، وشكلت نموذجاً ثورياً ناجحاً، لم ترَ قبله في وطننا العربي، المليء بالهزائم والنكسات! وهذا ما أشار إليه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في بعض خطبه

(1) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص9 ـ 10.

حين قال: «يجب أن نعترف لهؤلاء الاستشهاديين، من أحمد قصير إلى بلال فحص إلى عمار حمود، هذه الدماء الزكية صنعت النصر . . .»[1]. وشكلت مواضيع دراسات نفسية، واجتماعية، عديدة تحدثت عنها، وناقشتها مكاتب الدراسات، ومعاهد علم النفس والاجتماع، لمعرفة سرّ تلك الظاهرة، التي استطاعت أن تخلق واقعاً جديداً، سماته الحرية، والإنسانية، والنصر.

وما كان يميز الاستشهاديين عن غيرهم، هو ما تتركه وصاياهم من آثار إيجابية في المحيط الفكري، الذي يمثله ذاك الاستشهادي، بالإضافة إلى المجتمع والأمة. كانت تلك الوصايا، رسائل تكتب بكلمات من دم ونور، الدم لقهر المحتل الغاصب، والنور ليضيء درب السالك نهج المقاومة والاستشهاد.

ماذا تضمنت تلك الوصايا؟ وما هي الغاية منها، هذا ما سنراه في تحليلنا لوصايا أربع إثنتان قبل 1990م وإثنتان بعد 1990م.

فالوصايا تتشابه إلى حد كبير، وكأنها تنتهج منهجاً منظماً لا اختلاف فيه فكل الوصايا، تبتدئ بالبسملة، وتنتهي بالحمد لله، ومعظمها تبدأ بعد البسملة بآية قرآنية، تتضمن الدعوة لقتال اليهود. وكذلك ما من وصية إلا ويقتدى فيها بالرسول (ص)، والإمام الحسين (ع)، وبزينب (ع)، والإمام الخميني، وبولاية الفقيه، وبالسيد علي الخامنئي. إهداء العملية للمستضعفين في لبنان وفلسطين.

وركزت الوصايا على التذكير الدائم، بما قام به الإمام الحسين (ع) من ثورة على الظالم، والانتصار آتٍ لا محالة. هذا فضلاً عن دعوة الأهل، والأخوة، بالاقتداء بسلوك الاستشهاديين، في شتى ميادين العمل. هذا وتميزت معظم الوصايا، بدعوة الوالدة أن تواسي السيدة فاطمة الزهراء (ع)، بمصابها وأن تصبر، كما صبرت زينب (ع)، على أن معظم الاستشهاديين، قد أوصوا أمهاتهم، أن يحتفلن بعرس الشهادة.

---

(1) خطاب الانتصار، مرجع مذكور، ص8.

كما وتضمنت الوصايا دعوة الزوجات أن يلتزمن بخط الإسلام، وأن يجعلن همّهن تربية الأولاد، تربية إسلامية أخلاقية صالحة، وركزت على الدعوى للمسامحة من جميع الناس، إن كان قد أخطأ معهم.

ومن خلال تحليلنا لوصايا أربعة من الشهداء هم:

- الاستشهادي الشيخ أسعد برو.
- الاستشهادي عبد اللّه عطوي.
- الاستشهادي صلاح غندور.
- الاستشهادي علي أشمر.

وقفنا على أبعاد فكرية، بارزة هي عبارة عن ثوابت اعتمدها الشهداء بشكل عام في وصاياهم. وهذه الأبعاد الفكرية هي:

- البعد الديني.
- البعد الوطني.
- البعد القومي.
- البعد الأخلاقي.

الشهيد الاستشهادي الشيخ أسعد برو

الاستشهادي برو، من البقاع، وترعرع في ضاحية بيروت الجنوبية، ودفعه إيمانه، والتزامه الديني، والحزبي العقيدي، إلى السير باتجاه الله، من خلال الجنوب اللبناني المحتل، إنه شعور بالمسؤولية الوطنية والإسلامية. لقد ترك الاستشهادي برو، بشهادته، تاريخاً، وعائلة، وأولاداً، ووصية؛ هذه الوصية التي سنقوم بتحليلها، من خلال العديد من الأبعاد التي تدور حولها.

البعد الديني في وصية الاستشهادي أسعد برو:

إن وصايا الاستشهاديين في المقاومة الإسلامية، بشكل عام، يغلب عليها الطابع الديني، إذ يعبّر الشهداء فيها عن معتقداتهم، من خلال القرآن، والسنة، والأئمة (ع) ومن خلال التزامهم بولاية الفقيه، والقادة الذين يقودون مسيرة المقاومة الإسلامية في لبنان.

فالاستشهادي أسعد برو، بدأ وصيته بالبسملة، وآية قرآنية تحضّ على الجهاد في سبيل الله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ... حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1] هذه الافتتاحية القرآنية،

(1) سورة التوبة، آية 24.

لوصية الشهيد، تؤكد هوية صاحبها العقائدية. فالقرآن هو المحرك الأساسي لهذا الاستشهادي، في انطلاقه نحو الله دون تردد.

هذا، ونرى في وصيته تأكيده على أن الذين سبقوه من الشهداء، صدقوا عهدهم لله عز وجل، ومضوا في سبيله «يمضي تاسع عشرة[1] صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إلى سبيل ربه . . .»[*] حيث أنه يعتبر نفسه تاسعاً، لمجموعة من المؤمنين، المجاهدين، قدِموا على الله قبله وليؤكد أن الله عز وجل، قَبِلَه مثلما قَبِلَهُم، ويحمد الله على هذه النعمة، فالشهادة نعمة من الله منّ بها عليه، وعلى إخوانه، كما يحث الاستشهادي برو على طاعة الله، وعبادته مستشهداً بآية قرآنية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

هذا التأكيد على النهج الإلهي القرآني كان بارزاً في وصيته، من خلال آيات الله، التي ترسم الإطار، والحدود، للسالكين، والعارفين، وحتى المجاهدين.

وكان لأهل البيت (ع) حيّز في وصية الاستشهادي برو، حيث يؤكد، وكما غيره، أن الحسين (ع) منارة الشهداء، والأحرار، والمظلومين، فيقول: «لأن الإمام الحسين (ع) ضحى بأبنائه، وإخوانه، وأصحابه، ولما لم يجد أحداً بعدهم ضحى بنفسه . . .»[*].

إن انطلاقته الدينية، من القرآن، والسّنة، وأهل البيت (ع) ألزمته بالإقتداء بالإمام علي بن أبي طالب (ع)، الذي كان لا يحب الموت على فراش، يقول برو في وصيته «لألف ضربة بالسيف، أحب إليّ من ميتة على فراش».

---

(1) كان الاستشهادي برو مجاهداً في مجموعة عسكرية تضم عشرة مجاهدين، استشهد منهم ثمانية شهداء وكان هو التاسع ومن بينهم: الشهيد أحمد شمص، حسن الحاج، محمد حسونة، محمد يوسف، جعفر المولى، حسن شكر. (معلومات خاصة ـ حزب الله).

(*) المعلومات الواردة بين مزدوجين في الفصل الثالث ـ تحليل الوصايا ـ راجع الوصية، الملحق الأول.

(2) سورة الذاريات، آية 56.

هذا، ولفاطمة الزهراء، مكان في وصيته، لاعتبارها بنت الرسول (ص)، وزوجة الإمام علي (ع)، وأم الإمامين الحسن والحسين (ع)، وهذا الارتباط المنهجي، والدعوة للسير على خطى الرسول (ص)، كان واضحاً في وصيته، التي أكد فيها «الالتزام بالخط الذي رسمه لنا الرسول الأكرم (ص)، والأئمة الأطهار».

إن استشهاد الاستشهادي برو بأقوال الإمام الخميني، لهي دلالة واضحة على قداسة المرجع، والولي الفقيه، في فكره، ونهجه، وإيمانه. من هنا أكّد في وصيته: «... وانطلقوا في رحاب الله، والجهاد في سبيله، على خط الولي الفقيه، الذي سار على دربه القائد الأعلى الإمام الخميني العظيم (قده)، الذي رسم لنا طريق الجهاد ... لأنه قال: «تحركوا بثقة، وكونوا مطمئنين، بأن مركز القدرة هو الله تعالى ب ولا تهنوا، ولا تحزنوا، وأنتم الأعلون...».

هكذا كان إيمان الاستشهادي برو بالله، وبرسوله، وبالأئمة، وبولاية الفقيه، لقد كانت الآيات القرآنية، تزدحم في وصيته.

ولقد كان الله، عبادة وعبودية، في سلوكه، وفكره، وعقيدته، لم يخرج من الصرح الديني والعبادي في وصيته، لأن الله فيه وهو في الله.

البعد الوطني:

إن الوطن والأرض والأهل والشهداء والأسرى، كانت عناوين رئيسية في وصايا الاستشهاديين، الذين كانوا يدافعون عن وطن، وشعب، وهوية، كانوا يقارعون عدواً احتل أرضاً لبنانية.

من هنا، بدأ الاستشهادي برو معرفاً بنفسه، وبهويته الدينية، والسياسية، على أنه لبناني من المقاومة الإسلامية، ومن أمة حزب الله، ومما قاله: «نحن كأمة حزب الله في لبنان، نرى لزاماً علينا أن نكون من البادئين الأوائل في

تقديم الهدايا، وأول هدية سنقدمها، هي التي ستقوم بها المقاومة الإسلامية ضد الغدة السرطانية إسرائيل . . .».

لقد حدّد أن وطنه لبنان، وعليه تقديم الهدايا، أي العمليات في سبيل تحرير الأرض، وقد حدّد أيضاً أن إسرائيل هي العدو المطلق، لذا فالاتجاه واضح، والعدو هدف محدد، والوطن لا بد من العمل الدؤوب من أجل تحريره . . .

كذلك دعا للمحافظة على المقاومة الإسلامية، في جهادها ضد العدو الإسرائيلي فقال: «حافظوا على استمرارية المقاومة الإسلامية، في جهادها ضد إسرائيل، واصبروا في تلك التلال، والثغور، التي حملت دماء الشهداء، وارتوت بريها . . .».

إنها دعوة للمقاومين، وللقياديين، ولأبناء المجتمع عامة، يحث فيها على حفظ المقاومة من جهة، كما يدعو الاستشهاديين، والمقاومين، إلى الصبر، والثبات، في التلال والثغور وهو يعلم، أكثر من غيره قساوة ومعاناة المرابطة في تلك الثغور. هذه الدعوة هي للمحافظة على أفراد من نسيج هذا الوطن، الذين يدافعون عن أرضه.

إن وصيته للشباب المؤمن، في بلده العزيز، واضحة في سجلّه «أوصي الشباب المؤمن، في بلدنا العزيز، الذي حاول أذناب إسرائيل التسلط على رقاب أبنائه . . . كونوا المخلصين لدماء الشهداء، بالعمل على قتال الظالمين أينما وجدوا . . .».

إن حبه لوطنه، ولبلده العزيز، ولشباب بلده، ودعوتهم للإخلاص لدماء الشهداء، بالعمل ضد الذين تسلطوا على رقاب أهله. لهي من المواقف الوطنية المشرقة، والمشرّفة في آن معاً.

البعد القومي:

كان للبعد القومي حيّز مميّز في وصية الاستشهادي برو، فهو لم ينس

الشعب الشريد؛ لذا أشار إلى القضية المركزية للعرب والمسلمين، قضية فلسطين المحتلة، حيث ذكّر باحتلالها من قِبَل اليهود الغاصبين، وكأنه يؤكّد وجوب الدفاع عنها، يؤكّد برو حبه لفلسطين، وعشقه للقدس، ونبذه للمحتل فيقول: «لا صلح، لا اعتراف، لا مساومة، إنطلق حرباً حرباً حتى النصر، زحفاً زحفاً نحو القدس».

البعد الأخلاقي والتربوي:

إن النهج الأخلاقي، والتربوي، الذي وسم وصية الاستشهادي برو، كان بارزاً في أكثر من مكان، حيث التواضع، والاخلاق السامية، وأدبيات الخطاب مع الأهل، والزوجة والأصدقاء . . . إن أول ما قام به، هو تقديم الاعتذار، والتعبير عن حبه للجميع، فقال: «فليقبل عذري الجميع لأني أحبكم فرداً فرداً. . .».

إن علاقته الوطيدة بالمؤمنين، أدت به إلى مناداتهم، أو مخاطبتهم بالأهل، وبجرأة الاستشهادي، يطلب منهم أن يفسحوا المجال أمام أبنائهم، ليدافعوا عن الإسلام، ويحتضنوا المقاومة، ومما قاله: «كما وأوصي أهلي المؤمنين، أن يتركوا أبناءهم، لينطلقوا في خدمة الإسلام، وأن يكونوا في الصف الجهادي الأول . . .».

وفي خطابه لوالده، يبرز الاحترام، والحنان، والتربية، والتقدير، ويسأل الله، أن يتقبل منه هذا القربان، ويدعوه أن يقدم اخوته على نفس الطريق، حيث قال: «أبي الحنونب أسأل الله تعالى، أن يتقبل منك هذا القربان، وأن تدرب إخوتي الباقين، على السير في هذا الخط . . .».

كذلك خطابه لأمه، ومناجاتها، وتقديرها بما قدمته له من سهر، وتربية، هو خير مثال على خلقيته، وتربيته المثالية. هو يسأل الله أن يوفيها أجرها، ويعطيها المعنويات، ويتمنى أن يكون لها شأن عند فاطمة الزهراء؛ بهذا الخطاب الحنون، خاطب برو أمه، التي يكنّ لها الاحترام والتقدير، حيث قال:

«أمي الحنونة، يا من سهرت الليالي حرصاً على تربيتي فتى مسلماً، مجاهداً في سبيل الله، أسأل الله أن يوفيك أجر الصابرين يوم القيامة، ولك الفخر عند سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) . . .».

هذا العرفان بالجميل لأمه، على سهرها، وعلى تربيتها له تربية إسلامية، جهادية، في سبيل الله، قابله الدعاء لله عز وجل، أن يوفّيها أجر ما عملت.

كذلك لم ينس الاستشهادي برو أخوته الذكور، بل طلب منهم سلوك الدرب السوي، والابتعاد عن الأخلاق الرذيلة، وعن الشهوات، وحب الدنيا، فهو يخصهم بعبارات في وصيته، تعتبر نموذجاً سلوكياً وأخلاقياً متقدماً، يصلح لأن يكون منهجاً، يسير عليه الناس، فيقول: «إخوتي الأعزاء . . . أوصيكم أن تبتعدوا عن اتباع الشهوات، فإن كنتم ترغبون في لقاء الله، فحرروا أنفسكم من الشهوات، وحب الذات والأنانية».

هكذا ناداهم بالإخوة الأعزاء، خطاب الأخوة الرحيم، العزيز، خطاب الحريص عليهم، حرصه على نفسه، طالباً منهم التحرر من الشهوات، وحب الذات، والأنانية، للوصول إلى الله.

خاطب الاستشهادي برو أخواته، بنفس اللغة التي خاطب بها اخوته الذكور، بل وأكثر حيث طلب منهن العفة، والستر، والنقاء، والمحافظة على الصلاة، كأنه يرشدهن إلى الطريق، الذي فرضه الله على المؤمنين، ويدعوهم إلى سلوكه، بالابتعاد عن الرذيلة، والمحافظة على الدين، والأخلاق: «أسأل الله تعالى: أن يمن بالستر، والعفاف عليكن، وعلى جميع المؤمنين، والمؤمنات حافظن على صلواتكن . . .».

وهنا تبرز الأخلاق المثالية، في وصية الاستشهادي برو، من خلال ما يتمناه لأخواته، يتمناه لبقية الأخوات، حيث يساوي بينهم.

وفي نهاية وصيته، لم ينس برو كلامه مع زوجته، أم أولاده، طالباً منها الصبر، والمجاهدة في تربية أطفاله، إنه أب وإنها أم، إنه أب لطفلة ولمولود

قادم، إنه يحملها الأمانة، أمانة طفلته وأمانة المولود الجديد، خاطبها بأسلوبه المتزن، المؤدب، بأنها الزوجة الصالحة، حيث قال: «كوني صابرة مجاهدة في تربية عيالك، لدينا طفلة اسمها فاطمة، والله العالم بالقادم الجديد، أسأل الله أن يعينك على تربيتهم، تربية صالحة ملتزمة، فلقد كنت الزوجة الصالحة التقية، العفيفة، الطاهرة، الملتزمة بالإسلام . . .».

هذا المنهج التربوي الأخلاقي، الذي اعتمده الاستشهادي برو، في وصيته مع إخوانه وأهله وزوجته، تجلى خطاباً في أكثر من مكان في الوصية، التي ختمها بالرجاء والمسامحة من الجميع، وكأنه يقول لا بد أن أرحل من هذه الدنيا نظيفاً، لا أحمل وزر أحد. وفي النهاية سلامه وتوقيعه «أخوكم أسعد برو».

تلك، كانت أبرز الأفكار التي تضمنتها وصية الاستشهادي برو، إنها غاية في التواضع، الذي يعتبر بحق قمة الأخلاق الرسالية العالية.

الشهيد الاستشهادي عبد الله عطوي
(الحر العاملي)

والده محمود عطوي، الذي كان يعمل في الإدارة المدنية، المتعاملة مع العدو الإسرائيلي، وصيته قُدِّمت على شريط فيديو، وهي بطبيعة الحال، تتضمن العديد من الأبعاد، التي سوف نقوم باستخلاصها.

البعد الديني:

إن ما نجده في وصية الاستشهادي عبد الله عطوي، من بعد ديني، لهو الدلالة على عمق الالتزام، والتربية الدينية، البيتية، والتنظيمية، حيث امتلأت صفحات الوصية، بآيات القرآن، وأحاديث الرسول (ص)، والأئمة (ع) والقيادات الإسلامية، وولاية الفقيه . .

يبدأ الاستشهادي عطوي وصيته، معبراً عن عبوديته المطلقة لله، وفقره أمامه، وهذا أسمى حالات التواضع، والذوبان أمام الله عز وجل، يقول عطوي: «أنا العبد الفقير إلى ربي، وإن شاء الله أكون من الشهداء، في ذكرى ولادة الرسول الأعظم . . .».

إن اختيار توقيت تنفيذ العملية، وارتباطها بذكرى ولادة الرسول (ص)، لما تمثل تلك الولادة من فرحة لدى المسلمين، تمتد إلى الجذور الإسلامية، والتعبئة الدينية، التي يمثلها الاستشهادي عطوي، والحزب الذي ينتمي إليه.

وكانت عين الاستشهادي عطوي، على الحالة الإسلامية الأصولية، المنفتحة على العالم، وذلك من خلال دعوته إلى الأخذ والاقتداء بالثورة الإسلامية في إيران، وبقيادتها، المتمثلة بالإمام الخميني، الذي استمد ثورته من الإمام الحسين (ع): «إخواني المجاهدين، استمدوا ثورتكم من الجمهورية الإسلامية في إيران، وقائدها الإمام الخميني العظيم . . .»، هذه الجمهورية التي تمثل بنظره الخط الإسلامي الصحيح، لما قدمته للمقاومة الإسلامية، ولكل الأحرار في العالم، من دعم، ورعاية، وتوجيه، وذلك من خلال قيادتها، المتمثلة بالولي الفقيه الإمام الخميني.

كما تضمنت وصيته خطابه إلى المجاهدين، ودعوتهم إلى حمل أمانة دماء الشهداء، الذين قضوا من أجل سلامة الإسلام، وذلك بقوله: «. . . تذكروا الأمانة التي هي في أعناقكم دماء الشهداء، فلا تنسوا دماء إخوانكم، هؤلاء الذين استشهدوا من أجل سلامة الإسلام، وسلامة المستضعفين في العالم» ويمثل هذا الاهتمام، والتأكيد على دماء الشهداء، العمق الديني والعقيدي لدى الاستشهادي عطوي.

إن تذكيره لأخوته بالدعاء للإمام الخميني، وترديد العبارات والكلمات الإسلامية، تدخل في نفس السياق الإيماني «ولا تنسوا دعاءكم للإمام الخميني حفظه الله، ولإخوانكم في بقاع الأرض . . .».

وكان لأهل البيت والأئمة (ع)، حيز مهم في وصيته، وذلك من خلال دعوته لوالدته، ولوالده التأسي بالسيدة الزهراء (ع)، والإمام الحسين، والطفل الرضيع، وقراءة القرآن والفاتحة عن روحه، هذا الاستغراق الكلي بالأئمة (ع)، ينبع من حبه لهم، والتزامه بأوامرهم، والسير على خطاهم؛ إن تكرار الأسماء هذه، أكثر من مرة في وصيته، تنم على سمو العلاقة معهم، حتى يعتبرهم قدوة، ويدعو الناس من أهل، وإخوة ورفاق، للسير على خطاهم، والاقتداء بهم.

يخاطب عطوي أمه قائلاً: «عندما تسمعين هذه الكلمات، تذكري السيدة فاطمة (ع) عند ذبح ولدها الحسين (ع) ب تذكري كيف استشهد الطفل الرضيع، وكيف وقفت السيدة زينب في مجلس يزيد ب وانذريني للسيدة فاطمة الزهراء (ع)، ولأبي عبد الله (ع) وللسيدة زينب (ع)».

لعلّ ما جاء من عبارات، في خطابه لأمه، يكفي ليظهر ما يعتمر قلب الاستشهادي عطوي من حب، وإجلال، وتقديس لهؤلاء القدوة، من أئمة المسلمين، وقادتهم، ومن أهل بيت النبي (ص).

البعد الوطني:

لا نستطيع أن نخفي البعد الوطني من وصية أي استشهادي، حتى لو لم يكن تصريحاً في وصيته، لأن منتهى وغاية الوطنية، هي تقديم أغلى ما يملك المرء في سبيل أرضه وشعبه؛ وهذا ما حصل مع الاستشهاديين، إنها الوطنية الحقيقية، والمجردة، التي لا تشويه ولا نفاق فيها. فكل ما هو في وصيته، بالنهاية، له الأثر الوطني، وإن كان الاستشهادي عطوي لم يدخل في التفاصيل، والعبارات الموجهة، وما قاله: «المقاومة الإسلامية معكم من لبنان . . . يا إخواني المجاهدون، تذكروا إخوانكم المعتقلين في سجون العدو، لا تنسوا هؤلاء دائماً . . .». هذا التذكير بالأسرى، والمعتقلين يشير إلى القضية الوطنية، والإنسانية، التي يثيرها في وصيته.

البعد القومي:

كانت الانتفاضة وأطفال الحجارة والقدس، وباختصار فلسطين، والصراع مع العدو، والتذكير بعداوة أميركا، حاضرة في كل فقرة من الوصية، تصريحاً أو تلميحاً، إن أجمل ما أهداه، بعمليته هذه، هو تقديمها لأطفال الحجارة في فلسطين. كما كان تركيزه على القدس المحتلة، وعلى الكيان الغاصب، بمثابة دعوة إلى عدم تجاهل القضية المركزية العربية الإسلامية، باعتبارها القضية

الأم، التي من أجلها، قدم نفسه شهيداً، داعياً إلى الوحدة الإسلامية، من خلال تذكيره بأسبوع الوحدة الإسلامية.

وبهذا المعنى يقول: «في ذكرى أسبوع الوحدة الإسلامية، أهدي هذه العملية للانتفاضة الإسلامية في فلسطين . . . يا فتية الانتفاضة الإسلامية، إن الحجارة التي تقاتلون بها العدو الصهيوني، هي أقوى من كل سلاح . . . السلام عليك أيتها الإنتفاضة الإسلامية في فلسطين، إننا باقون معكم حتى النهاية . . .».

هذا الخطاب المفتوح للشعب الفلسطيني، بأطفاله وشبانه وكهوله . . . الذي يدعو فيه إلى العمل من أجل حماية الأرض المقدسة، ويبارك الانتفاضة الرائعة، هو خير دليل على ما يحمله الاستشهادي عطوي، من فكر قومي، على صعيد العروبة والإسلام.

وبالفعل، لقد قرن عطوي القول بالفعل، وقدم نفسه وعمليته هدية للانتفاضة، بل وناشد حمايتها، والعمل على مساعدتها، والسير على خطى مجاهديها.

كذلك يتعالى الاستشهادي عطوي عن الحساسيات المذهبية، ويقدّمها هدية في ذكرى أسبوع الوحدة الإسلامية، التي أعلنها الإمام الخميني، هذه الوحدة التي تصنع من الأقطار الإسلامية أمة واحدة، تسعى بالإنسان إلى الحرية، والكرامة، والترفع عن المذهب، والانتماء، ليتكامل مع المبادئ الإسلامية، والإنسانية العليا، ويرعب العدو من خلال تذكيره بتلك المناسبات؛ لا سيما الوحدة الإسلامية، كونها عاملاً مهماً، من عوامل الانتصار والتكامل.

البعد الأخلاقي والتربوي والاجتماعي:

إن الأسلوب الذي اعتمده الاستشهادي عطوي، في خطاب الوصية، يكشف عن امتلاك شخصية هادئة، متزنة، متدينة، غير متوترة، وهذا يدل على الاستقرار النفسي، الناتج عن عمق التدين الذي يعتمر قلبه وكيانه. فاختيار

الكلمات، التي تمثل الحب، والأخوة، والحنان، كانت واضحة في وصيته، خصوصاً عند مخاطبته لأمه، وأبيه، ومما قاله: «يا أحبائي . . . أعزائي . . . إخواني المجاهدين بسامحيني يا أماه . . .».

هذا الخطاب المؤدب، الذي لا يستطيع اعتماده إلا من سلك درب الدين، وذاب فيه، تمثل سلوكاً تربوياً، داعياً الجميع الاقتداء به، بهذه اللغة المتواضعة، والأسلوب الهادئ، قدّم اعتذاره لأمه، لأنه لم يرها منذ مدة، ويطلب المسامحة، لأن لوعة الفراق آلمته: «صحيح كنت بعيداً عنك يا أمي، وذلك للظروف القاسية، ومن حرقتي عليك، فسامحيني . . .».

والجدير ذكره، أن والد عبد الله عطوي، كان يقيم علاقة مع العملاء واليهود في الشريط اللبناني المحتل، وهنا تبرز المعاناة في الوصية، والدقة في الخطاب، الذي يذكرنا بخطاب النبي إبراهيم (ع) مع والده، الولد المؤمن والوالد المشرك، كذلك الولد المجاهد والوالد المرتبط بالعدو، إنها معاناة الأنبياء والمجاهدين، إنه امتحان لهما، ولكن، وكما خاطب النبي إبراهيم والده ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ . . . رَبِّيٓ﴾[1]. وفي آية أخرى دعا ربه قائلاً ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[2].

خاطب الحر العاملي والده بالرأفة، والتواضع، والأخلاق العالية؛ بدأ مع الأب، وبقلب مجروح: «أبي العزيز، أريد أن أتكلم معك بهذه الكلمات، وأنا مجروح . . .» إنه جرح الفؤاد، الذي يعاني منه الاستشهادي، بأن يكون والده مع العملاء، والصهاينة.

واستمر عطوي الإبن، يخاطب أباه بدعوته، والدعاء لله بدعوته، إلى الابتعاد عن الطريق التي يسلكها، ويذكّره بالفتوى التي تحرم ذلك، ويدعو أن يهديه الله إلى الصراط المستقيم، ورغم كل ذلك طلب منه المسامحة . . .

---

(1) سورة مريم، آية 47.

(2) سورة الشعراء، آية 86.

«الناس الذين تسير معهم، وتسلم عليهم حرام، فالفتوى تعرفها، السلام عليهم حرام . . . سامحني، لأني من زمان لم أرك، وإن شاء الله يتوب عليك، وإذا أتى الكفار إلى بيتك فجّر نفسك بهم . . .».

هكذا تعامل الإبن البار مع الأب الضال، جرت العادة أن الأب يعظ الإبن، ويعلمه، ويؤدبه، ويوجهه، كما ورد في القرآن الكريم في سورة لقمان، حيث قال ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[1]، لكن الاستشهادي عطوي، ظهر أكبر من أبيه، فهو يعظ والده، وهو مجروح القلب، يدعوه إلى ماذا؟ يدعوه للكفّ عن التعامل مع عدو الإنسانية، يدعوه إلى التوبة، إلى الاستشهاد، والتكفير عن ذنوبه، وأن يبرئ ذمته، أمام الله، وينذره لأبي عبدالله الحسين. هذا هو العمق الأخلاقي، والتربوي، الذي لا يمكن أن نجد أدقّ منه، في هذه الحالة، بين الإبن والأب.

والملاحظة الأخيرة في وصيته، طلبه لعدم لبس السواد، وإعلان الحداد، وذلك لاعتبار يوم استشهاده يوم فرح، لا يوم حزن، وهذا قمة التفاني الرسالي، والحب الإنساني، المنفتح على الله عز وجل «أنتم غير مسامحين، أن تلبسوا عليّ السواد، بل البسوا أحسن الثياب عندكم».

(1) سورة لقمان، آية 17.

الشهيد الاستشهادي
صلاح محمد غندور (ملاك)

من خلال دراستنا لوصية الاستشهادي غندور، واطلاعنا على محتوياتها، وجدناها، وعلى الرغم من صغر حجمها، تختزن العديد من الأبعاد والمعاني، على كافة المستويات، الدينية، والقومية، والوطنية، وفي ما يلي تحليل مختصر لأهم ما جاء فيها من أفكار.

البعد الديني:

إن ذكر الآيات القرآنية، والرسول (ص)، والأئمة، والقادة الشهداء التي تضج بها الوصية، تدل على البعد الديني لدى الاستشهادي غندور، الذي بدأ وصيته بالبسملة، وبآية قرآنية، تؤكد عدوانية اليهود على الإنسان، والإنسانية، إضافة إلى تمنيه لقاء سيد الشهداء الإمام الحسين، حيث قال: «بسم الله الرحمن الرحيم ... ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[1] أسأل الله أن يوفقني إلى لقاء سيد الشهداء، أبي عبد اللّه الحسين ...».

كان الاستشهادي غندور متمثلاً بإمامه الإمام الحسين، الذي أكّد، في

(1) سورة المائدة، آية 82.

مكان آخر في الوصية، أنه تعلم دروساً من مدرسته، في كربلاء، مشيراً في وصيته «سوف يكون لقائي القادم درساً جديداً، درساً كربلائياً . . .».

كذلك يوحي غندور، في وصيته، أن إيمانه بالله، الذي يعمل له، وعده بالنصر، لأن الله معز المؤمنين، ومذل الكافرين، ويؤكد أن الهدف من عمله، لقاء ربه بكل عزة وكرامة.

«إنني إن شاء الله، بعد قليل من هذه الكلمات، سوف ألقى الله معتزاً، مفتخراً، منتقماً لديني، ولجميع الشهداء، الذين سبقوني على هذه الطريق . . .».

هكذا يعترف غندور بالجميل للشهداء، الذين سبقوه في رحلة الاستشهاد، وللقادة العظام، فيؤكد أنهم كانوا قدوة له، في حياته، فسلك سبيلهم، ونهج نهجهم، وسار على خطاهم، حاثاً إخوته الاقتداء بهم . . . ومما قاله «يا ابناء علي والحسين، يا أبناء الإمام الخميني العظيم، يا أبناء القائد الخامنئي، وابناء الشهيد السيد عباس الموسوي، والشيخ راغب حرب، فإن جهادكم، هو الجهاد الممهد لدولة صاحب العصر والزمان(عج) . . . في تحقيق الرضا الإلهي الكامل، حتى نصل إلى الوعد الإلهي، (إنا لله وإنا إليه راجعون)».

خاطب الاستشهادي غندور إخوته ورفاق دربه، بآيات الله، وقرآنه، وقيادته، وأئمته، وحدّد الطريق والمنهج، ليصل بالنهاية إلى الوعد الإلهي، إلى دولة الحق دولة الإمام المهدي المنتظر (بحسب قناعاته).

والملاحظ هنا، أنه، وكما بدأ بآية قرآنية، ختم بآية قرآنية تؤكد الرجعة لله، والعودة إليه . . . مع تحية الإسلام بالسلام على الجميع.

ما يؤكده الاستشهادي غندور، في وصيته، أن سلاح الاستشهاد، من خلال العمليات الاستشهادية، هو السلاح الأقوى الذي كسر هيبة الجيش الصهيوني، الذي قِيل إنه لا يقهر، «. . . هذا العدو المتغطرس، الذي كسرت

هيبته، على أيدي إخواني المجاهدين من قبلي، الذي كسرت هيبته على أيدي الشهداء، أحمد قصير، والحر، وأبى زينب، وهيثم دبوق، والشيخ أسعد برو . . . الذي حطم الإسلام هيبته، على أيدي إخواني الشهداء، الاستشهاديين . . . ».

البعد القومي :

كانت الانتفاضة والقدس، وكل فلسطين، في وجدان مجاهدي المقاومة الإسلامية في لبنان، والإستشهادي (غندور) واحد منهم، إذ أن حسه القومي، دفعه إلى الثأر من مغتصبي فلسطين. حيث يؤكد، أنه بعمليته التي سيقوم بها، سيثأر لأبناء فلسطين، يقول في هذا الصدد: «بعد قليل سوف أثأر . . لأبناء الانتفاضة في فلسطين المغتصبة . . . ». هذا النهج الاستشهادي، هو نفسه في الشريط اللبناني المحتل، وفلسطين المحتلة، لأن المحتل واحد، لا يفرّق بين لبناني وفلسطيني، ولا حتى بين إنسان وإنسان، إنه عدو الإنسانية، والبشرية، لذلك نهض الإستشهادي غندور، ليثأر للمظلومين، من الشعبين اللبناني والفلسطيني. وهذا ما ذكره «بعد قليل، سوف أثأر لجميع الشهداء المظلومين، والمستضعفين من أبناء جبل عامل، وأبناء الانتفاضة في فلسطين . . . ».

البعد الوطني :

إن الأرض، والأهل، والوطن، كانوا همّ كل مجاهد لبناني، بخاصة وأن جزءاً من هذا الوطن، والشعب، يرزح تحت حراب المحتل، ويعاني الذل، والهوان، والأسر، والتشريد.

وقد حمل الإستشهادي غندور عذابات الأرض، والأهل من فلسطين، وثار لينتقم لهم على طريقته الخاصة، باللغة التي يفهمها العدو، ويهابها «بعد قليل، سوف أثأر لجميع الشهداء والمظلومين، والمستضعفين من أبناء جبل عامل . . سوف أنتقم لجميع المعذبين، في الشريط المحتل المعذّب . . . ».

إنه لم يصرّح، ويقول: إنه سينتقم لحزبه، أو لطائفته، أو لمذهبه. لكن، أطلق عنان الكلمة، ثائراً للكل، مهما تنوعت مذاهبهم، وأديانهم، وألوانهم، هكذا كان للبنان، ولكل الوطن، وكان أحد الفرسان الأبطال، الذي ينتقم لكل المعذبين، في كل مكان، وبخاصة في الشريط المحتل في لبنان، إنها الوطنية المثالية، في وطن تمزّقه الطائفية، والمصالح الفئوية.

حتمية الانتصار:

إن ما يميز وصية الاستشهادي صلاح غندور، عن غيرها من الوصايا، رؤيته الثاقبة نحو المستقبل الواعد بالنصر، والأمل القريب. وهذا ما أشار إليه في وصيته، في أكثر من مكان «إخواني المجاهدين، فليكن معلومكم علم اليقين، أننا إن شاء الله، بكل تأكيد، منتصرون، وهذا لا شك فيه . . . فإن الله لا شك منجز وعده وناصر عبده . . . فلنسمتر حتى تحقيق الهدف المنشود . . . حتى نصل إلى الوعد الإلهي . . .».

إن ما يراه الإستشهادي غندور، وغيره من الاستشهاديين، هو عينه الذي يراه، ويلحظه كل الأحرار، من أبناء الوطن، وكل الغيورين على مصالح مجتمعهم، وشعبهم؛ إذ يتمكنون بعزمهم،وإرادتهم، وإيمانهم الراسخ، بوطنهم، وأمتهم، أن ينتظروا مستقبلاً واعداً بالنصر.

الشهيد الاستشهادي علي منيف أشمر

إن العملية التي نفذها الاستشهادي أشمر، تختلف بأسلوبها، وكيفيتها، عن باقي العمليات الإستشهادية، التي نفذتها المقاومة الإسلامية في لبنان. وكما هو معروف، فإن المقاومة الإسلامية شرعت بتنفيذ عملياتها الإستشهادية، من خلال الهجوم بسيارات، أو بشاحنات محمّلة بالمتفجرات، يقتحم الإستشهادي مواكب، ومقرات العدو، ويفجر نفسه. لكن الإستشهادي أشمر، زنّر جسده بحزام ناسف، وتقدم نحو موكب قيادي للعدو الصهيوني، وفجر نفسه، مما أذهل العدو وقادته، على الجرأة التي يمتاز بها، والأسلوب الذي اعتمده، وكان هذا، أحد تكتيكات، وتنويع أساليب العمليات الإستشهادية للمقاومة الإسلامية في لبنان. أما وصيته فقد حفلت بالأبعاد التالية:

البعد الديني:

كغيره من الإستشهاديين، بدأ وصيته بالبسملة، وتقديم السلام، والتحية للأئمة، والقادة، وإلى الولي الفقيه، وقيادة المقاومة؛ هذا الاحترام، والاقتداء، والتقدير، لسلسلة من القيادات التاريخية، تؤكد عمق الصلة، والمودة، والارتباط بينه وبينهم. لأنه، وفي أدق اللحظات، «كتابة الوصية الأخيرة» يستشهد بهم، ويسلم عليهم بتحياته، وهذا ما رأيناه في أول الوصية «بسم الله

الرحمن الرحيم، السلام على سيدي ومولاي سيد الشهداء، الإمام الحسين (ع)، وعلى أخيه أبي الفضل العباس (ع) السلام على سيدي ومولاي صاحب العصر والزمان، الإمام المهدي المنتظر (عج)، . . . على الإمام الخميني . . على السيد الخامنئي . . على سيد شهداء المقاومة الإسلامية، وشيخها «السيد عباس الموسوي» و «الشيخ راغب حرب» . . على السيد حسن نصر الله . . على فوارس المقاومة الإسلامية البواسل، ورحمة الله وبركاته . . . ».

إن خطاب الإستشهادي أشمر، الموجّه إلى الإمام الحسين، وإلى الإمام المهدي، يكشف عن حلم، لطالما راوده، ويفتخر الآن، بأنه وصل إليه شهيداً على نهجهما. ومما قاله «سيدي يا أبا عبد اللّه، لقد عاهدت الله تعالى، وعاهدتكم، أن أمضي في سبيل الله . . سيدي يا صاحب الزمان، كم كنت أتمنى أن تكون شهادتي بين يديك . . . ».

ثم خاطب إخوانه بآية قرآنية، لأن لغة ودستور المجاهدين، وربيع قلوبهم، هو القرآن حيث قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ . . .﴾[1].

إن ذوبانه بالقيادة والولاية، أوجب عليه إبلاغ اخوته الالتزام بأوامر القيادة الإسلامية، من خلال الولي الفقيه، والأمين العام حيث قال: «والتزموا بأوامر القيادة المباركة، وأوامر المقاومة الإسلامية، التزموا إرشادات سماحة القائد الخامنئي المفدى «دام ظله»، والأمين العام لحزب الله، سماحة السيد حسن نصر الله أدامه المولى . . . ».

لم تغب المستحبات الدينية عن خطابه لإخوته في المقاومة، التي لها صلة بساحات الجهاد، ومما قاله «اجعلوا الوضوء، قبل المشاركة في المعركة، ضرورياً، كحملكم للسلاح، لأنّ اليد التي تتوضأ، وتقاتل، لا يمكن أن

(1) سورة النساء، آية 104.

تهزم». وهنا يستشهد الاستشهادي أشمر، بكلمة للإمام الخميني، الذي يربط النصر بالإيمان، ثم يذكر آية أخرى، من القرآن الكريم في وصيته، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1] وبعدها يختم بآية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

الاستشهادي أشمر، أنهى كما بدأ بالقرآن، مؤكداً، أن ما وصل إليه، هو بالقرآن والإيمان، والالتزام الكلي، بالأئمة والقيادة.

البعد الوطني:

أبى الاستشهادي أشمر، أن يرحل إلى الحياة الآخرة، إلا على تراب بلدته المحتلة، التي طالما حلم بها، وبمعاناة أهلها، وأهل الشريط المحتل، كان يشعر بعذابات أهل الشريط المحتل ووعدهم بأنه سيدافع عنهم، وينتقم من معذبيهم، ومما قاله «إلى أهلي الأعزاء الصامدين في الشريط الحدودي المحتل، بعد قليل من هذه الكلمات، إن شاء الله، سيصبح جسدي ناراً تحرق المحتل الصهيوني، الذي يمعن كل يوم، وكل لحظة، في تعذيبكم، ويظن أنه يذلكم . . .».

هذا الوعد، الذي قطعه على نفسه، وفى به، فألهب نفسه ناراً في موكب العدو، ومن ثم، لاحت راية النصر في تلال الجنوب وقراه، وأصبح مكان استشهاده محجة للمجاهدين.

كذلك، لم ينس الاستشهادي أشمر إخوانه المعتقلين في سجون الاحتلال؛ إنهم لبنانيون، جاهدوا، وناضلوا في سبيل الله والوطن، بل قدم لهم، عمليته هدية لهم وبكل تواضع رجاهم لقبول الهدية، مؤكداً أنه سيثأر لهم حيث قال: «إلى إخواني وأخواتي الصابرين في معتقلات الاحتلال، في الشريط

---

(1) سورة الأنبياء، آية 105.

(2) سورة العنكبوت، آية 69.

الحدودي المحتل . . . سلام من الله عليكم، أسأل الله أن يمن عليكم بالحرية، أهديكم هذا العمل المتواضع . . . تقبلوا هديتي . . .».

هكذا تربى الاستشهادي أشمر، على حب وطنه، وأرضه، وشعبه، لم يهدِ عمليته لفريق، أو لحزب، أو لطائفة، أهداها لكل المعتقلين، والمعتقلات، على اختلاف مشاربهم السياسية، وتنوعهم السياسي والعقائدي، إنها منتهى الوطنية، أن يقدم الإنسان نفسه على مذبح الوطن، وجميل أن لا ينسى الاستشهادي الأهل، والأرض، والرفاق، والأخوة، والأسرى، والقيادة، والمجاهدين، في لحظة تاريخية، قبل الرحيل إلى الله.

البعد القومي:

وتبقى الانتفاضة، وأطفال الحجارة، والقدس الشريف، في ضمير كل استشهادي، من استشهاديي المقاومة الإسلامية في لبنان، حيث لم تغب فلسطين، والانتفاضة عن كل الوصايا، فالاستشهاديون تربّوا تربية إسلامية، همها تحرير الأرض، والإنسان من كل طاغية.

وهكذا، نجد الاستشهادي أشمر، يخاطب إخوانه الفلسطينيين بثقة، وأخوّة إسلامية، ويهديهم عمليته الاستشهادية، ويبشرهم بالنصر القريب، وبأن القدس، حتماً ستعود إلى أهلها، لأن هذا وعد الهي، والله لا يخلف وعده، ومما قاله: «السلام على شهداء الانتفاضة الإسلامية في فلسطين المحتلة، السلام على أطفال الحجارة الأباة، السلام على مجاهدي الانتفاضة الإسلامية المباركة، السلام على أمهات الشهداء وآبائهم . . . السلام على القدس الشريف . . .».

هذا الموقف المتقدم، من الاستشهادي أشمر، نحو الانتفاضة والقدس، جاء ليقول: إن لبنان وفلسطين أرض واحدة، ومعاناة شعبهما، معاناة واحدة، واحتلالهما واحد، ومقاومتهما واحدة، وتجلى ذلك أيضاً، في خطابه إلى المعتقلين، وسلامه عليهم، في الشريط الحدودي المحتل، وفي فلسطين

المحتلة، حيث ربط بينهما، معتبراً أنّ الاحتلال واحد، وبالتالي فالمقاومة واحدة، لا بد أن تنتصر، بعطاءات المجاهدين والاستشهاديين.

إنها رسالة مفتوحة للجميع، لإلغاء الحدود الضيقة، التي صنعها الاستعمار، والعمل على تحرير الأراضي المحتلة، من لبنان، وفلسطين، ومصر، والجولان.

البعد الأخلاقي والتربوي والاجتماعي:

لم يكن للأهل والأقارب والأخوة، حيّز كبير، في وصية الاستشهادي أشمر، لكنه يطلب منهم الصبر، وعدم الحزن، عند سماعهم خبر استشهاده، وطلب تقبل التهاني، داعياً أهله، إلى تعليم إخوته، وأقاربه، دروساً في الجهاد والمقاومة.

ومما قاله في هذا الصدد: «أهلي الأعزاء، أسأل الله لكم الصبر، والسلوان، وأن لا تحزنوا لشهادتي، ولا تقبلوا من أحد أن يعزيكم، بل تقبلوا التهاني، واعملوا على أن يكون يوم شهادتي، يوم فرح وسرور . . .».

هذا التحول في الأعراف الاجتماعية، واعتبار يوم الشهادة يوم فرح، لم تعهده مجتمعاتنا في وقتنا الحاضر، إنه الإيمان، والفرح بلقاء الله، والقبول بعطاءاته بل الفرح بها.

حتمية الانتصار:

هذا الاطمئنان، والتسليم بالنصر الآتي لا محالة، إنما يدل على ثقة بالله، وبالقيادة، وسياستها الحكيمة، في إدارة المواجهة في الشريط المحتل، واثبتت الأيام، أن النصر حصل بالفعل، وأن العدو مني بهزيمة، لم يعهدها من ذي قبل. يقول أشمر في وصيته: «واعلموا يا أهلي الأعزاء، أن الاحتلال سيزول ب وإن شاء الله النصر قريب، والتحرير آتٍ، والصهاينة وعملاؤهم مصيرهم القتل والزوال».

وكأنه استحضر المستقبل قبل حصوله وتحققه، فتصور النصر، وتخيل اندحار العدو، فضلاً عن العملاء، فعاش حلاوة النصر قبل الاستشهاد.

كان ذلك تحليلاً مختصراً لوصايا الاستشهاديين الأربعة، تضمن العديد من الأبعاد الفكرية، والمواقف العملية، على مختلف الأصعدة الدينية، والقومية، والوطنية، والأخلاقية والاجتماعية.

الخـاتـمـة

هي ذي، الجوانب التي شملتها هذه الرسالة حول الاستشهاد، بما له من أبعاد ودلالات، تمثلت لغزاً كبيراً لعب دوراً مميزاً في مجرى الحوادث التي يضجّ بها العالم.

إننا أمام مسألة متلازمة مع خط سياسي مستند إلى عقيدة إلهية آمن أصحابها بأن الظلم لا يقوى على صدّه إلا الساعون إلى إحقاق الحق، خصوصاً إذا كان هذا الظلم دينه قوة عاتية كإسرائيل القائمة أصلاً على الظلم والاضطهاد، وهي المواجهة للمظلومين الذين رفضوا الذّل، وسعوا إلى رفع الظلامة بشتى الوسائل الكفاحية، التي كان آخرها الاستشهاد.

هذا الاستشهاد الذي تمثل فلسفة جديدة قائمة على إيمان راسخ بالموت في سبيل الحق، كما تمثّل أسلوباً شاءه المستشهد قتل ذاته ليحيا غيره.

تحوّل بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان إلى ثقافة قلّما يجهلها إنسان على ظهر البسيطة، وبحكم التقدم التكنولوجي، تمكن الإعلام عبر فضائياته من غزو المجتمعات، ليطرح أسئلة ويثير جدالات حول الاستشهاد وما ينجم عنه من مفاعيل، وعليه، تمثلت هذه الظاهرة في قضية مفارقة عمدنا إلى دراستها وتحليلها في هذا البحث، مستنتجين الأمور الآتية:

1 ـ أحدثت هذه المفردة غلياناً كبيراً في الأوساط الثقافية التي بادر أهلها إلى دراسة ظاهرة الاستشهاد التي استوجبت دراسة الإسلام كدين يحضّ على الموت في سبيل الحق، ونجم عن ذلك معرفة الكثيرين لما كانوا يجهلون عن الرسالة المحمدية.

2 ـ أن الإطلاع على المضامين الإسلامية، أزال الخلل الحاصل في الخلط بين الاستشهاد والانتحار. فالأول عمل جهادي بطولي محمود، والثاني فعل يأس مذموم، والقادم على الأول في الجنة إسلاماً، بينما الثاني في الجحيم.

3 ـ أظهرت ميزة الاستشهاد، ما يتمتع به حزب الله وفريقه العسكري المتمثل بالمقاومة الإسلامية، من قدرة أكسبته ثقة قلّما وصل إليها تنظيم عقائدي على مرّ التاريخ.

4 ـ أحيت هذه الظاهرة موروثاً عائداً إلى كربلاء، التي شهدت نماذج من الاستشهاديين وفي طليعتهم الحسين (ع) الذي أقدم على الموت شاهراً السيف حتى الاستشهاد.

5 ـ من مفاعيل الاستشهاد، توحيد الصفوف ورصّها في حالة مهمة شكّلت ظهيراً داعماً ومؤيداً للمقاومة التي أصرّت على تحرير الأرض بالقوة. وكان لها ذلك بالفعل.

تمكن الاستشهاديون، باستشهادهم، من تعديل موازين القوى، إذ أصبح وقف العمليات حجر الرحى، ومن الأولويات التي يتطلع إليها المسؤولون في الكيان الصهيوني عند ظهور ملامح مفاوضات.

6 ـ بفعل الاستشهاد، عاد عدد من الأسرى إلى أهلهم، وعاد، أيضاً، بعض جثث المقاومين إلى حضن الوطن.

إن هذه النتائج الناجمة عن بحثنا، ترافقت بمفاهيم كثيرة ضجّت بها الخطب السياسية لرموز المقاومة الإسلامية، كما شكّلت مادة غنية، أخذت منها

رموز الدولة اللبنانية، ورموز غير الدولة اللبنانية، مؤونة تستقوي بها على العدو وحلفائه؛ وهي، أي النتائج، وسواها، شكّلت قوة لهذا البحث المتواضع الذي نزعم أننا أنجزناه بما يمكن أن يضعه في مقام الدراسات الحيوية المفيدة، التي تشكل مادة يتحصّن بمضمونها الشباب في زمن كادت فيه الأنا أن تحطم الكيانات، وتقضي على القيم، وتبدد كل أمل بالثورة والتغيير.

إن رسالتنا الجامعية هذه، فلسفة الاستشهاد، تمثّلت عملاً، نرجو أن يكون مفيداً، ومسدياً خدمة للأجيال التي نأمل لها فهماً عميقاً لمضمون هذه الفلسفة، راغبين فهم استنباط المضامين ليشبعوها درساً وتحليلاً، مشيرين إلى أن البحوث مهما حسنت وامتازت لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الكمال أبداً.

الملاحق

- الملحق الأول: وصايا الاستشهاديين.
- الملحق الثاني: الرسالة المفتوحة التي وجهها حزب الله إلى المستضعفين في لبنان والعالم، 16 شباط سنة 1985م.
- الملحق الثالث: الاستشهاديون.

وصية الشهيد عامر كلاكش

بسم الله الرحمن الرحيم

أخوتي المؤمنين الأعزاء في: 12/2/1984

بدأت أخط لكم هذه الرسالة وأنا بأشد الشوق واللهفة للقاء الله عز وجل وأتمنى إن شاء الله أن أكون طاهراً بالإيمان والتقوى في لقائه.

أوصيكم بأن تتمسكوا بأهل العصمة وتسلكوا طريق الحق هو طريقهم وهو السبيل للفوز بالجنة وأن يكون همنا إعلاء كلمة الله ووحدة الأمة الإسلامية بقول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وإزالة الطغيان والغدة السرطانية إسرائيل ولا ينقصنا سوى إنتصار الأمة الإسلامية والمقاومة الإسلامية البطلة إن شاء الله على الكفر والإشراك لأننا طبعاً نعلم الظروف التي نمر بها من مشاكل مع كل من لا يحب النظام الإسلامي أن ينتشر على الأرض ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون وأتمنى أن لا تستغرب لهذه الكلمات التي ذكرتها لأن القوى الباطلة لا ترغب بأن يحكم الحق الذي هو نحن الإسلام طبعاً لذلك تجد كل القوى في العالم تقف ضدنا لتدمرنا وخصوصاً في لبنان.

وأما الآن نطلب من الله أن تحفظوا خط المقاومة وأن تسيروا على نهج الإمام الخميني وهذا الذي نتمنى والحمد لله ونشكره على كل شيء.

مع التمني لكم بالنصر والعزة والكرامة.

أخوكم المخلص عامر

في: ١٢-٢-١٩٨٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخوتي المؤمنين الأعزاء

بدأت أخط لكم هذه الرسالة وأنا بأشد الشوق واللهفة للقاء الله عز وجل
وأتمنى إن شاء الله أن أكون طاهر بالإيمان والتقوى في لقائه

أوصيكم بأن تتمسكوا بأهل الصبر وتسلكوا طريق الحق هو الطريق الصحيح وهو السبيل
للفوز بالجنة وأن يكون هدفنا إعلاء كلمة الله ووحدة الأمة الإسلامية بقول

"لا إله إلا الله محمد رسول الله" وإزالة الطغيان والعدوان صاحبه إسرائيل

ولا ينقصنا سوى انتصار الأمة الإسلامية والمقاومة الإسلامية العالمية

إن شاء الله على الكفر والإشراك لأننا طبعاً نعلم الظروف التي نمر بها من مشاكل
مع كل من لا يحب النظام الإسلامي أن ينتشر على الأرض ولكن الله يأبى إلا أن

يتم نوره ولو كره المشركون وأتمنى أن لا تستغربوا لهذه الكلمات التي ذكرتها لأن
القوى الباطلة لا ترغب بأن يحكم الحق الذي هو دين الإسلام طبعاً لذلك نجد كل القوى

في العالم تقف ضدنا لتدميرنا وخصوصاً في لبنان

وأما الآن نطلب من الله أن تحفظوا خط المقاومة وأن تسيروا على نهج الإمام الخميني
وهذا الذي نتمنى والحمد لله ونشكره على كل شيء

مع التمني لكم بالنصر والعزة والكرامة

أخوكم المخلص عامر.

وصية الشهيد الاستشهادي هيثم دبوق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

صدق الله العظيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وأعز المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا روح الموجودات وقطب الوجود، السلام عليك يا من لأجله خلقت الأفلاك، السلام عليك يا خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، السلام عليك يا حبيب إله العالمين، السلام على طه وياسين وعلى آلة الطيبين الطاهرين.

السلام على إمام المتقين، وولي العارفين، وسراج السائرين. السلام على الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ورحمة الله وبركاته. السلام على التسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام. السلام على محمد بن الحسن القائم المنتظر المهدي (عج) ورحمة الله وبركاته. السلام على سيدي وقائدي ومولاي الإمام الخميني العظيم.

السلام على المجاهدين المؤمنين الذين يقارعون الظلم والاستعمار في كل أنحاء العالم، في لبنان وإيران وفي فلسطين المحتلة وأفغانستان وباكستان وأندونيسيا وغيرها من البلدان الإسلامية.

السلام على المقاومة الإسلامية التي زرعت الأرض دماء طاهرة زكية من أجل الشعب المسلم في لبنان.

السلام على الانتفاضة الإسلامية في فلسطين المحتلة. السلام عليكم أيها المؤمنون ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، أنا الفقير إلى ربي دون سواه هيثم صبحي دبوق أؤمن بأن لا إله إلا الله لا شريك له فرداً أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدا. لا ينازعه في وحدانيته مخلوق أو محدث، ملأت أسماؤه أركان كل شيء وسطى نوره فظهر له كل شيء. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليفته في أرضه بعثه رحمة بعباده ليتدرجوا في مدارج الكمال على صراط التجرد والتجافي عن خطوط الدنيا وكدوراتها، وليسيروا على هدى الوحي والقرآن وابتغاء القربة إلى الله تعالى.

أحمده وأشكره على السراء والضراء واستعين به على مكاره الأمور وأسأله الراحة عند الموت والفوز والغض عن ذنوبي إنه سميع مجيب وأسأله أيضاً أن لا يفضحني على رؤوس الأشهاد يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب الأرباب.

إخواني المؤمنين: لقد قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فعلى الإنسان العاقل أن يعي ويفهم ما معنى الحياة وما هو دوره في هذه الحياة علينا أن نعرف أن الخلق ليس عبثاً ولهواً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً علينا أن نعرف أن الإنسان قد وجد وخلق لهدف سام لهدف إلهي سماوي رباني ألا وهو العبودية له تعالى علينا جميعاً أن نخرج من ظلمات قلوبنا وغفلاتنا وشهواتنا وأن ندخل في سلك التطور الإنساني علينا

أن نخرج نفوسنا الأمارة بالسوء من أسفل السافلين حتى تصل إلى أحسن تقويم ألا وهو العبودية الحقة التي هي براق العروج إلى رب الأرباب. وقد قال عز من قال: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فلنخرج من عبادة الدنيا وعبادة الطواغيت وعبادة الأهواء وعبادة الأنفس فأم الأصنام صنم نفسك حتى يليق بنا الخلافة التي أرادها الله لنا أنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً.

حرروا نفوسكم من نير العبودية لغير الله تعالى لأنها لا تكون إلا لله ولا تأخذكم الشهوات والغفلات والملاهي والملذات فتقيدكم وتحجبكم عن الله تعالى فتكونوا عمياناً لا تبصرون: قال ربما حشترني أعمى وكنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فيا لها من حسرة لا تزول ولا تقاس بحسرات هذه الدنيا عندما نستفيق من غفلتنا ونومنا العميق فنجد زادنا فارغنا وكنا ممن يظن أنه يحسن الصنع في حياته الدنيا.

أيها الأخوة المؤمنين: عليكم أن تعوا المسؤولية الملقاة على عاتقكم، فإن الإسلام سيقوم على أكتافكم وبجهادكم فكونوا ممن قيل بهم: إن لله رجالاً إذا أرادوا أراد . . فإذا أردنا أن ننصر الإسلام فعلينا أن نقدم الدماء والتضحيات فوقود الثورة، هو دماء الشهداء. إخواني المؤمنين علينا أن نستمر في جهادنا مع أميركا وإسرائيل وأذنابهم علينا أن نكون حسينيين وعليكن أن تكونوا زينبيات.

وثقوا دائماً بأن النصر سيكون حليفكم ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وإن الدعوة لله ومسؤولية الدفاع عن الإسلام ملقاة على عاتق الجميع، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، أدّوا الأمانة التي استودعتموها وأدوا حقها في سبيل الله، فعلى كل إنسان مسلم أن يعبئ طاقاته كلها من أجل خدمة الإسلام، وأعيروا جماجمكم لله فإن من تعلق قلبه بالجمال المطلق ولاح له لائح من الكمال المطلق يشتعل شوقاً إلى لقاء حبيبه ومعشوقه حتى تتحرر نفسه من أسر هذه الدنيا وسجنها فيكون كله لله وفي سبيل الله وإلى الله.

إخواني المؤمنين اطرقوا أبواب الشهادة فإنها أقصر الطرق وأقربها إلى الله تعالى ولا ينالها إلا ذو حظ عظيم، وأوصيكم أن لا تنسوا دعائكم للإمام بطول العمر وأطلب السماح منكم جميعاً وكذلك من أهلي الأحباء الأعزاء فعزاؤكم بمصاب أهل البيت، ولا تنسي يا أماه ما كنت ترددونه دائماً «كل المصائب تهون عند مصيبة كربلاء» وأسال الله تعالى أن يغفر لي ذنوبي ويكفّر عنّي سيئاتي وأن لا يفضحني على رؤوس الأشهاد وأن يرزقني شفاعة محمد وآل محمد عليهم السلام.

إلهي والحقني بنور عزم الأبهج فأكون لك عارفاً وعن سواك منحرفاً وأرجو منكم أن تصلوا لي صلاة الوحشة وأن يصوم لي كل أخ يوم هدية وأن يقرأ لي القرآن الكريم والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم وعلى أمل اللقاء بكم في الجنة.

عبد الله المحتاج إلى رحمة الله

هيثم صبحي دبوق

وصية الشهيد الاستشهادي
عبد الله عطوي (الحر العاملي)
والتي تلاها عبر شريط فيديو

«أنا العبد الفقير إلى ربي أهدي هذه العملية الاستشهادية وإن شاء الله أكون من الشهداء في ذكرى ولادة الرسول الأعظم (ص) وفي ذكرى أسبوع الوحدة الإسلامية أهدي هذه العملية للإنتفاضة الإسلامية في فلسطين وأحيي المجاهدين الأبطال الذين صنعوا العزة والكرامة للشعب المسلم في فلسطين ولكل المستضعفين في العالم يا فتية الانتفاضة الإسلامية إن الحجارة التي تقاتلون بها العدو الصهيوني هي أقوى من كل سلاح موجود على هذه الأرض يجب ألا ترهبكم أمريكا وإسرائيل من الموت فأنتم عشاق الشهادة».

«إن المقاومة الإسلامية تحيّيكم وتدعمكم وأن حزنكم حزننا وانتصاركم انتصارنا المقاومة الإسلامية معكم من لبنان وأفغانستان وباكستان وكل بقعة في الأرض هي مسلمة إن دماء الشهداء التي تقدمون في هذه الانتفاضة الإسلامية المباركة هي التي ترفع عزتكم وكرامتكم وإن الأسرى الذين هم في داخل المعتقلات صنعوا انتفاضة أخرى فاربك العدو الصهيوني وتقهقر من أصوات هؤلاء وأصوات الشيوخ والنساء والأطفال والتكبيرات».

السلام عليك أيتها الانتفاضة الإسلامية في فلسطين إننا باقون معكم حتى النهاية.

يا أحبائي إذا كانت الحال الإسلامية في سلام عند ذلك يكون الإسلام بسلام وإذا كان في خطر فالإسلام في خطر.

أعزائي وإن المؤامرات اليوم تحاك ضد الإسلام في كل العالم وضد كل الأصوليين المسلمين الموجودين في كل الأرض حدقوا جيداً وانتبهوا إلى العدو الأساسي وركزوا ووجهوا ضرباتكم إليه وهو إسرائيل وأميركا.

أخواني المجاهدين استمدوا ثورتكم من الجمهورية الإسلامية في إيران وقائدها الإمام الخميني العظيم فهي النجاة من نير الاضطهاد والاستكبار العالمي وهي التي استمدت ثورها من الإمام الحسين(ع) وأعطت الثورة لكل العالم في لبنان وأفغانستان وباكستان ومصر وفلسطين وتونس.

يا إخواني المجاهدين تذكروا إخوانكم المعتقلين الأسرى في سجون العدو لا تنسوا هؤلاء ودائماً دائماً تذكروا الأمانة التي هي في أعناقكم دماء الشهداء فلا تنسوا دماء إخوانكم هؤلاء الذين استشهدوا من أجل سلامة الإسلام وسلامة المستضعفين في العالم.

إخواني مهما كثر البلاء والمصائب يجب عليكم أن تصبروا فالله يمتحننا ويبتلينا فالإنسان المؤمن المجاهد هو الذي يبقى ولا يسقط أمام الإمتحان والمصائب فيجب عليكم ألا تسقطوا أمام المصائب والابتلاء.

أحد العلماء أن المؤمن إذ لم يبتل في أربعين يوماً فليراجع إيمانه فأطلب منكم أن تصبروا على البلاء فنحن نعيش في حالة صعبة ويجب عليكم أن تكملوا المسيرة مهما كلفت فالشهداء الذين استشهدوا من أجل الإسلام أمانة في أعناقكم فلا تنسوهم.

يا إخواني يجب علينا أن نجهز أنفسنا لكي نقف في وجه الاستعمار أميركا وإسرائيل وفرنسا وكل الذين يحاربون الإسلام ويقفون ضده علينا أن نقف وقفة عز وشرف فكل مصائبنا من أميركا وإسرائيل.

تذكروا يا إخواني أن أرضنا سليبة أن القدس تريد الأجيال مع أجيال

تذكروا هذه الأرض والانتفاضة لا تنسوا الأرض المحتلة من قبل إسرائيل وعملائها وأعود لأوصيكم بالصبر فأنتم الشهداء الأحياء.

إن المقاومة الإسلامية ما زالت موجودة باقية بإذن الله تعالى فيا إخواني المجاهدين أريد منكم أن تصبروا على السراء والضراء ولا تنسوا دعاءكم للإمام الخميني حفظه الله ولإخوانكم في بقاع الأرض ولا تنسوا دعمكم للإنتفاضة ولا تنسوا إخوانكم المسلمين في كل الأرض.

ويخاطب والدته قائلاً: عندما تسمعي هذه الكلمات تذكري السيدة فاطمة (ع) عندما ذبح ولدها الحسين (ع).

يا أماه السيدة زينب (ع) التي استشهد أولادها لم تسأل عنهم وسألت عن أخيها.

سامحيني يا أمي عندما تسمعي بشهادتي تذكري كيف استشهد الطفل الرضيع وكيف وقفت السيدة زينب (ع) في مجلس يزيد فهذا الطريق دلنا عليه الإمام الحسين (ع).

وطلب إليها لا أسامحك أن تزعلي الإخوان الذين كنت وإياهم ولا تحزني علي عندما تسمعين نبأ الشهادة بل اقرأي القرآن والفاتحة عن روحي.

أمي الإسلام أمرني فيما أقوم به لنصرة المستضعفين والناس الفقراء فلا تقولي كيف ذهب فالإنسان عندما تأتي منيته لا بد أن يموت وإنشاء الله أكون من الشهداء لا أدري ماذا أقول لك لكن فكروا كيف تخدمون الإسلام فالذين يقاومون يرفعون رأسكم عالياً.

يا أمي إننا نقدم في سبيل الدين وهذه الأفكار التي يحاولون زرعها في رؤوسكم لا تضعوها في بالكم فالمقاومة على حق والعملاء يريدون تحريضكم عليها ونحن نعمل لخدمة المستضعفين الذين تعمل أميركا وإسرائيل لتجويعهم.

أمي سامحيني لأني كنت بعيداً عنك وإذا سمعت بشهادتي افرحي وانذريني للسيدة فاطمة الزهراء (ع) ولأبي عبد الله (ع) وللسيدة زينب (ع).

أماه السيدة زينب قدمت أربعة من أولادها شهداء لكنها ركضت باتجاه الإمام الحسين (ع) وضمته إلى صدرها ورفعته وقالت اللهم تقبل منا هذا القربان.

فيا أمي أتمنى عندما تسمعي بشهادتي أن تقفي وتقولي اللهم تقبل منا هذا القربان.

يا أمي خلقنا لنكون فداء الإسلام ولكل المسلمين خاصة الحالة الإسلامية في لبنان فهي التي ستنقذكم وباقي الفئات تخدعكم.

يا أمي عندما تسمعي نبأ شهادتي زوري الناس الذي كنت وإياهم سترين عندهم الإسلام والتواضع والحنان.

صحيح كنت بعيداً عنك يا أمي وذلك للظروف القاسية ومن حرقتي عليك فسامحيني وانذريني للسيدة فاطمة الزهراء (ع) فإنشاء الله أكون من الشهداء.

ويوصي والده قائلاً: أبي العزيز أريد أن أتكلم معك هذه الكلمات وأنا مجروح والدي اخترت هذا الطريق لأنه طريق الإسلام والأئمة (ع).

صحيح كنت بعيداً عنك كثيراً ولم أرك فأكلمك بهذه الكلمات وأتمنى من الله سبحانه وتعالى أن يهدينا ويهديكم جميعاً وهذه المسائل التي تعيش وتفكر بها لن تنتج سوى الهلاك والدمار.

وسواد الوجه أمام الله فلماذا اتبعت هذا الطريق الذي يوصل إلى غضب الله فادعوا الله أن يهديك إلى طريق الإسلام وأنت تعرفه لكنك تسير في طريق نهايته نار جهنم فلا أدري بأي لهجة أكلمك يا ابي لكن الله كتب على نفسه الرحمة فإذا تاب الإنسان فإن الله تواب رحيم.

يا أبي أتمنى أن تقعد في البيت وترى كيف يجب أن تخدم الإسلام فالناس الذين تسير معهم وتسلم عليهم حرام فالفتوى تعرفها السلام عليهم حرام.

يا أبي أقعد في البيت وراجع حساباتك وانظر إلى أين أنت ذاهب فالإنسان تغره الدنيا لكن في النهاية سيموت فالله غاضب على العدو فكيف تحكي معه وتسلم عليه.

يا أبي راجع حساباتك وأنظر كيف ستخدم الإسلام واقعد بين الفقراء الذين بحاجة إلى العطف فأنت كنت تتحدث عن المقاومة، المقاومة هي خط الأنبياء والرسل وهي ترفعك من الحضيض، المقاومة هي كل شيء.

وإذا كنت لا تريد أن تخدم الإسلام فاقعد في البيت وصل وتذكر القرآن فأنت تعبد الله وتصلي وتصوم لكن أتمنى عليك أن تلزم البيت فالذين تسير معهم خراب لبيتك واليهود غضب الله عليهم.

سامحني لأني من زمان لم أرك وإنشاء الله يتوب عليك وإذا أتى الكفار في بيتك فجر نفسك بهم وتفدي بذلك الإسلام.

فإنشاء الله أكون شهيداً فتذكر الإمام الحسين (ع) والإمام علي (ع) والأئمة (ع) كيف عاشوا مظلومين فكم ستعيش فكن مبرأ الذمة والنفس أمام الله وانذرني يا ابي لأبي عبد الله الحسين (ع).

ويختم مخاطباً أقاربه وأصدقائه: أكيد ستتأثرون علي عندما تسمعون بنبأ شهادتي فلا يهمني أن تبكوا علي والذي يهمني إذا كنتم تحبونني أن تسيروا على الخط الذي سرت عليه خط الحسين (ع) الذي سار عليه الشهداء وغير مسامحين أن تلبسوا علي السواد بل البسوا أحسن الثياب التي عندكم.

وصية الشهيد الاستشهادي الشيخ أسعد برو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

صدق الله العظيم

. . يمضي تاسع، عشرة صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إلى سبيل ربه، فبعد محمد حسونة مضى عاصي ومحمود وبعدهما مضى المفتي وبعده مضى أحمد ثم جواد والسيد حسن وحسن الحاج والآن جاء دور التّاسع ليرحل عنكم فلقد قبلني الله إليه فله الحمد على هذه النعمة.

إني أتحسر لأني لست معكم . . وأنتم تعلمون أنني من طينة هؤلاء الثمانية لا أتقاعس ولا أجبن ولكن الظروف دائماً تكون أقسى مني فليقبل عذري الجميع لأنني أحبكم فرداً فرداً، بقدر ما كنت أكره أصحاب النفوس المريضة لأنني لا أعرفهم والله سيفضحهم. نحن كأمة حزب الله في لبنان نرى لزاماً علينا أن نكون من البادئين الأوائل في تقديم الهدايا وأول هدية سنقدمها هي هذه العلمية التي ستقوم بها المقاومة الإسلامية ضد الغدة السرطانية «إسرائيل»

التي قال عنها الإمام الخميني (قده) أنها جرثومة الفساد في وسط بلاد المسلمين.

حافظوا على استمرارية المقاومة الإسلامية في جهادها ضد إسرائيل واصبروا في تلك التلال والثغور التي حملت دماء الشهداء وارتوت بريِّها وثابروا على هذا الخط الجهادي الطويل طريق ذات الشوكة ولا تتقاعسوا عن قتال إسرائيل. وستكونون حاملين لهذه الأمانة إن شاء الله يوم القيامة محافظين عليها.

أوصي الشباب المؤمن في بلدنا العزيز الذي حاول أذناب إسرائيل التسلُّط على رقاب أبنائه الاجتهاد بتحصيل العلوم الإلهية لكي يُخرِجوا الناس من الظلمات إلى النور ولكي لا تجتمع عليهم الفتن وتلتبس الأمور ويتكالب الزمان على المؤمنين. كونوا المخلصين لدماء الشهداء بالعمل على قتال كل الظالمين أينما وُجِدوا . .

كما وأوصي أهلي المؤمنين أن يتركوا أبناءهم لينطلقوا في خدمة الإسلام وأن يكونوا في الصف الجهادي الأول ضد إسرائيل وأن يحتضنوا المقاومة الإسلامية ويدافعوا عنها وليميِّزوا بين من يتاجر باسم المقاومة وبين من يقاتل ويقاوم فعلاً وحقاً وصدقاً، فليدعوا الجهاد لأبنائهم لأن الإمام الحسين (ع) ضحى بأبنائه وإخوانه وأصحابه ولما لم يجد أحد بعدهم ضحى بنفسه . .

فكونوا مقتدين به لتحرروا رقاب المسلمين من نير الفساد والظلم والإلحاد ولتُربُّوا ابناءكم على خدمة الإسلام والحفاظ عليه والجهاد في سبيل الله الذي خلقنا لطاعته حيث قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، إن الله يمدُ المسلمين الصابرين بالقوة والثقة بشرط أن يخطو الإنسان الخطوة الأولى في درب الجهاد. على الأهل الأعزاء أن يدركوا حقيقة الحفاظ على المقاومة الإسلامية في هذا البلد الذي يجاور فلسطين المحتلة من اليهود الغاصبين.

لا صلح، لا اعتراف، لا مساومة، إنطلق حرباً حرباً حتى النصر زحفاً زحفاً نحو القدس.

أبي الحنون:

طالما سألتني عن عملي سنوات وسنوات الآن أجيبك: «عملي هو تكليفي في المقاومة الإسلامية وقتال إسرائيل سراً وعلانية، لطالما سعيت لقتالها الليالي والأيام ولكن التحدث عن الجهاد يضيق بالنفس ويذهب بالأجر ويجعل مجالاً للشيطان أن يتحرك في النفس فأحببت أن يكون هذا العمل سراً حتى يوم استشهادي».

أسأل الله تعالى أن يتقبل منك هذا القربان وأن تدرب إخوتي الباقين على السير في هذا الخط الجهادي وأن تقدم الواحد تلو الآخر فأولادك كثر وما أظنك تريدهم أن يموتوا على فراشهم.

الإمام علي (ع) كان يقول: «لألف ضربة بالسيف أحب إليّ من ميتة على فراش» دعهم منطلقين ليجاهدوا ويستشهدوا في سبيل الله، الشهادة فخر وسوف تعتز بها عند الإمام الحسين (ع) يوم القيامة.

أمي الحنونة:

يا من سهرت الليالي الطوال حرصاً على تربيتي فتى مسلماً، مجاهداً في سبيل الله، أسأل الله تعالى أن يوفّيك أجر الصابرين يوم القيامة. ولك الفخر عند سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع)، بأن قدمت إبنك شهيداً ناصراً لعزيزها الإمام الحسين (ع) في أفخر مراتب الجهاد في جبل عامل ضد أحقر بني البشر قوم إسرائيل اليهود الذين استعمروا بلاد المسلمين. ستقدمينني غداً وعليك بعد الغد أن تقدمي الآخر والآخر، فغداً ستلقين ربك وكل الناس سيلقونه وافضلهم من يلقاه بقلب مطمئن بالإيمان والعمل الصالح والجهاد في سبيله . .

أخوتي الأعزاء:

. . أوصيكم أن تبتعدوا عن اتباع الشهوات والتطلُّع إلى زينة الحياة الدنيا فإن كنتم ترغبون في لقاء الله فحرّروا أنفسهم من الشهوات وحب الذات

والأنانية وانطلقوا في رحاب الله والجهاد في سبيله على خط الولي الفقيه الذي سار على درب القائد الأعلى الإمام الخميني العظيم (قده) الذي رسم لنا طريق الجهاد وعلَّمنا التحرّك مطمئنين لأنه قال: «تحرّكوا بثقة وكونوا مطمئنين بأن مركز القدرة الذي هو الله تعالى قد أحاطكم بعنايته فانطلقوا للعمل في سبيل الله على هذا الأساس ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ب وطهروا أنفسكم من كل الأوهام الشيطانية التي يحكيها إبليس وجنوده من الجن والإنس من شياطين هذا العصر وجنوده».

أخواتي العزيزات:

أسال الله تعالى أن يمنّ بالستر والعفاف عليكن وعلى جميع المؤمنين والمؤمنات حافظن على صلواتكن وقُرن في بيتِكُنَّ، فكالما عرفتكنّ عفيفات نقيات، أسأل الله تعالة أن يثبتكن على الدين والعفاف والإلتزام بالله وبالخط الذي رسمه لنا الرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (ع).

زوجتي العزيزة:

لقد منّ الله علي بالرحيل قبلك فهذه منّة يمنّ الله على من يشاء من عباده.

كوني صابرة مجاهدة في تربية عيالك، لدينا طفلة إسمها فاطمة والله العالم بالقادم الجديد، أسأل الله تعالى أن يعينك على تربيتهم تربية صالحة ملتزمة فلقد كنت الزوجة الصالحة التقية العفيفة الطاهرة الملتزمة بالإسلام المحمدي الأصيل وبالجهاد في سبيل الله، إصبري حتى نرد الحوض ونشرب منه سوياً من كأس علي بن أبي طالب (ع).

وأخيراً سأغيب إلى وقت يعلمه الله ولكنه سيجمعنا عن قريب. فأرجو المسامحة من الجميع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم أسعد برو

وصية الشهيد الاستشهادي
صلاح محمد علي غندور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

صدق الله العظيم

أنا صلاح محمد غندور المعروف بـ «ملاك» أسأل الله أن يوفقني إلى لقاء سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (ع) هذا الإمام العظيم الذي علّم جميع الأحرار كيف ينتقمون من ظالميهم. إنني إن شاء الله بعد قليل من هذه الكلمات سوف ألقى الله معتزاً مفتخراً منتقماً لديني ولجميع الشهداء الذين سبقوني على هذا الطريق، بعد قليل سوف أثأر لجميع الشهداء المظلومين والمستضعفين من أبناء جبل عامل وابناء الانتفاضة في فلسطين المغتصبة، سوف أنتقم لجميع المعذبين في الشريط المحتل المعذب.

إنني إن شاء الله مجاهد من مجاهدي المقاومة الإسلامية، تلك المقاومة العظيمة التي لم ترهبها طائرات العدو ولا دباباته وكل الأسلحة التي يمتلكونها ولا كل الدعم الذي يتلقونه من دول الكفر جميعاً، سوف يكون لقائي القادم درساً جديداً، درساً كربلائياً ويكون فخراً للمسلمين ناراً ووبالاً على هذا العدو المتغطرس الذي كُسِرت هيبته على أيدي إخواني المجاهدين من قبلي، الذي

كسرت هيبته على أيدي الشهداء أحمد قصير والحر وابو زينب وهيثم دبوق والشيخ برو وجميع الشهداء الذين قاتلوا هذا العدو الذي حطم الإسلام هيبته على أيدي إخواني الشهداء الاستشهاديين وغير الاستشهاديين.

إخواني المجاهدين، فليكن معلومكم علم اليقين أننا إن شاء الله بكل تأكيد منتصرون وهذا لا شك فيه ما دمنا نعمل لله ونعرف لله ونشهد لله فإن الله لا شك منجز وعده وناصر عبده وإنه لا شك معزّ المؤمنين، ومذلّ الكافرين وهذا على أيديكم يا ابطال المقاومة الإسلامية، يا ابناء علي (ع) والحسين (ع) يا أبناء الإمام الخميني العظيم (قده)، يا ابناء القائد الخامنئي وأبناء الشهيد السيد عباس الموسوي والشيخ راغب حرب فإن جهادكم إن شاء الله هو الجهاد الممهّد لدولة صاحب العصر والزمان (عج) فلنستمر حتى تحقيق الهدف المنشود في تحقيق الرضا الإلهي الكامل حتى نصل إلى الوعد الإلهي.

(إنا لله وإنا إليه راجعون)

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

صلاح محمد علي غندور

وصيّة الشهيد الاستشهادي علي أشمر

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على سيدي ومولاي سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) وعلى أخيه أبي الفضل العباس (ع)، السلام على سيدي ومولاي صاحب العصر والزمان الإمام المهدي المنتظر (عج)، السلام على باعث نهضة المسلمين ومفجّر الثورة الإسلامية المباركة الإمام الخميني العظيم »رض«، السلام على قائد الأمة الإسلامية وليّ أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله)، السلام على سيد شهداء المقاومة الإسلامية وشيخ شهدائها (رض)، السلام على القائد سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله (دام ظله)، السلام على المقاومين المجاهدين فوارس المقاومة الإسلامية البواسل ورحمة الله وبركاته.

سيدي يا أبا عبد اللّه، لقد عاهدت الله تعالى وعاهدتكم على أن أمضي في سبيل الله حاملاً دمي على كفي، مازجه بدماء عاملة كما امتزجت دماؤكم بتراب كربلاء المقدسة، وها أنا اليوم أفي لكم بعهدي الذي قطعته على نفسي.

سيدي يا صاحب الزمان، كم كنت أتمنى أن تكون شهادتي بين يديك المباركتين، ولكن طول عيبتكم وشوقي إلى سادتي وموالي آبائك البررة حال دون انتظاري أكثر من هذه المدة، فأسأل الله أن يعطيني بشهادتي هذه أجر شهادة بين يديك المباركتين.

إخوتي الأعزاء فوارس المقاومة الإسلامية البواسل:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ صدق الله العظيم. أذكركم يا أخوتي ببعض ما هو أساسي في خطنا هذا، إن طريقنا الجهادي هذا طريق شاق وطويل ومليء بالمصاعب والابتلاءات ولذلك فاعملوا على بناء روحيات عالية وطيبة، نازعين من صدوركم كل الأدران، والحجب التي تبعد الإنسان عن ربه، وكما أوصاكم إخوتي الشهداء من قبلي، تمسكوا بهذا الخط وهذا النهج نهج المقاومة، لأنه طريق اختصنا الله به دون غيرنا، فعلينا أن لا نضيع الفرصة من ايدينا، وأهم من ذلك أن لا نضيع دماء الشهداء ونحفظ أماناتهم التي أودعوها عندنا.

التزموا بأوامر القيادة المباركة وأوامر قادمة المقاومة الإسلامية، التزموا إرشادات سماحة القائد الخامنئي المفدى (دام ظله) والأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله أدامه المولى.

اجعلوا صور الشهداء على مر العصور أمام أعينكم، واسعوا إلى تحقيق الأهداف التي استشهدوا من أجلها والبقاء على خطهم المبارك.

واقرأوا وادرسوا واعملوا بوصية أمير المؤمنين (ع) لولديه الحسن والحسين (ع)، فهي منهاج لحياة أرادها الله تعالى، وكذلك وصية الإمام الخميني (قده) وإرشاداته المباركة.

اجعلوا الوضوء قبل المشاركة في المعركة ضرورياً كحملكم للسلام، لأن اليد التي تتوضأ وتقاتل لا يمكن أن تهزم.

إلى أهلي الأعزاء الصامدين في الشريط الحدودي المحتل، بقد قليل من هذه الكلمات إن شاء الله سيصبح جسدي ناراً تحرق المحتل الصهيوني الذي يمعن كل يوم وكل لحظة في تعذيبكم، ويظن أنه يذلكم. ولكن هيهات فنهايته إن شاء الله قريبة على أيدي مجاهدي المقاومة الإسلامية.

اعلموا يا أهلي الأعزاء أن الاحتلال سيزول، وأنتم في ضميري وعقلي وقلبي، وإن شاء الله النصر قريب والتحرير آت، والصهاينة وعملاؤها مصيرهم القتل والزوال.

إلى إخواني وأخواتي الصابرين في معتقلات الاحتلال في الشريط الحدودي المحتل وفي فلسطين المحتلة، سلام من الله عليكم، أسأل الله أن يمنّ عليكم بالحرية، وإنني أهديكم هذا العمل المتواضع تعبيراً عن إحساسي معكم يا أيها الصابرون، فأرجوا أن تتقبلوا هديتي، وإن شاء الله سأثأر لكم ولعذاباتكم طوال هذه السنين التي قضيتموها في زنازين التعذيب وفي المعتقلات.

قلوبنا معكم ولن ننساكم، فأنتم ضمير هذه الأمة وكرامتها.

السلام على شهداء الانتفاضة في فلسطين المحتلة، السلام على أطفال الحجارة الأباة، السلام على مجاهدي الانتفاضة الإسلامية المباركة، السلام على أمهات الشهداء وآبائهم، السلام على الأرض المباركة، السلام على القدس الشريف، إنني أرى جموع المسلمين بإمامة الحجة المنتظر(عج) تصلّي في المسجد الأقصى.

إخوتي في الانتفاضة الإسلامية، إليكم أيضاً أهدي هذا العمل، وإن شاء الله النصر قريب، هذا ما وعدنا الله به، عليكم أن توقنوا أن العدو الصهيوني إلى زوال، وأن الأرض المقدسة ستعود إليكم حتماً، وأن هذا وعد الهي.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ صدق الله العظيم.

أهلي الأعزاء أسأل الله لكم الصبر والسلوان وأن لا تحزنوا لشهادتي ولا تقبلوا من أحد أن يعزيكم، بل تقبلوا التهاني، واعملوا على أن يكون يوم شهادتي يوم فرح وسرور، علّموا إخوتي الصغار وابناء إخوتي أن يمضوا على ما

مضيت عليه، وعرفوهم لماذا استشهدت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ صدق الله العظيم.

أخوكم علي أشمر

وصية الشهيد الاستشهادي
عمار حسين حمود وهي بخط يده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الله جل جلاله ربي

والإسلام ديني

والقرآن كتابي

والكعبة قبلتي

ومحمد صلى الله عليه وآله نبيي

وعلي بن أبي طالب (ع) إمامي.

والحسن بن علي (ع) المجتبى إمامي.

والحسين بن علي (ع) زين العابدين إمامي.

ومحمد بن علي الباقر (ع) إمامي.

وجعفر بن محمد الصادق (ع) إمامي.

وموسى بن جعفر الكاظم (ع) إمامي.

وعلي بن موسى الرضا (ع) إمامي.

ومحمد بن علي الجواد (ع) إمامي.

وعلي بن محمد الهادي (ع) إمامي.

والحسن بن علي العسكري (ع) إمامي.

ومحمد بن الحسن صاحب العصر والزمان إمامي.

هؤلاء أئمتي أئمة الهدى ومصابيح الدجى بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ وفيهم أرجو الشفاعة يوم الورد المورود.

اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إني أعهد إليك أني أتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأن الحساب حق وأن الجنة حق وأن ما وعد فيها من النعيم من المأكل والمشرب والنكاح حق وأن النار حق وأن الإيمان حق وأن الدين كما وصف وأن الإسلام كما شرع وأن القول كما قال وأن القرآن كما أنزل وأن الله هو الحق المبين، وأني أعهد إليك في دار الدنيا أني رضيت بك رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً، وبعلي ولياً، وبالقرآن كتاباً، وأن أهل بيت نبيك عليه وعليهم السلام أئمتي، اللهم أنت ثقتي عند شدتي، ورجائي عند كربتي، وعدتي عند الأمور التي تنزل بي وأنت وليي في نعمتي وإلهي وإله آبائي، صلى الله على محمد وآله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً وآنس في قبري وحشتي واجعل لي عندك عهداً يوم ألقاك منشوراً.

وصيتي إلى إخواني المجاهدين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين سيدنا وحبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا يوم القيامة أبي القاسم محمد بن عبد اللّه وعلى آله الطيبين

الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين منذ آدم إلى قيام يوم الدين. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأشهد أن الخلافة لعلي بن أبي طالب (ع) وللمعصومين من نبيه (ع) أجمعين.

السلام على سيدي ومولاي سيد الشهداء الإمام الحسين وعلى أخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام.

السلام على سيدي ومولاي صاحب العصر والزمان الإمام المهدي المنتظر (عج) وأرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

السلام على باعث نهضة المسلمين مفجر الثورة المباركة الإمام الخميني العظيم (ع) الذي لولاك يا سيدي ما كنا قد وصلنا إلى هذا المستوى.

السلام على آية الله الخامنئي دام ظله أيها القائد العظيم.

السلام على سيد شهداء المقاومة الإسلامية وشيخ شهدائها رضوان الله عليكما.

السلام على القائد الحجة السيد حسن نصر اللّه دام ظله أيها المجاهد الشهيد أيها الجريح الأسير سدد الله خطاك.

السلام على فوارس المقاومة الإسلامية البواسل الذين تلقنون عدو الله وعدوكم درساً لن ينسوه أبداً.

أخوتي...

عليكم أن تعلموا بأن طريقنا طريق ذات الشوكة، طويل وشاق يحتاج إلى الكثير من التضحيات، فلذلك وطنوا أنفسكم على تحمل الابتلاءات والمصاعب وكونوا في جهادكم صفاً متماسكاً كأنكم بنيان مرصوص.

أخوتي...

إن الزمر الشيطانية وخصوصاً أمريكا وإسرائيل وأذنابهما يتربصان الدوائر بهذه المسيرة الحسينية فإياكم أن تمنحوهم فرصة الانقضاض عليها.

كونوا دائماً في طليعة المجاهدين والعاملين في هذا الخط خط المقاومة الإسلامية خط الشهداء خط أبي عبد اللّه الحسين (ع) وحطموا رؤوس النفاق بقبضاتكم الثائرة.

أخوتي...

لا تنسوا نهج الإمام الخميني (ع) هذا الإمام الذي أفنى عمره من أجل تحقيق حلم الأنبياء وإن عملي هذا هو هدية متواضعة لإمامي الخميني العظيم وفداءً لنهجه.

أخوتي...

إن شجرة الإسلام لا ترويها إلا دماء الشهداء هذه الدماء حجة باهرة وواضحة على العالم بأسره.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أخوتي في كشافة المهدي (عج)

إن المسؤولية التي تحملونها على جانب كبير من الخطورة.

إن هذه الأجيال التي تخرجونها، هي التي ستصنع مستقبل الأمة، لذلك احرصوا على تربيتها على مبادىء الإسلام المحمدي الأصيل وخط أهل البيت عليهم السلام.

اسعوا دائماً لتحصيل الإخلاص في عملكم لأن العمل الخالص لله تعالى تكون ثماره عظيمة بعين صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء. أثناء تربيتكم للأجيال لا تنسوا أن تبنوا أنفسكم عقائدياً وعملياً لكي تتمكنوا من بناء شخصيات يعتز بها الإسلام.

إن هذا العمل الذي تقومون به يعد جزءاً أساسياً من عملية التمهيد لصاحب الزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء فكونوا على قدر كبير من الوعي لأهمية هذا العمل...

تنبهوا جيداً لدوركم واعلموا أنكم دائماً بعين الله عز وجل فلا تتراجعوا مهما بلغت الصعوبات ولكم الأجر والثواب.

وأخيراً أهدي سلامي إلى كل المجاهدين في سبيل الله وإلى فوجي فوج الإمام المهدي (عج). هذا الفوج الذي كان بدء بالنسبة لي كالأب والأم والعائلة. هذا الفوج الذي أوصلني إلى ما أنا عليه. هذا الفوج الذي قام بتربيتي ومساعدتي على نفسي. هذا الفوج الذي خرج كثير من الشهداء وسوف يخرج كثير إنشاء الله.

إلى الأخوة العاملين في هذا الفوج:

سلام من الله عليكم ووفقكم الله ودمتم ذخراً للإسلام وسدد خطاكم وجعل عملكم بعين صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

أوصيكم بأنني أريد أن أدفن بثيابي من دون غسل... إذا لم أدرك حي. وإذا كان الغسل واجباً فإن الذي سيتولى بتغسيلي وتكفيني هو السيد عمار شرف الدين فقط. يا أيها المجاهد سلام من الله عليك أتمنى بأن تقبل هذه المهمة. وسأطلب أيضاً بأن تضعني في قبري ملفوفاً بعماقك الطاهرة وذلك فوق بذلتي التي أستشهد بها.

وأفضل أن يكون قبري إذا كان لي جسد قرب الشهداء وبأن ينزلني في قبري السيد عمار بمساعدة الأخوة: أبو الفضل قرنبش والذي يصلي علي إما سماحة السيد حسن نصر اللّه (حفظه المولى وسدد خطاه) أو سماحة السيد عمار (حفظه الله).

أخي وصديقي ورفيقي وحبيبي وقلبي الأخ أسامة هو يكون منفذ... إذا ما زال حياً.

أما بالنسبة إلى التشييع فأريد أن يحملني أخوتي ورفاقي وأحبائي الذين ذكرت أسماءهم وبأن يسمح للجميع في المشاركة بالتشييع... ولو أدى ذلك إلى التأخير في عملية الدفن. وغير مسامح من يعمل بخلاف هذه الوصية من

عمل اجتماعي لمؤسسة شهيد، لقطاع بيروت، للأمانة العامة مهما كانت المسؤولية فإني غير مسامح إذا عملتم بخلاف هذه الوصية.

أما بالنسبة للمنزل فأريده أن يكون مملوءاً بالورود حتى يظهر وكأنه يوجد عرس وأتمنى بعدم ارتداء الأسود لأيٍ كان.

أوصيكم بإقامة مجالس العزاء قدر المستطاع... منها وبأن تتصدقوا عن روحي وبإقامة مجالس لقراءة القرآن أيضاً والإكثار من تلاوته. واطلبوا لي المسامحة من جميع الأصدقاء الذين عرفوني والاستغفار لي. وأتمنى بأن يقوم أحد بالزيارة عني وبالحج أيضاً.

أما بالنسبة للصلاة والصوم فأرجو منكم بأن تقضوا عني من الصلاة حوالي سنة ومن الصوم ستة أشهر ولكم الأجر.

بالنسبة للساعة تعطى لأسامة والخاتم للسيد نصر اللّه.

الحقير الملوث قلبه بالذنوب والمعاصي.

السيد عمار حسين حمود (السيد كاظم)

في 12 رمضان الموافق 20/ 12/ 1999

بسم الله الرحمن الرحيم ١٤/ ٩/ ٦

الله جل جلاله ربي

والإسلام ديني

والقرآن كتابي

والكعبة قبلتي

ومحمد صلى الله عليه وآله نبيي

وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) إمامي

والحسن بن علي (عليه السلام) المجتبى إمامي

والحسين بن علي (عليه السلام) الشهيد إمامي

وعلي بن الحسين (عليه السلام) زين العابدين إمامي

ومحمد بن علي الباقر (عليه السلام) إمامي

وجعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) إمامي

وموسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) إمامي

وعلي بن موسى الرضا (عليه السلام) إمامي

ومحمد بن علي الجواد (عليه السلام) إمامي

وعلي بن محمد الهادي (عليه السلام) إمامي

والحسن بن علي العسكري (عليه السلام) إمامي

ومحمد بن الحسن صاحب العصر والزمان إمامي

هؤلاء أئمتي أئمة الهدى ومصابيح الدجى بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ ومنهم أرجو الشفاعة يوم الورود المورود.

اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إني أعهد إليك أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأن الحساب حق وأن الجنة حق وأن ما وعد فيها من النعيم من المأكل والمشرب والنكاح حق وأن النار حق وأن الإيمان حق وأن الدين كما وصف

السلام على خليفة الله الخامنئي دام ظله أيها القائد العظيم
السلام على سيد شهداء المقاومة الإسلامية وشيخ شهدائها
رضوان الله عليكما
السلام على القائد الكبير السيد حسن نصر الله دام ظله أيها المجاهد
الشهيد الحي الأمين سدد الله خطاك.
السلام على شهداء الإسلام الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.
السلام على قوافل المقاومة الإسلامية البواسل الذين تلقفوا
[illegible] الله [illegible] لن ننساه أبداً.
أخوتي...
عليكم أن تعلموا بأن طريقنا طريق ذات الشوكة طويل وشاق
يحتاج إلى الكثير من التضحيات من أجل ذلك وطنوا أنفسكم على تحمل
الابتلاءات والمصائب وكونوا في جهادكم صفاً متماسكاً كأنكم
بنيان مرصوص.
أخوتي...
إن القوى الشيطانية وخصوصاً أمريكا وإسرائيل وأذنابهما يتربصون
الدوائر بهذه المسيرة الحسينية فإياكم أن تسمحوا لهم بأن ينتصروا
عليها.
كونوا دائماً في طليعة المجاهدين والعاملين في هذا الخط خط المقاومة
الإسلامية خط الشهداء خط أبي عبد الله الحسين عليه السلام
واحفظوا [illegible] المقاومة بقبضاتكم الثائرة...
أخوتي...
لا تنسوا نهج الإمام الخميني عليه السلام هذا الإمام الذي أفنى
عمره من أجل تحقيق حلم الأنبياء [illegible] هذا [illegible]
بدماء الشهيد العظيم [illegible].
أخوتي...
إن مسيرة الإسلام لا [illegible] إلا [illegible] الشهداء [illegible] هذه الدماء
[illegible] بأجمعه [illegible] على العالم بأسره.
[illegible] فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين صدق.

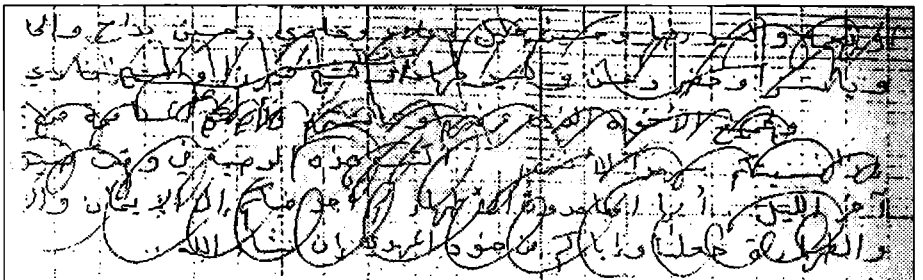

[illegible]

أوصيكم يا بني أريد أن أدفن بثيابي من دون غسل ولا
إذا لم أدرك حياً. وإذا كان الغسل واجباً فإن الذي سيتولى
تغسيلي وتكفيني هو السيد عمار شرف الدين فقط يا أيها المجاهد ال
بلزوم من الله عليك أتمنى بأن تقبل هذه المهمة. وأنا أطلب
أيضاً بأن تضعني في قبري ملفوفاً بعلمنا تلك الطاهرة وذلك هو
بدلتي التي أستشهد بها.

والأفضل أن يكون قبري إذا كان لي جسد قرب الشهداء وعلى أن
ينزلني في قبري السيد عمار بمساعدة الأخوة: أبو الفضل قرنبش وأ
والذي يصلي علي إماماً سماحة السيد حسن نصر الله (حفظه المولى وسدد خطاه)
سماحة السيد عمار (حفظه الله)
أخي وصديقي ورفيقي وحبيبي وقلبي - الأخ أسامة هو يكون معنا أيضاً
إذا ما زال حياً.

أما بالنسبة إلى التشييع فأريد أن يحملني أخوتي ورفاقي وأحبائي
الذين ذكرت أسماءهم وبأن يسمح للجميع في المشاركة بالتشييع و
ولو أدى ذلك إلى التأخير في عملية الدفن. وغير مسامح من يعمل
بخلاف هذه الوصية من عمل اجتماعي لمؤسسة الشهيد لقطاع
بيروت للأمانة الفاتحة مهما كانت المسؤولية فإني بريء
إذا عملتم بخلاف هذه الوصية.

أما بالنسبة للمنزل: فأريده أن يكون مملوءاً بالورود
رغبة بنظري وكأنه يوجد عرس فأتمنى بعدم ارتداء الأسود
لأي كان؛

أوصيكم بإقامة مجالس العزاء قدر المستطاع والإكثار
منها وبأن تهدوا ثواب روحي وبإقامة مجالس لقراءة القرآن
أيضاً والإكثار من تلاوته. واطلبوا لي المسامحة من جميع
الأصدقاء الذين عرفوني والاستغفار لي. وأتمنى
بأن يقوم أحد بالزيارة عني وبالحج أيضاً.

أما بالنسبة للصلاة والصوم فأرجو منكم بأن تقضوا عني
من الصلاة حوالي سنة ومن الصوم ستة أشهر ولكم الأجر إن شاء الله
بالنسبة للساعة تعطى لأسامة والخاتم للسيد نصر الله.

العبد الفقير المذنب قلبه بالذنوب والمعاصي
السيد عمار حسين حمود ([illegible])
في ١٢ رمضان الموافق ٢٠/١٢/١٩٩٩

[redacted]

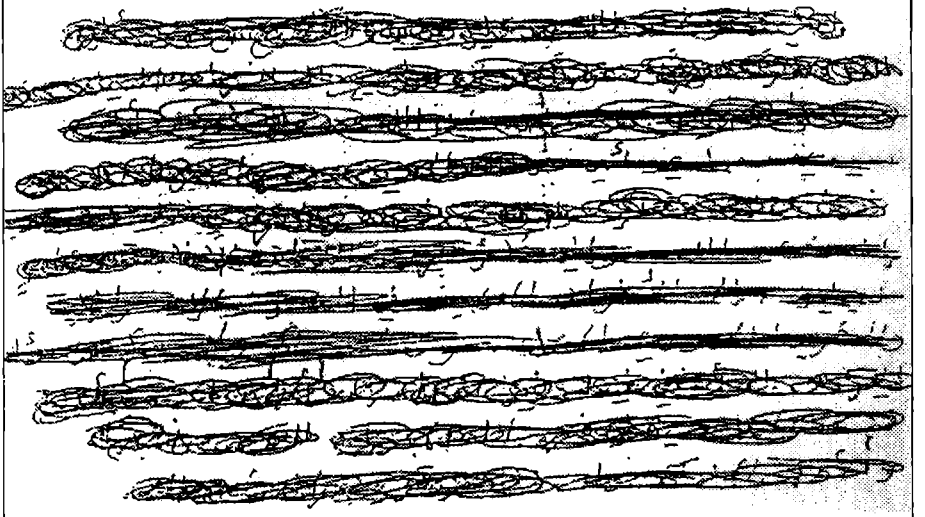

الرسالة المفتوحة للمستضعفيـن

الإهداء:

- إلى المشعل الذي ازداد تألقاً وضياء، فأنار للمستضعفين في لبنان، درب الحياة الحرّة الكريمة، وأحرق بوهج دمائه الطاهرة جبروت الكيان الصهيوني وأسطورته.
- إلى الرائد الذي صدق أهله، فكان قدوة لهم في الجهاد، ولم يبخل عليهم بروحه، حتى قضى شهيداً في سبيل نصرتهم، وشاهداً على ظلم الاستكبار العالمي وغطرسته.
- إلى رمز المقاومة الإسلامية الظافرة، والانتفاضة الرائعة التي لا يزال أهلنا يسطّرون بها أروع ملاحمها الحسينية في الجنوب والبقاع الغربي.
- إلى الذي بدد أحلام أميركا في لبنان، وقاوم الاحتلال الإسرائيلي رافعاً لواء العمل بولاية الفقيه القائد، الذي كان يحلو له دائماً أن يصفه بأمير المسلمين عبد الله الخميني.
- إلى شيخ الشهداء راغب حرب (رضوان الله عليه) نهدي في ذكراه السنوية هذه الرسالة المفتوحة إلى المستضعفين في العالم، مثبتين بين ثنايا سطورها الخط السياسي الإسلامي الثورة الذي جسّده الشهيد السعيد، مع إخوانه

الشهداء، ليكون نهجاً بيّناً ودليلاً واضحاً لكل المجاهدين في لبنان. . سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يفرغ علينا صبراً ويثبّت أقدامنا وينصرنا على القوم الظالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حزب الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾

صدق الله العظيم

من نحن وما هي هويتنا؟

أيها المستضعفون الأحرار:

إننا أبناء أمة حزب الله في لبنان، نحييكم ونخاطب من خلالكم العالم بأسره. شخصيات ومؤسسات، أحزاباً ومنظمات وهيئات سياسية وإنسانية وإعلامية.. ولا نستثني أحداً، لأننا حريصون على أن يسمع صوتنا الجميع. فيفهموا مقالتنا ويستوعبوا طروحاتنا ويتدارسوا مشروعنا.

إننا أبناء أمة حزب الله، نعتبر أنفسنا جزءاً من أمة الإسلام في العالم، التي تواجه أعتى هجمة استكبارية، من الغرب والشرق على السواء، بهدف تفريغها من مضمونها الرسالي الذي أنعم الله به عليها، لتكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وبهدف استلاب خيراتها وثرواتها، واستثمار طاقاتها وكفاءات أبنائها، والسيطرة على شؤونها كافة.

إننا أبناء أمة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم.. نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة، تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً بالإمام المسدّد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني دام ظله.. مفجّر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة.

وعلى هذا الأساس، فنحن في لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً . . بل نحن أمة ترتبط مع المسلمين، في أنحاء العالم كافة، برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام، الذي أكمل الله رسالته على يد خاتم أنبيائه، محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وارتضاه للعالمين ديناً يتعبدون به، إذ قال في القرآن الكريم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

ومن هنا، فإن ما يصيب المسلمين، في أفغانستان أو العراق أو الفلبيين أو غيرها، إنما يصيب جسم أمتنا الإسلامية التي نحن جزء لا يتجزأ منها، ونتحرك لمواجهته انطلاقاً من واجب شرعي أساساً، وفي ضوء تصور سياسي عام تقرره ولاية الفقيه القائد.

أما ثقافتنا، فمنابعها الأساسية، القرآن الكريم، والسنة المعصومة، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا . . وهي واضحة غير معقدة، وميسّرة للجميع دون استثناء، ولا تحتاج إلى تنظير أو فلسفة، بل جلّ ما تحتاجه هو الإلتزام والتطبيق.

وأما قدرتنا العسكرية، فلا يتخيلن أحد حجمها، إذ ليس لدينا جهاز عسكري منفصل عن بقية أطراف جسمنا، بل إن كل واحد منا هو جندي مقاتل، حين يدعو داعي الجهاد، وكل واحد منا يتولى مهمته في المعركة، وفقاً لتكليفه الشرعي، في إطار العمل بولاية الفقيه القائد. . والله هو من ورائنا، يؤيدنا برعايته ويلقي الرعب في قلوب أعدائنا، وينصرنا عليهم بنصره العزيز المؤزر.

العالم المستكبر متفق على حربنا

أيها المستضعفون الأحرار:

إن دول العالم المستكبر الظالم، في الغرب والشرق، قد اجتمعت على محاربتنا وراح حكامها يحرضون عملاءهم ضدنا، يحاولون تشويه سمعتنا وافتراء الأكاذيب علينا. . في محاولة خبيثة للفصل بيننا وبين المستضعفين

الطيبين، وفي سعي حثيث لتقزيم ومسخ الإنجازات المهمة والكبرى، على مستوى مواجهتنا لأميركا وحلفائها . .

لقد حاولت أميركا، عبر عملائها المحليين، أن توحي للناس بأن من قضى على غطرستها في لبنان، وأخرجها ذليلة خائبة، وسحق مؤامرتها على المستضعفين في هذه البلاد هم ليسوا إلا حفنة من المتعصبين الإرهابيين، الذي لا شأن لهم إلاّ تفجير محلات الخمور والقمار وآلات اللهو وغير ذلك.

ولكن كنا على يقين بأن مثل هذه الإيحاءات لن تخدع أمتنا، لأن العالم بأسره يعلم أن من يفكر بمواجهة أميركا والاستكبار العالمي، لا يلجأ إلى مثل هذه الأعمال الهامشية، التي تشغله بالذيل عن الرأس . .

أميركا وراء كل مصائبنا

إننا متوجهون لمحاربة المنكر من جذوره . . وأول جذور المنكر أميركا . . ولن تنفع كل المحاولات لجرّنا إلى ممارسات هامشية، إذا ما قيست بالمواجهة مع أميركا . .

فالإمام الخميني القائد أكّد، ولمرّات عديدة، أن أميركا هي سبب كل مصائبنا، وهي أم الخبائث. . ونحن إذ نحاربها، فلا نمارس إلا حقنا المشروع في الدفاع عن إسلامنا وعزة أمتنا.

إننا نعلن، بصراحة ووضوح، أننا أمة لا تخاف إلا الله، ولا ترضى الظلم والعدوان والمهانة. وإن أميركا وحلفاءها، من دول حلف شمال الأطلسي، والكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين الإسلامية المقدسة، كل هؤلاء قد مارسوا ويمارسون العدوان علينا ويعملون على إذلالنا باستمرار. ولذا فإننا في حالة تأهب مستمر ومتصاعد، من أجل رد العدوان والدفاع عن الدين والوجود والكرامة.

لقد هاجموا بلادنا، ودمّروا قرانا، وذبحوا أطفالنا، وهتكوا حرمتنا،

وسلّطوا على رقابنا جلادين مجرمين ارتكبوا مجازر رهيبة بحق أمتنا، ولا يزالون يدعمون هؤلاء الجزارين حلفاء إسرائيل، ويمنعوننا من تقرير مصيرنا بمحض اختيارنا.

إن قنابلهم كانت تتساقط على أهلنا كالمطر، أثناء الاجتياح الصهيوني لبلادنا ومحاصرة بيروت، وطائراتهم كانت تغير، بشكل متواصل، في الليل والنهار، على المدنيين من أهلنا وعلى أطفالنا ونسائنا وجرحانا، فيما كانت مناطق الكتائبيين العملاء آمنة من قصف العدو، ومركزاً لتوجيه وإرشاد قواته.

وكنا نستصرخ ضمير العالم آنذاك، فلم نسمع له حساً ولم نجد له أثراً.

هذا الضمير الذي افتقدناه أيام المحنة، هو نفسه كان مستنفراً ويقظاً. يوم حوصر الكتائبيون المجرمون في مدينة زحلة البقاعية، ويوم حوصر المتحالفون مع إسرائيل، في دير القمر الشوفية، فهالنا الأمر، وأيقنا أن هذا الضمير العالمي، لا يهتز إلا بناء لطلب الأقوياء، واستجابة لمصالح الاستكبار.

لقد ذبح الإسرائيليون والكتائبيون عدة آلاف، من أبنائنا وأطفالنا ونسائنا وإخواننا، في صبرا وشاتيلا خلال ليلة واحدة، فلم يصدر، عن أية منظمة أو هيئة دولية، أي استنكار أو شجب عملي لهذه المجزرة البشعة، التي ارتكبت بتنسيق مع القوات الأطلسية التي غادرت قبل أيام بل ساعات المخيمات التي قبل المنهزمون أن يضعوها تحت حماية الذئب، استجابة لمناورة الثعلب الأميركي فيليب حبيب.

وجاءت هذه الاعتداءات المجرمة، لتؤكد ما ورد في معتقداتنا الثابتة من أنه ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾.

لا خيار لنا إلا المواجهة

وعلى هذا الأساس، رأينا أن العدوان لا يُردّ إلا بالتضحيات. والكرامة لا تكون إلا ببذل الدماء والحرية لا تُعطى وإنما تسترد ببذل المهج والأرواح.

فآثرنا الدين والحرية والكرامة على العيش الذليل والخضوع المستمر،

لأميركا وحلفائها وللصهاينة وحلفائهم الكتائبيين . . وانتفضنا لتحرير بلادنا، وطرد المستعمرين والغزاة منها، وتقرير مصيرنا بأيدينا.

ولم يكن بوسعنا أن نصبر أكثر، فمحنتنا تجاوزت من السنين عشراً ولم نر إلا كل طامع أو متملق أو عاجز.

تنسيق صهيوني كتائبي

- مئة الف ضحية، هو العدد التقريبي لجرائم أمريكا وإسرائيل والكتائب فينا.
- تهجير لنصف مليون مسلم تقريباً، وتدمير شبه كامل لأحيائهم، في النبعة وبرج حمود والدكوانة وتل الزعتر وسبنيه وحي الغوارنة، وبلاد جبيل التي لا يزال من تبقى من أهلنا فيها يتعرضون للمحنة، دون أن تتحرك هيئة عالمية واحدة لإنقاذهم.
- واحتلال صهيوني استمر في اغتصابه لأراضي المسلمين، حتى وصل إلى احتلال لأكثر من ثلث مساحة لبنان، بتنسيق مسبق واتفاق كامل مع الكتائبيين، الذين استنكروا محاولات التصدي للقوات الغازية. وشاركوا في تنفيذ بعض خطط إسرائيل، ليكملوا ويعطوها ما تريد ثمناً لإيصالهم إلى رئاسة الحكم.

وهكذا، كان فلقد وصل الجزار بشير الجميل إلى سدة الرئاسة، مستعيناً بإسرائيل، وبالنفطيين العرب، وبالزعماء المستزلمين للكتائب من نواب المسلمين. وإثر محاولة متقنة، لتجميل صورته البشعة، في إطار غرفة عمليا سميت «بلجنة الإنقاذ» لم تكن إلا جسراً أميركياً ـ إسرائيلياً عبر عليه الكتائبيون باتجاه التسلط على رقاب المستضعفين.

لكن شعبنا لم يستطع الصبر على هذه المهانة، فبدّد أحلام الصهاينة وحلفائهم. إلا أن أميركا أصرت على حماقتها، فأوصلت أمين الجميل لخلافة أخيه المقبور، وكان أول إنجاز له، تدمير منازل المهجرين، والاعتداء على

مساجد المسلمين، وإعطاء الأوامر للجيش بقصف أحياء الضاحية المستضعفة على أهلها، واستدعاء قوات حلف الأطلسي، للإستعانة بهم علينا، وتوقيع اتفاقية 17 أيار المشؤوم، الذي يجعل من لبنان محمية إسرائيلية ومستعمرة أميركية.

أعداؤنا الأساسيّون

ولم يستطع شعبنا أن يتحمل كل هذه الخيانة، فقرر مواجهة أئمة الكفر: أميركا وفرنسا وإسرائيل. ونفّذ بحقهم أول عقوبة لهم: في 18 نيسان، ثم في 29 تشرين أول 1983م، وكان قد بدأ حرباً حقيقية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي، وارتقى خلالها إلى مستوى تدمير مركزين أساسيين لحكامه العسكريين، وصعّد من مقاومته الإسلامية، شعبياً وعسكرياً، حتى أرغم العدو على اتخاذ قرار بالفرار المرحلي، وهو قرار تضطر إليه إسرائيل لأول مرة في تاريخ ما سمي بالصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وللحقيقة نعلن، أن أبناء أمة حزب الله باتوا الآن يعرفون أعداءهم الأساسيين جيداً، في هذه المنطقة: إسرائيل، أميركا، فرنسا والكتائب.

أهدافنا في لبنان

إننا الآن في حالة مواجهة متصاعدة ضدهم، حتى تتحقق الأهداف التالية:

- تخرج إسرائيل نهائياً من لبنان، كمقدمة لإزالتها نهائياً من الوجود، وتحرير القدس الشريف من براثن الاحتلال.
- تخرج أمريكا وفرنسا وحلفاؤهما نهائياً من لبنان، وينتهي أي نفوذ لأية دولة استعمارية في البلاد.
- يرضخ الكتائبيون للحكم العادل، ويحاكمون جميعاً على الجرائم التي ارتكبوها، بحق المسلمين والمسيحيين، بتشجيع من أمريكا وإسرائيل.

- يتاح لجميع أبناء شعبنا أن يقرروا مصيرهم، ويختاروا بكامل حريتهم، شكل نظام الحكم الذي يريدونه، علماً بأننا لا نخفي التزامنا بحكم الإسلام، وندعو الجميع إلى اختيار النظام الإسلامي الذي يكفل وحده العدل والكرامة للجميع، ويمنع وحده أية محاولة للتسلل الاستعماري إلى بلادنا من جديد.

أيها الأصدقاء

إذاً . . هذه هي أهدافنا في لبنان، وهؤلاء هم أعداؤنا، أما أصدقاؤنا فهم كل الشعوب المستضعفة في العالم، وهم كل من يحارب أعداءنا، ويحرص على عدم الإساءة إلينا . . افراداً كانوا أو أحزاباً أو منظمات . . وإننا نتوجه إليهم ونخصّهم بهذا الخطاب فنقول:

أيها المحازبون والمنظّمون، أينما كنتم في لبنان، وأياً كانت أفكاركم، إننا متفقون وإيّاكم على أهداف كبيرة ومهمة . . تتمثل في ضرورة إسقاط الهيمنة الأميركية على البلاد . . وطرد الاحتلال الصهيوني الجاثم على رقاب العباد . . وضرب كل محاولات التسلط الكتائبي على شؤون الحكم والإدارة . . وإن كنا نختلف في أساليب المواجهة ومستوى المواجهة.

فتعالوا نترفع عن التخاصم فيما بيننا على الأمور الصغيرة، ونفتح أبواب التنافس واسعة أمام تحقيق الأهداف الكبيرة.

فليس مهماً أن يسيطر حزب على شارع، وإنما المهم أن تتفاعل الجماهير مع هذا الحزب.

وليس المهم أن تكثر الاستعراضات العسكرية على المواطنين . . بل المهم أن تكثر العمليات ضد إسرائيل.

وليس المهم أن نصوغ البيانات وندعو إلى مؤتمرات، بل المهم أن نجعل من لبنان مقبرة للمشاريع الأميركية.

إنكم تحملون أفكاراً ليست من الإسلام. . وليس في هذا ما يحول بيننا وبين التعاون معكم، من أجل هذه الأهداف . . خصوصاً أننا نشعر بأن

الدوافع، التي تحرضكم من أجل النضال، هي دوافع إسلامية في الأصل، منشؤها الظلم اللاحق بكم من الطاغوت، والاستضعاف الذي يمارس عليكم من قبله، وهذه الدوافع وإن تشكلت بأفكار غير إسلامية، فلا بد أن تعود إلى جوهرها، حين ترون أن الإسلام الثوري هو الذي يتصدى لقيادة الصراع، ولمقاومة الظلم والاستكبار.

على أننا لا نرتضي منكم تحرشاً ولا استفزازاً ولا اعتداءات، على أمننا وكراماتنا، ونلتزم معكم بمعالجة أي التباس، بالتي هي أحسن أولاً، ونحرص على أن لا تشغلونا بما يعيق تحركنا لأهدافنا.

وستجدوننا حريصين على الانفتاح عليكم، وستزداد العلاقة معكم، كلما ازداد التقارب الفكري فيما بيننا وبينكم، وكلما شعرنا باستقلالية قراركم، وكلما اقتضت مصلحة الإسلام والمسلمين تعزيز هذه العلاقة وتطويرها.

أيها المحازبون المستضعفون

أنتم ممن قصدتم الحق فأخطأتموه . . وليس من قصد الحق فأخطأه، كمن قصد الباطل فأصابه.

لذا فإننا نمد أيدينا إليكم، ونقول لكم مخلصين «يا قومنا أجيبوا داعي الله» و «استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم».

نلتزم بالإسلام ولا نفرضه بالقوة

أيها المستضعفون الأحرار:

إننا أمة التزمت برسالة الإسلام، وأحبّت للمستضعفين وللناس كافة أن يتدارسوا هذه الرسالة السماوية، لأنها تصلح لتحقيق العدل والسلام والطمأنينة في العالم.

والله تعالى ربنا يقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ٱللَّهُ

وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ولذا فإننا لا نريد أن نفرض الإسلام على أحد، ونكره أن يفرض الآخرون قناعاتهم وأنظمتهم علينا، ولا نريد أن يحكم الإسلام في لبنان بالقوة، كما تحكم المارونية السياسية الآن.

لكننا نؤكد أننا مقتنعون بالإسلام، عقيدة ونظاماً، فكراً وحكماً، وندعو الجميع إلى التعرف عليه، والاحتكام إلى شريعته، كما ندعوهم إلى تبنيه والالتزام بتعاليمه، على المستوى الفردي والسياسي والاجتماعي.

وإذا ما أتيح لشعبنا أن يختار، بحريته، شكل نظام الحكم في لبنان، فإنه لن يرجّح على الإسلام بديلاً.

ومن هنا فإننا ندعو إلى اعتماد النظام الإسلامي، على قاعدة الاختيار الحر والمباشر من قبل الناس، لا على قاعدة الفرض بالقوة، كما يخيّل للبعض.

ونعلن أننا نطمح أن يكون لبنان جزءاً لا يتجزأ من الخارطة السياسية المعادية لأمريكا والاستكبار العالمي وللصهيونية العالمية، والتي يحكمها الإسلام وقيادته العادلة.

وهذا الطموح هو طموح أمة، وليس طموح حزب، واختيار شعب لا اختيار عصابة.

الحد الأدنى لطموحنا في لبنان

وعلى هذا الأساس، فإن الحدّ الأدنى الذي يمكن أن نقبل به، على طريق تحقيق هذا الطموح المكلفين بالسعي لتحقيقه شرعاً، هو:

إنفاذ لبنان من التبعية، للغرب أو للشرق، وطرد الاحتلال الصهيوني من أراضيه نهائياً، واعتماد نظام يقرره الشعب بمحض اختياره وحريته.

لماذا نواجه النظام القائم؟

هذه هي رؤيتنا وتصوراتنا عما نريده في لبنان، وعلى ضوء هذه الرؤية والتصورات نواجه النظام القائم، لاعتبارين أساسيين:

1 ـ لكونه صنيعة الاستكبار العالمي، وجزءاً من الخارطة السياسية المعادية للإسلام.

2 ـ لكونه تركيبة ظالمة في أساسها، لا ينفع معها أي إصلاح أو ترقيع، بل لا بد من تغييرها من جذورها (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون).

موقفنا من المعارضة

وفي ضوء الاعتبارين الآنفين، نحدد موقفنا من آية معارضة للنظام اللبناني.

فنعتبر أن كل معارضة تتحرك ضمن خطوط حمر فرضتها القوى المستكبرة، هي معارضة شكلية لا بد وأن تلتقي، في نهاية المطاف مع النظام القائم.

وكل معارضة تتحرك ضمن دائرة الحفاظ والحرص على الدستور المعمول به حالياً، وتلتزم عدم إجراء أي تغيير أساسي في جذور النظام، هي معارضة شكلية ايضاً، لا تحقق مصلحة الجماهير المستضعفة.

وكذلك فإن كل معارضة تتحرك في المواقع التي يريدها النظام أن تتحرك من خلالها، هي معارضة وهمية، ليست إلا لخدمة النظام.

ومن ناحية أخرى، فإن كل طرح للإصلاح السياسي، على ضوء النظام الطائفي العفن، لا يعنينا منه شيء، تماماً كما لا يعنينا تشكيل أية حكومة أو اشتراك أية شخصية في أية وزارة تمثل جزءاً من النظام الظالم.

كلمات برسم المسيحيين في لبنان

أيها المستضعفون الشرفاء

إننا نتوجه من خلالكم بكلمات قليلة نضعها برسم المسيحيين في لبنان، وبرسم الموارنة على وجه الخصوص:

إن السياسة التي ينتهجها زعماء المارونية السياسية، من خلال «الجبهة اللبنانية» و «القوات اللبنانية» لا يمكن أن تحقق السلام والاستقرار للمسيحيين في لبنان، لأنها سياسة قائمة على العصبية والامتيازات الطائفية والتحالف مع الاستعمار وإسرائيل.

ولقد أثبتت المحنة اللبنانية، أن الامتيازات الطائفية كانت سبباً رئيسياً، من أسباب الانفجار الكبير الذي قوّض البلاد، وأن التحالف مع أمريكا وفرنسا وإسرائيل لم يُجد نفسهاً للمسيحيين يوم احتاجوا لدعم هؤلاء.

ثم إن الأوان قد آن، ليخرج المسيحيون المتعصبون من نفق الولاء الطائفي، ومن أوهام الاستئثار بالامتيازات، على حساب الآخرين، وأن يستجيبوا لدعوة السماء، فيحتكموا إلى العقل بدل السلاح، وإلى القناعة بدل الطائفة.

إننا على يقين بأن رسول الله المسيح (ع) براء من المجازر التي ارتكبها الكتائبيون، باسمه وباسمكم . . وبراء من السياسة الحمقاء التي يعتمدها زعماؤكم، للتحكّم بنا وبكم.

كما وأن رسول الله محمد (ص) هو براء ايضاً ممن يحسب على المسلمين، ممن لا يلتزمون بشرع الله، ولا يسعون إلى تطبيق أحكامه، علينا وعليكم.

فإذا ما راجعتم حساباتكم، وعرفتم أن مصلحتكم هي ما تقررونه أنتم، بمحض اختياركم، لا ما يفرض عليكم بالحديد والنار، حينئذٍ نجدد دعوتنا

لكم، استجابة لقول الله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

يا مسيحيّي لبنان..

إن كان كبر عليكم أن يشارككم المسلمون في بعض شؤون الحكم.. فإنه والله كبر علينا ذلك أيضاً، لأنهم يشاركون في حكم ظالم لنا ولكم.. وغير قائم على أحكام الدين، ولا على أسس الشريعة التي اكتملت بخاتم النبيّين.

وإن كنتم تريدون عدلاً، فمن أولى من الله بالعدل؟ وهو الذي أنزل من السماء رسالة الإسلام، على امتداد بعثات الأنبياء، من أجل أن يحكموا بين الناس بالقسط، ويأخذوا لكل ذي حق حقه.

وإن كان أحد قد ضلّلكم، وعظّم لكم الأمور، وخوّفكم أن تنالكم منا ردود فعل، على ما ارتكبه الكتائبيون من جرائم بحقنا، فذا ما لا مبرر لكم فيه أبداً، إذ إن المسالمين منكم لا زالوا يعيشون بيننا، دون أن يعكّر صفوهم أحد.

وإن كنا نقاتل الكتائبيين، فلأنهم يشكلون حاجزاً أمام رؤيتكم للحقيقة، ويصدونكم عن سبيل الله، ويبغونها في الأرض عوجاً بغير حق، وقد استكبروا وعتوا عتواً كبيراً.

وإننا نريد لكم الخير، وندعوكم إلى الإسلام، لتسعدوا في الدنيا والآخرة، فإن أبيتم فما لنا عليكم من سبيل، إلا أن تحفظوا عهودكم مع المسلمين، ولا تشاركوا في العدوان عليهم.

أيها المسيحيون..

حرروا أفكاركم من رواسب الطائفية البغيضة، وجرّدوا عقولكم من أسر التعصب والانغلاق، افتحوا بصائركم على ما ندعوكم إليه من الإسلام، ففيه نجاتكم وسعادتكم، وخير الدنيا والآخرة..

ودعوتنا هذه نضعها برسم كل المستضعفين، من غير المسلمين، أما المنتسبون للإسلام طائفياً فندعوهم للإلتزام بالإسلام عملياً، والترفع عن العصبيات التي يمقتها الدين..

ونؤكد للجميع، بأن هذا العصر هو عصر انتصار الإسلام والحق، وهزيمة الكفر والباطل.. فالتحقوا بركب الحق قبل أن يأتي يوم يعضّ الظالم على يديه، يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

قصتنا مع الاستكبار العالمي

أيها المستضعفون الشرفاء..

وأما قصتنا مع الاستكبار العالمي، فنوجزها لكم بهذه الكلمات: إننا نعتقد أن صراع المبادئ بين أمريكا والاتحاد السوفياتي، قد ولى، منذ زمن بعيد، وإلى غير رجعة.. فلقد أخفق الطرفان، في تحقيق السعادة للبشرية، لأن الفكرة التي قدّماها للناس، وإن اختلفت من حيث الشكل إلى رأسمالية وشيوعية.. إلاّ أنّها التقت في المضمون المادي، وقصرت عن علاج مشاكل الإنسانية..

فلا الرأسمالية الغربية، ولا الاشتراكية الشرقية، نجحتا في إرساء قواعد المجتمع العادل والمطمئن، ولا استطاعتا أن تحققا التوازن بين الفرد والمجتمع، ولا بين الفطرة البشرية والمصلحة العامة.

وتوصل الطرفان إلى إقرار واعتراف متبادل بهذه الحقيقة، وأدركا أنه لم يعد من مجال للصراع الفكري، فيما بين المعسكرين.. وانعطفا سوياً إلى الصراع حول النفوذ والمصالح، مستترين أمام الرأي العام وراء الاختلاف في المبادئ..

وفي ضوء هذا الفهم، فإننا نرى أن الصراع الفكري بين المعسكرين قد طوي نهائياً، وحلّ محله صراع المصالح والنفوذ، بين دول العالم المستكبر التي يتزعمها اليوم أمريكا والاتحاد السوفياني..

وعلى هذا الأساس، فالبلدان المستضعفة باتت هي محك الصراع، والشعوب المستضعفة أصبحت وقوده..

ونحن إذ نعتبر الصراع بين الجبارين ناتجاً طبيعياً للمضمون المادي الذي يدفع كلاً منهما.. إلا أننا لا نستطيع أن نقبل بهذا الصراع، على حساب مصالح المستضعفين وثرواتهم وحقوقهم..

ومن هنا، فإننا نقف ضد أي تدخل استعماري، غربي أو شرقي، في شؤون المستضعفين وبلادهم، ونواجه كل أطماع وتدخل في شؤوننا.

وفي الوقت الذي ندين فيه جرائم أمريكا، في فيتنام وإيران ونيكاراغوا وغرينادا وفلسطين ولبنان وغيرها.. ندين أيضاً الغزو السوفياتي لأفغانستان، والتدخل في شؤون إيران، ودعم العدوان العراقي وغير ذلك..

أما في لبنان ومنطقة فلسطين: فإننا معنيون بمواجهة أمريكا، بشكل رئيسي، لأنها صاحبة النفوذ الأقوى بين دول الإستكبار العالمي، وكذلك إسرائيل ربيبة الصهيونية العالمية، ومن ثم، فإننا معنيون بمواجهة حلفاء أمريكا، من دول حلف شمال الأطلسي، التي تورطت في مساعدة أمريكا ضد شعوب المنطقة.. ونحذر الدول التي لم تتورط بعد، من الإنجرار إلى خدمة المصالح الأمريكية، على حساب حرية أمتنا ومصالحها..

إسرائيل يجب أن تزول من الوجود

أما إسرائيل فنعتبرها رأس الحربة الأميركية في عالمنا الإسلامي.. وهي عدو غاصب تجب محاربته، حتى يعود الحق المغصوب إلى أهله..

وهذا العدو يشكل خطراً كبيراً، على مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا، خصوصاً أنه يحمل فكرة استيطانية توسعية، بدأ تطبيقها في فلسطين المحتلة، ويحاول التمدد والتوسع، ليبني دولة إسرائيل الكبرى، من الفرات إلى النيل..

وصراعنا مع إسرائيل الغاصبة ينطلق من فهم عقائدي وتاريخي، مؤداه أن

هذا الكيان الصهيوني عدواني، في نشأته وتكوينه، وقائم على أرض مغصوبة، وعلى حساب حقوق شعب مسلم..

ولذا فإن مواجهتنا لهذا الكيان يجب أن تنتهي بإزالته من الوجود، ومن هنا، فإننا لا نعترف بأي اتفاق لوقف إطلاق النار ضده، أو أية اتفاقية هدنة معه، أو أية معاهدة سلام منفردة أو غير منفردة.

وندين بشدة كل مشاريع الوساطة بيننا وبين إسرائيل، ونعتبر الوسطاء طرفاً معادياً، لأن وساطتهم لن تخدم إلا الإقرار بشرعية الاحتلال الصهيوني لفلسطين..

وعلى هذا الأساس، نرفض معاهدة كمب ديفيد، ونرفض مشروع فهد، ومشروع فاس، ومشروع ريغان، ومشروع بريجنيف، والمشروع الفرنسي ـ المصري، وكل مشروع يتضمن اعترافاً، ولو ضمنياً، بالكيان الصهيوني.

ونسجل، في هذا السياق، إدانتنا لكل الدول والمنظمات المنحرفة التي تلهث وراء الحلول الاستسلامية مع العدو، وتقبل «بمقايضة الأرض بالسلام» ونعتبر ذلك خيانة لدماء الشعب الفلسطيني المسلم، ولقضية فلسطين المقدسة..

ومن جهة أخرى فإن الدعوة اليهودية التي أطلقت أخيراً، للاستيطان في جنوب لبنان، وكذلك هجرة اليهود الأثيوبيين وغيرهم، إلى داخل فلسطين المحتلة، ننظر إليها على أنها جزء من المشروع الإسرائيلي التوسعي في العالم الإسلامي.. ومؤشر فعلي على الخطر الناجم من الاعتراف بهذا الكيان، أو التعايش معه...

المقاومة الإسلامية المتصاعدة

وحين نتحدث عن إسرائيل الغاصبة، لا بد أن نتوقف عند ظاهرة المقاومة الإسلامية، التي انطلقت من المناطق اللبنانية المحتلة، لتفرض تحولاً تاريخياً وحضارياً جديداً، على مجرى الصراع ضد العدو الصهيوني..

فالمقاومة الإسلامية المشرفة، التي سطرت ولا تزال، أروع الملاحم والبطولات ضد قوات الغزو الصهيوني، وحطمت بإيمان مجاهديها أسطورة إسرائيل التي لا تقهر، واستطاعت أن توقع الكيان الغاصب في مأزق حقيقي، من جراء الاستنزاف اليومي له، عسكرياً وبشرياً واقتصادياً، مما اضطر قادته أن يعترفوا بقساوة المواجهة التي يلقونها، على أيدي المسلمين..

هذه المقاومة الإسلامية، لا بد أن تتواصل وتنمو وتتصاعد، بعون الله تعالى، وأن تلقى من المسلمين جميعاً، في أقطار العالم كافة، كل الدعم والتأييد والمساندة والمشاركة، حتى تستطيع أن تجتث الجرثومة السرطانية وتقتلعها من الوجود.

وإذ نصرّ على تأكيد إسلاميتها، فإنما يكون ذلك انسجاماً منا مع واقعها، الذي يبدو واضحاً أنه إسلامي، في الدافع والهدف والمسلك وعمق المواجهة.. وهذا لا يلغي وطنيتها أبداً، بل يؤكدها.. على العكس مما لو طمست إسلاميتها، فإن وطنيتها تصبح هشة إلى حد كبير.

نداء من أجل مشاركة إسلامية واسعة

إننا ننتهز الفرصة لنوجه نداءً حاراً، إلى جميع أبناء المسلمين في العالم، ندعوهم من خلاله إلى مشاركة إخوانهم في لبنان، بشرف القتال ضد الصهاينة المحتلين، إما مباشرة، أو من خلال دعم المجاهدين ومساعدتهم.. ذلك أن مقاتلة إسرائيل هي مسؤولية كل المسلمين، في الأقطار والمناطق كافة، وليست مسؤولية أبناء جبل عامل والبقاع الغربي وحدهم..

لقد استطاعت المقاومة الإسلامية، بدماء شهدائها وجهاد أبطالها، أن ترغم العدو، ولأول مرة في تاريخ الصراع ضده، على اتخاذ قرار بالتراجع والانسحاب من لبنان.. دون أي تأثير أميركي أو غيره، بل على العكس تماماً.. فإن قرار الانسحاب الإسرائيلي أظهر قلقاً أمريكياً حقيقياً، وشكل نقطة انعطاف تاريخية في مجرى الصراع ضد الصهاينة الغاصبين.

وأثبت المجاهدون.. من خلال مقاومتهم الإسلامية التي شاركت فيها النساء، حيث سلاحهن الحجارة والزيت المغلي، والأطفال، حيث سلاحهم الصراخ والقبضات العارية.. والشيوخ، حيث سلاحهم الجسد الضعيف والعصا الغليظة.. والشباب حيث سلاحهم البندقية والإرادة الصلبة المؤمنة.. هؤلاء جميعاً أثبتوا أن الأمة، إذا ما تركت تدبر أمرها بحريتها، قادرة على أن تصنع المعجزات، وتغيّر المتوهّم من الأقدار.

سياسة الارتزاق الحكومي والتفاوض الخياني

ونتوقف قليلاً عند الاستعراضات الحكومية التي تبرز في المواسم، محاولة أن توهم الناس بمشاركة الحكم في دعم المقاومة ضد الاحتلال.. لنعلن بوضوح:

إن الدعم الإعلامي والكلامي، بات شعبنا يمجّه ويحتقر أصحابه.. وإن صدرت بعض التصريحات، عن بعض أركان الحكم القائم، فلا يتوهمن أحد أن الجماهير في غفلة، عن أن هذه التصريحات لا تمثل موقف الحكم برمّته، خصوصاً وأن الحكم ليس في وارد أن يزج جيشه، لينال شرف المشاركة في التحرير..

أما الدعم المالي للمقاومة، فليس ذا قيمة إذا لم يصل إلى أيدي المجاهدين، سلاحاً وذخيرة ونفقات قتال، وما شابه..

وإن شعبنا يرفض سياسة الارتزاق، على حساب المقاومة، وسيأتي يوم يحاكم فيه كل الذين تاجروا بدماء الشهداء الأبطال، وبنوا لأنفسهم أمجاداً على حساب جروح المجاهدين..

ولا يمكننا إلا أن نؤكد أن سياسة التفاوض مع العدو، هي خيانة كبرى، للمقاومة التي يدعي النظام دعمها وتأييدها.. وإن إصرار الحكم على دخول المفاوضات مع العدو، لم يكن إلا مؤامرة تستهدف الاعتراف بشرعية الاحتلال

الصهيوني، ومنحه امتيازاً على ما ارتكبه من جرائم، بحق المستضعفين، في لبنان..

ونقول استطراداً.. إن المقاومة الإسلامية التي أعلنت رفضها الالتزام بأية نتيجة تصدر عن المفاوضات، تؤكد على استمرار الجهاد حتى جلاء الصهاينة عن المناطق المحتلة، كمقدمة لإزالتهم من الوجود..

القوات الدولية.. والدور المشبوه

وإن القوات الدولية التي سعى الاستكبار العالمي لإحلالها على أراضي المسلمين، في المناطق التي سينسحب منها العدو، بحيث تشكل حاجزاً أمنياً يعرقل تحرك المقاومة، ويحفظ أمن إسرائيل وقواتها الغازية.. هي قوات متواطئة ومرفوضة.. وقد نضطر إلى معاملتها كما نعامل قوات الغزو الصهيوني، على حدّ سواء..

وليعلم الجميع أن التزامات النظام الكتائبي المفروض، لا تلزم، بأي شكل من الأشكال، مجاهدي المقاومة الإسلامية، وعلى الدول أن تفكر ملياً قبل أن تتورط في المستنقع الذي غرقت فيه إسرائيل..

أنظمة الانهزام العربي

وأما الأنظمة العربية المتهافتة على الصلح مع العدو الصهيوني، فهي أنظمة عاجزة وقاصرة عن مواكبة طموح الأمة وتطلعاتها.. ولا تستطيع أن تفكر بمواجهة الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين، لأنها نشأت في ظل وصاية استعمارية، كان لها الدور الأكبر في تكوين هذه الأنظمة المهترئة..

إن بعض الحكام الرجعيين، خصوصاً في الدول النفطية، لا يتورعون عن أن يجعلوا من بلدانهم قواعد عسكرية لأمريكا وبريطانيا، ولا يخجلون من الاعتماد على خبراء أجانب، يعيّنونهم في مناصب رسمية عليا، وينفذون ما تقرره لهم دوائر «البيت الأبيض» من سياسة تهريب الثروات وتوزيعها على المستعمرين، بأساليب شتى.

ويدّعي بعضهم أنه حامي الشريعة الإسلامية، ليغطي خيانته، وليبرّر استسلامه لإرادة أمريكا، وفي الوقت نفسه، يعتبر عبور كتاب إسلامي ثوري واحد إلى بلاده أمراً محرماً وممنوعاً..

ونتيجة لسياسة الانهزام التي تتبعها هذه الأنظمة الرجعية تجاه إسرائيل، فقد استطاعت هذه الأخيرة أن تقنع الكثيرين منها، بأنها أصبحت أمراً واقعاً، لا مجال لعدم الاعتراف بها، فضلاً عن الإقرار بضرورة الالتزام بتوفير أمنها..

وسياسة الانهزام هذه، هي التي شجعت السادات المقبور أن يرتكب خيانته الكبرى، فيبادر إلى مصالحة إسرائيل، وتوقيع معاهدة الذل معها..

وسياسة الانهزام هذه، هي التي تحكم الآن تحرك مجلس التعاون الخليجي، ومحور الأردن ـ مصر والعراق والمنظمة العرفاتية.

وسياسة الانهزام أمام أمريكا، هي التي توجه موقف الحكام الرجعيين، من الحرب العدوانية المفروضة على جمهورية الإسلام في إيران.. وتقف وراء الدعم غير المحدود لصدام العميل، على مستوى التمويل والتموين الاقتصادي والعسكري، ظناً منهم أن النظام التكريتي المتصهين يمكنه أن يقضي على الثورة الإسلامية، ويمنع من انتشار وهجها الثوري ومفاهيمها.

وسياسة الانهزام هذه، هي التي تدفع الأنظمة الرجعية إلى تجهيل الناس، وتمييعهم وتذويب شخصيتهم الإسلامية، وقمع أي تحرك إسلامي مناهض لأمريكا وحلفائها في بلادهم، كما أنها هي التي تدفعها إلى الخوف من يقظة المستضعفين، ومنعهم من التدخل في شؤون السياسة، لما في ذلك من خطر كبير على بقاء تلك الأنظمة ناتج عن وعي الشعوب على فساد حكوماتها وارتباطاتها المشبوهة. وعن تعاطف هذه الشعوب مع حركات التحرر، في كل أنحاء العالم الإسلامي والعالم..

إننا نجد في الأنظمة العربية الرجعية ما يشكل حاجزاً، أمام تنامي وعي

الشعوب الإسلامي ووحدتها، ونعتبرها مسؤولة عن عرقلة المحاولات التي تستهدف إبقاء الجرح مفتوحاً، والصراع مستمراً مع العدو الصهيوني..

وأملنا كبير بالشعوب المسلمة التي بدأت تبدي تذمرها بوضوح، في معظم البلاد الإسلامية، واستطاعت أن تتسلل إلى عالم الثورات، لتستفيد من تجاربها، وخصوصاً من الثورة الإسلامية الظافرة.. وسيأتي اليوم الذي تتساقط فيه هذه الأنظمة الهشة، أمام قبضات المستضعفين، كما تساقط عرش الطاغوت في إيران.

ولا بد ونحن نخوض معركة شرسة، ضد أمريكا وإسرائيل ومخططاتهما في المنطقة، إلا أن نحذّر هذه الأنظمة الرجعية من العمل، بالشكل المعاكس لتيار الأمة الناهض والمقاوم للاستعمار والصهيونية، وعليها أن تتعلم، من المقاومة الإسلامية في لبنان، دروساً كبيرة في الإصرار على مقاتلة العدو، حتى إلحاق الهزيمة به.

كما أننا نحذر هذه الأنظمة من التورط بمشاريع استسلام جديدة، وبمشاريع عدوانية تستهدف الثورة الإسلامية الفتيّة.. لأن ذلك سيؤول بأقطاب هذه الأنظمة إلى المصير نفسه الذي لاقاه أنور السادات، ومن قبله نوري السعيد وغيرهما.

جبهة عالمية للمستضعفين

ونتوجه إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية، لنعلن لها أن تجربة المسلمين، في إيران الإسلام، لم تبق عذراً لأحد، حين أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك، أن الصدور العارية المدفوعة بإرادة الإيمان قادرة، بعون الله الكبير، أن تحطم كل حديد الأنظمة الطاغوتية وجبروتها..

لذا فإننا ندعو هذه الشعوب، لتوحد صفوفها وترسم أهدافها وتنهض، لكسر القيد الذي يطوّق إرادتها، وتسقط الحكومات العملية التي تتسلط عليها..

ونلح على جميع المستضعفين في العالم، بضرورة تشكيل جبهة عالمية لهم تضم جميع حركاتهم التحررية، بهدف التنسيق فيما بينها تنسيقاً كاملاً شاملاً، من أجل تأمين الفعالية لتحركها، والتركيز على نقاط ضعف أعدائها..

فإذا كان العالم المستعمر، بدوله وأنظمته كافة يجتمع اليوم على حرب المستضعفين.. فإن على المستضعفين أن يجتمعوا، لمواجهة مؤامرات قوى الاستكبار في العالم.

وعلى كل الشعوب المستضعفة، وخصوصاً الشعوب العربية والإسلامية، أن تدرك بأن الإسلام وحده هو المؤهل ليكون الفكر المقاوم للعدوان، بعدما أثبتت التجارب أن كل الأفكار الوضعية قد طويت إلى الأبد، لمصلحة التوافق الأمريكي مع السوفيات وغيرهم.

وقد آن الأوان لندرك أن كل الأفكار الغربية، عن أصالة الإنسان وفطرته، لا يمكن أن تستجيب لطموحاته، أو تنقذه من ظلمات الضلال والجاهلية.. ووحده الإسلام يحقق نهوض الإنسان وتقدمه وإبداعه لأنّه ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

الله الله في وحدة المسلمين

يا أيتها الشّعوب المسلمة

حاذري من الفتنة الاستعمارية الخبيثة التي تستهدف تمزيق وحدتك، لتزرع الشقاق فيما بينك، وتثير العصبيات المذهبية، السنية والشيعية.

واعلمي، أن الاستعمار ما استطاع أن يسيطر على ثروات المسلمين، إلا بعد أن سعى في صفوفهم تمزيقاً وتفريقاً.. يثير السنة على الشيعة، ويحرّض الشيعة على السنّة، وأوكل هذه المهمة، فيما بعد، إلى عملائه من حكام البلاد حيناً، ومن علماء السوء أحياناً، ومن الزعامات التي سلطها على رقاب العباد.

فالله الله في وحدة المسلمين.. فإنها الصخرة التي تتحطم عليها خطط المستكبرين، والمطرقة التي تسحق مؤامرات الظالمين..

فلا تدعوا لسياسة «فرق تسد» أن تمارس في بلادكم، وقاوموها بالالتفاف حول القرآن الكريم:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ﴾

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾.

يا علماء الإسلام

وأنتم يا علماء الإسلام

فإن مسؤوليتكم كبيرة جداً، بحجم المصائب التي تحلّ بالمسلمين.. وأنتم خير من يقوم بواجبه، في قيادة الأمة نحو الإسلام.. وفي توعيتها على ما يخطط له الأعداء، للسيطرة عليها ونهب ثرواتها واستعبادها..

ولا شك أنكم تدركون، أن المسلمين ينظرون إليكم، بصفتكم حملة الأمانة من رسول الله (ص) وبصفتكم ورثة الأنبياء والمرسلين.. فكونوا الأمل والقدوة الحسنة، في المجاهرة بالحق والوقوف بوجه الطغاة والمتجبرين، وكونوا القدوة في الترفع عن بهارج الحياة الدنيا وزخرفها، والتوق إلى الجنة والشهادة في سبيل الله..

ولكم في رسول الله أسوة حسنة، حيث كان يجوع مع الناس ويشبع مع الناس، وكان يؤم المصلين في المسجد، ويتقدم صفوفهم في ساحات الجهاد..

وكان ملجأ لهم في المهمات، يستدفئون بتوجيهاته وحلوله، وينقادون له واثقين مطمئنين..

يا علماء الإسلام..

إن الإمام الخميني القائد أكد مراراً على ضرورة صلاح العالم، واهتمامه بتزكية نفسه قبل الآخرين، وقال في أكثر من مقام: «إن الناس إذا عرفوا أن صاحب حانوت غير صالح، فيقولون: إن فلاناً غير صالح، وإذا عرفوا أن تاجراً يغش الناس، فيقولون: إن فلاناً غشاش، أما إذا عرفوا أن عالم الدين ـ لا سمح الله ـ غير صالح، فإنهم سيقولون: إن الدين غير صالح».

فيا علماء الإسلام..

لهذا الأمر وغيره.. فإن مسؤوليتكم كبيرة جداً، فاستعينوا بالله على القيام بها، وادعوا الله عزّ وجل بدعاء الإمام علي (ع): «اللهم إنا لا نسألك حملاً خفيفاً، بل نسألك ظهراً قوياً» وستجدون الأمة خير مستجيب لنداءاتكم وتوجيهاتكم وقيادتكم..

واعلموا أن موقعيتكم في الأمة، قد عرف المستعمر أهميتها، ولذا فإنه وجه أقوى طعناته إلى صدور العلماء المجاهدين.. فدبّر مؤامرة شيطانية لإخفاء الإمام السيد موسى الصدر، بعدما أحسّ أنه عقبة كأداء، في وجه مخططاته العدوانية.. وقتل الفيلسوف الإسلامي الشيخ مرتضى مطهري.. وأعدم المرجع الإسلامي الكبير آية الله السيد محمد باقر الصدر، حيث أحس منه بخطورة موقفه الذي جسده بهذه الكلمات: «ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب في الإسلام» وها هو يتربص الدوائر بكل عالم ديني يقوم بواجبه الإسلامي خير قيام..

ومن ناحية أخرى، راح الاستعمار يخترق المسلمين، بوعّاظ للسلاطين لا يخافون الله، ويفتون بما لا مجال فيه للفتوى، فيجيزون الصلح مع إسرائيل، ويحرّمون قتالها، ويبررون خيانة الحكام الظالمين..

وما كان المستعمر ليفعل ذلك، لولا أهمية تأثير العالم الديني على الناس..

ومن هنا، فإن من أهم مسؤولياتكم يا علماء الإسلام، أن تربوا المسلمين على الالتزام بأحكام الدين، وتوضحوا لهم الخط السياسي الذي يسيرون على هديه، وتقودهم نحو العزة والرفعة.. وتهتموا بالحوزات العلمية، بحيث تستطيع أن تخرّج قادة مخلصين لله، وحريصين على نصرة الدين والأمة.

كلمة أخيرة حول المنظمات الدوليّة

وأخيراً، لا بدّ من كلمة حول المنظمات والهيئات الدولية، كمنظمة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي وغيرهما..

فإننا نسجّل أن هذه المنظمات ليست منبراً للأمم المستضعفة، بشكل عام، وتبقى عديمة الفاعلية، بسبب هيمنة دول الاستكبار العالمي على قراراتها، إجراء أو تعطيلاً.

وما حق النقض ـ الفيتو ـ الذي تحظى به بعض الدول، إلا دليل على صحة ما نقول..

ومن هنا، فإننا لا نتوقع أن يصدر عن هذه المنظمات ما يخدم مصلحة المستضعفين، وندعو كل الدول التي تحترم نفسها إلى تبني مشروع إلغاء حق النقض ـ الفيتو لدول الاستكبار..

كما ندعوها إلى تبني مشروع طرد إسرائيل من الأمم المتحدة، باعتبارها كياناً غاصباً وغير مشروع، فضلاً عن كونه معادياً للنزعة الإنسانية.

أيها المستضعفون الأحرار..

هذه هي تصوراتنا وأهدافنا، وهذه هي القواعد التي تحكم مسيرتنا..

فمن قبلنا بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ علينا، نصبر حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حزب الله

16 شباط 1985

الاستشهاديون

الشهيد الاستشهادي أحمد قصير

الشهيد الاستشهادي علي السيد حسين صفي الدين

الشهيد الاستشهادي عامر توفيق كلاكش

عملية هيثم دبوق الاستشهادية

راية نصر .. على ضفاف فلسطين

The Martyrdom Operation of Haitham Dbouq: A Victory flag on the shores of Palestine

الاسم: هيثم صبحي دبوق (... المرزوف)

تاريخ ومكان الولادة: صور ١٩٦٨

الوضع الاجتماعي: عازب

المكان: طريق تل النحاس-مرجعيون **The place:** Tal-ennhas-Marjeyoun" Road

١٩ اب ١٩٨٨م ،الساعة الواحدة ظهرا

عينا "هيثم" ترصدان القافلة بدقة .. وسيارته تقترب منها شيئا فشيئا

لم يبق سوى كيلومترات ستة وتجتاز القافلة الصهيونية التي تمر عبر طريق "تل النحاس مرجعيون" .منطقة الخطر اللبناني. وتدخل فلسطين المحتلة. ولكن لم يبق سوى امتار قليلة تفصل "هيثم دبوق" عن القافلة المستهدفة.

وما هي إلا لحظة، وتتغير ملامح المشهد بسرعة. عندما يندفع "هيثم" نحو القافلة التي تنقل ما لا يقل عن ثلاثين جنديا احتلاليا. مفجرا سيارته المفخخة في وسطها. محولا اياها الى اليات متناثرة ملتهبة، وجثث مبعثرة على ارض العملية.

ثلاثون إصابة صهيونية كانت زنة الصدمة المادية التي اصابت جيش الاحتلال، اما الصدمة المعنوية التي عمل على لملمة تداعياتها قائد المنطقة الشمالية الأسبق "يوسي بيليد" بحضوره الى مكان العملية فكانت كبيرة وخطيرة.

August 19, 1988, 1:00 p.m. – the Haitham's eyes are monitoring the convoy meticulously, as his car is getting closer and closer.
Only six kilometers separate the Zionist convoy, which is traveling via the "Tal-ennhas-Marjeyoun" Road, from leaving the Lebanese threat area and entering occupied Palestine. However, only a few meters separated "Haitham Dbouq" from the targeted convoy.
A moment later, the scene changed dramatically when "Haitham" stormed into the convoy – that had 30 occupation troops in its ranks – blowing up his car amidst the vehicles that turned into fire balls and scattered bodies on the ground.
Thirty Zionist casualties was the size of the material shock that hit the occupation army; the morale shock was much larger and more dangerous. In a bid to limit the repercussions, former northern area commander "Yossi Belid" arrived at the operation scene.

من وصية الاستشهادي :

" السلام على المجاهدين المؤمنين الذين يقارعون الظلم والاستعمار في كل أنحاء العالم. السلام على الانتفاضة الإسلامية في فلسطين المحتلة .. اخواني المؤمنين . ثقوا دائما بأن النصر سيكون حليفكم. إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم "

From the will of the martyrdom freedom fighter:
"Peace be upon the Believer Mujahedeen who are confronting injustice and colonialization throughout the world. Peace be upon the Islamic Intifada in occupied Palestine. Believer Brothers! Always trust that you will be victorious."

تعليقات على الصهاينة :

"إننا نواجه وضعا صعبا لانه يتوجب علينا ان نتصدى "لإرهابيين" الذين لا يتورعون عن استخدام اجسادهم كقنابل ناسفة".
وزير الحرب الصهيوني الأسبق "اسحاق رابين".

Zionist Commentaries:
"We are confronting a difficult situation, because we have to intercept "terrorists" who do not refrain from using their bodies as explosive bombs."
Former Zionist war minister "Yitzhak Rabin".

المقاومة الإسلامية
الإعلام الحربي

Islamic Resistance Office of Military Information

الشهيد الاستشهادي هيثم صبحي دبوق

الشهيد الاستشهادي عبد الله عطوي

الشهيد الاستشهادي أسعد حسين برو

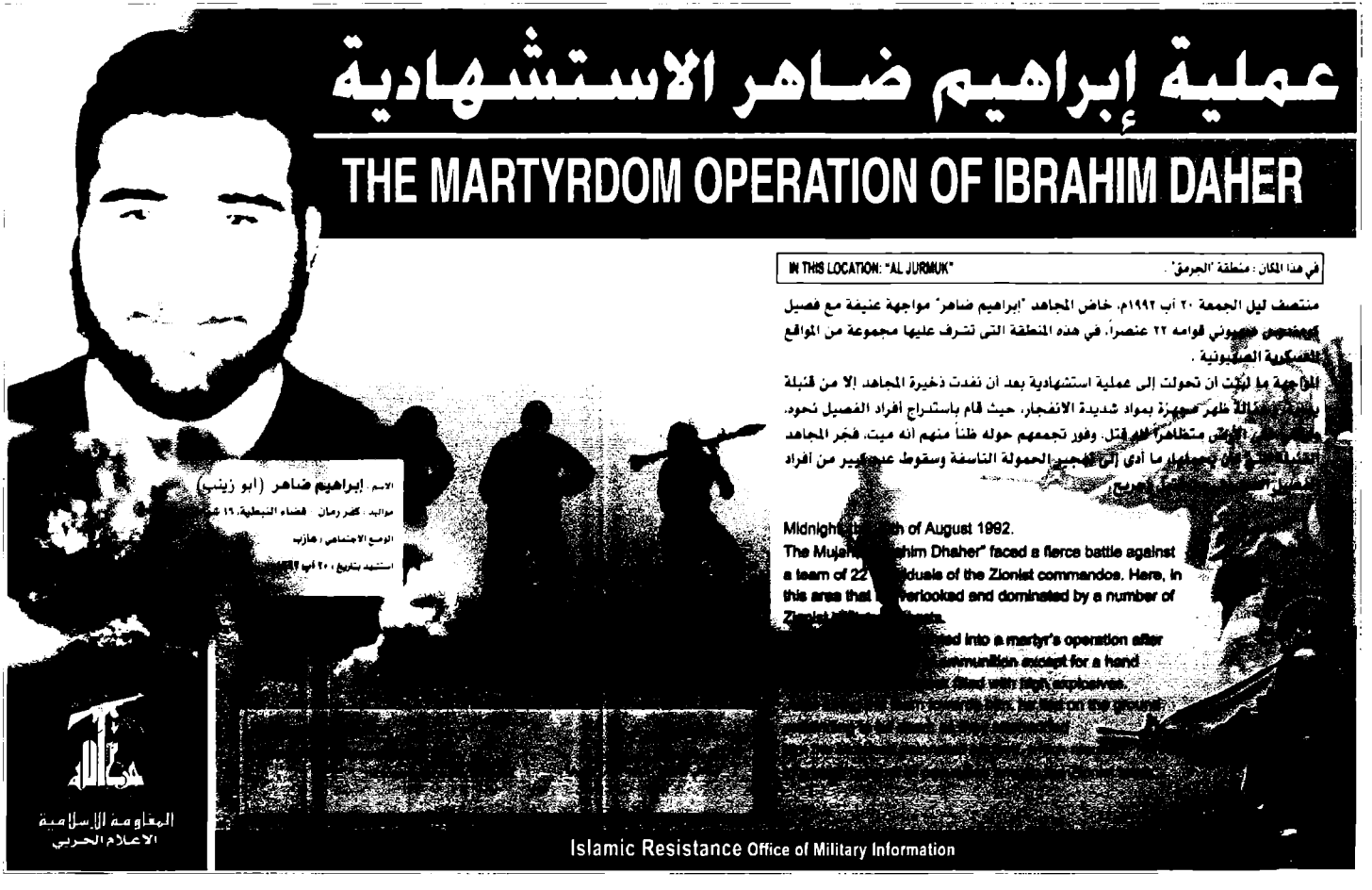

الشهيد الاستشهادي إبراهيم ضاهر

الشهيد الاستشهادي صلاح غندور

الشهيد الاستشهادي علي منيف أشمر

الشهيد الاستشهادي عمّار حسين حمود

المصادر والمراجع

- بن أبي طالب، علي: نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي، شرح محمد عبده، ط8، بيروت، دار البلاغة، سنة 2000م، 1420هـ.
- أبو حبيب، سعدي: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط2، سورية، دار الفكر، سنة 1988م، 1408هـ.
- ابن كثير، اسماعيل: تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، سنة 1992م، 1412هـ.
- ابن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ط2، بيروت، دار الفكر، سنة 1988م، 1408هـ.
- ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، سنة 1990م، 1410هـ.
- البغدادي، مكي قاسم: الشهادة تأصيل لا استئصال، ط1، بيروت، الدار الإسلامية، سنة 1993م، 1413هـ.
- البروجردي، علي: طرائق المقال لا ط، لا ت.
- البوطي، محمد سعيد: الجهاد في الإسلام، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، سنة 1993م، 1413 هـ.
- تكروري، نواف هايل: العمليات الاستشهاية في الميزان الفقهي، دمشق، مكتبة الأسد، سنة 1997م، 1417هـ.
- التميمي، عبد الواحد: غرر الحكم، ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، سنة 1987م، 1407هـ.

- تجمع العلماء المسلمين، مسائل جهادية وحكم العمليات الاستشهادية، ط1، بيروت، دار الوحدة الإسلامية، سنة 2002م.
- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط2، بيروت، مؤسسة أهل البيت (ع) لإحياء التراث، سنة 1993م، 1413هـ.
- الحسيني، هاشم معروف: سيرة الأئمة الإثني عشر، ط3، بيروت، دار القلم، سنة 1981م، 1401هـ.
- الخميني، مصطفى: تفسير القرآن الكريم، ط1، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، سنة 1362 هجري شمسي.
- الدباغ، فخري: الموت اختياراً، ط1، بيروت، دار الطليعة، سنة 1968م، 1388هـ.
- الدردير، أحمد: الشرح الكبير، لا ط، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، لا ت.
- رضا، أحمد: معجم متن اللغة، لا ط، بيروت، دار مكتبة الحياة، سنة 1959م، 1379.
- الريشهري، محمدي: ميزان الحكمة، لا ط ذ، بيروت، الدار الإسلامية، 1985م، 1405هـ.
- الزبيدي: تاج العروس، لا ط، بيروت، دار صادر، لا ت.
- السبزواري، عبد الأعلى الموسوي: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط3، قم، مؤسسة المنار، سنة 1998م، 1418هـ.
- الشرتوني: أقرب المصادر، ط1، إيران، دار الأسرة، لا ت.
- شمس الدين، محمد مهدي: المجتمع السياسي الإسلامي، محاولة تأصيل فقهي وتاريخي، ط1، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، سنة 1992م، 1412هـ.
- شمس الدين، محمد مهدي، عاشوراء، ط2، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، سنة 1995م، 1415هـ.
- الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، بيروت، مؤسسة البعثة، سنة 1992م، 1412هـ.
- الشبستري، عبد الحسين: أصحاب الإمام الصادق، لا ط، لا ت.
- شورون، جان، الموت في الفكر العربي، عالم المعرفة، ترجمة كامل حسين،

الكويت، المجلس الوطني للثقافة، سنة 1984م، 1404هـ، العدد 76.
- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، سنة 1505هـ.
- الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، ط5، بيروت، مؤسسة اعلمي للمطبوعات، سنة 1992م، 1412هـ.
- الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، سنة 1995م، 1415هـ.
- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، لا ط، بيروت، دار الفكر، سنة 1995م، 1415هـ.
- الطوسي، تفسير البيان، ط4، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، سنة 1989م، 1409هـ.
- العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط2، بيروت، دار المعرفة، لات.
- العياشي، تفسير العياشي، طهران، لا ط، المكتبة العلمية الإسلامية، سنة1960م، 1380هـ.
- العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، لا ط، بيروت، مؤسسة النعمان، سنة 1990م، 1410هـ.
- فضل الله، حسن: الخيار الآخر، ط1، بيروت، دار الهادي، سنة 1999م، 1419هـ.
- فضل اللّه، محمد حسين: من وحي القرآن، ط1، بيروت، دار الملاك سنة 1998م، 1418هـ.
- فضل اللّه، هادي: رائد الفكر الإصلاحي السيد عبد الحسين شرف الدين، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، سنة 1987م، 1407هـ.
- القرطبي، تفسير القرطبي، لا ط، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، سنة 1985م، 1405هـ.
- قاسم، نعيم، حزب الله المنهج، التجربة، المستقبل، ط1، بيروت، دار الهادي، سنة 2002م، 1422هـ.
- كارس، جيمس: الموت والوجود، لا ط، ترجمة بدر الديب، نيويورك، المجلس الأعلى للثقافة، سنة 1998م، 1418 هـ.

- المنذري، الحافظ أبي محمد: الترغيب والترهيب، ط1، بيروت، دار إحياء التراث، سنة 2001م، 1421هـ.
- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ط2، بيروت، مؤسسة الوفاء، سنة 1983م، 1403هـ.
- المشهدي، محمد: كنز الدقائق، ط1، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، سنة 1991م، 1411هـ.
- مطهري، مرتضى: شهيد يتحدث عن شهيد، ترجمة بقية الله الأعظم، ط1، بيروت، الدار الإسلامية، سنة 2000م، 1420هـ.
- مطهري، مرتضى: العدل الإلهي، ط2، بيروت، مؤسسة الوفاء، سنة 1984م، 1404هـ.
- مطهري، مرتضى: الإسلام وإيران، تعريب محمد هادي اليوسفي، ط1، بيروت، دار التعارف، سنة 1980م، 1400هـ.
- مغنية، محمد جواد: التفسير المبين، ط2، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، سنة 1983م، 1403هـ.
- الموسوي، المكرم عبد الرزاق: مقتل الحسين، لا ط، طهران، مؤسسة البعثة، لات.
- الهندي، علاء الدين: كنز العمال، لا ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1989م، 1409هـ.
- الواحدي، علي بن أحمد: تفسير الواحدي، ط1، دمشق، دار الشامية، سنة 1995م، 1415هـ.
- Hagopian, Elaine, South Lebanon, Association of Arab-American university gradutes, michigan august 1978.
- Le Monde, Arts et societé, Paru en france 18-7-1978.

القرآن والموسوعات

- القرآن الكريم.
- زيادة معن، الموسوعة الفلسفية، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي 1988م، 1408هـ، ص799.

- محمود شريفي، محمود أحمديان، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) ط3، قم، دار المعروف للطباعة والنشر، لا ت.
- شرح نخبة من الأساتذة، ديوان المتنبي، لا ط، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، لات.
- مقابلة مع السيد عيسى طباطبائي، بيروت، تاريخ 5/ 3/ 2002.
- مقابلة مع أهل الشهيد الاستشهادي صلاح غندور، بيروت، تاريخ 9/ 4/ 2002.
- الكوثر، مجموعة مطبوعات الإمام الخميني، ط1، إيران، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قد) سنة 1996م، 1416هـ.
- مختارات من أقوال الإمام الخميني، ترجمة محمد جواد مهدي، ط1، إصدار وزارة الإرشاد الإيراني، سنة 1982م، 1402هـ.
- الرسالة التي وجهها حزب الله إلى المستضعفين في لبنان والعالم، شباط 1985م (منشورات حزب الله).
- البرنامج الانتخابي لحزب الله (منشورات حزب الله).
- وصايا الاستشهاديين (أرشيف مؤسسة شهيد الثورة الإسلامية).

الصحف والمجلات:

1 - الانتقاد، بيروت، شركة الضحى للصحافة والإعلام، 15/ 6/ 2002، العدد 905.

2 - الديار، بيروت، تاريخ 11/ 5/ 1999.

3 - السفير، بيروت، الأعداد 8701 - 3901 - 7590 - 9225 - والعددان الصادران بتاريخ 28/ 5/ 2002 و 17/ 5/ 2000.

4 - صحيفة نور، إعداد مركز المستندات الثقافية للثورة الإسلامية، إيران، سنة 1983م.

5 - العهد، بيروت (المجموعة الكاملة).

6 - مجلة الهدى، منشورات مكتب العقيدة والثقافة لحركة أمل، بيروت، العدد 10.

7 - الطليعة الإسلامية، بيروت، العدد 8.

الفهرس

المقدمة	7
تمهيـد	11
مدخل: تساؤلات حول الاستشهاد لغة واصطلاحاً وفلسفة	13
أولاً: الاستشهاد في اللغة والاصطلاح	15
أ ـ الاستشهاد لغة	15
ب ـ الاستشهاد إصطلاحاً	16
ثانياً: فلسفة الاستشهاد	33
الفصل الأول: المقاومة الإسلامية	45
النشـأة	47
الأيديولوجيا	65
الله في خطاب المقاومة	73
الوطن في خطاب المقاومة	83
الفصل الثاني: مفهوم الاستشهـاد	99

أولاً: الاستشهاد انتماء عقائدي وتجلٍ تاريخي 101
1 ـ مصداقية الإيمان 101
2 ـ الموت الواعي والشهادة 103
3 ـ الشهادة كرامة من الله عز وجل 104
4 ـ العلاقة بين الشهيد والمصلحة 105
5 ـ الشهادة وسيلة 108
6 ـ عدة الشهادة النية 109
7 ـ غاية الشهيد في استشهاده 110
ثانياً: السجال الفقهي حول الاستشهاد 113
ثالثاً: الاستشهاد في الخطاب الفلسفي 127

الفصل الثالث: الوصية والاستشهاد 145
الوصية والاستشهاد 147
الشهيد الاستشهادي الشيخ أسعد برو 157
الشهيد الاستشهادي عبد اللّه عطوي الملقب بالحر العاملي 165
الشهيد الاستشهادي صلاح محمد غندور الملقب (ملاك) 171
الشهيد الاستشهادي علي منيف أشمر 175
الخاتمة 181

الملاحق 185
وصية الشهيد عامر كلاكش 187
وصية الشهيد الاستشهادي هيثم دبوق 189
وصية الشهيد الاستشهادي عبد اللّه عطوي الحر العاملي 193
وصية الشهيد الاستشهادي الشيخ أسعد برو 199

وصية الشهيد الاستشهادي صلاح محمد علي غندور 203
وصيّة الشهيد الاستشهادي علي أشمر 205
وصية الشهيد الاستشهادي عمار حسين حمود وهي بخط يده 209
الرسالة المفتوحة للمستضعفين 221
من نحن وما هي هويتنا؟ 225
العالم المستكبر متفق على حربنا 226
أميركا وراء كل مصائبنا 227
لا خيار لنا إلا المواجهة 228
تنسيق صهيوني كتائبي 229
أعداؤنا الأساسيّون 230
أهدافنا في لبنان 230
نلتزم بالإسلام ولا نفرضه بالقوة 232
الحد الأدنى لطموحنا في لبنان 233
لماذا نواجه النظام القائم؟ 234
موقفنا من المعارضة 234
كلمات برسم المسيحيين في لبنان 235
قصتنا مع الاستكبار العالمي 237
إسرائيل يجب أن تزول من الوجود 238
المقاومة الإسلامية المتصاعدة 239
نداء من أجل مشاركة إسلامية واسعة 240
سياسة الارتزاق الحكومي والتفاوض الخياني 241
القوات الدولية . . والدور المشبوه 242

أنظمة الانهزام العربي 242
جبهة عالمية للمستضعفين 244
الله الله في وحدة المسلمين 245
يا علماء الإسلام 246
كلمة أخيرة حول المنظمات الدوليّة 248
الاستشهاديون 249
المصادر والمراجع 261